البديع في وصف الربيع

تأليف

أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري الإشبيلي

المتوفى قريبا من سنة ٤٤٠ هـ

حققه وكتب الدراسة وعلق عليه

الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان

الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مكتبة
الدكتور مروان العطية

البديع في وصف الربيع

البديع في وصف الربيع

تأليف

أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري الإشبيلي

المتوفى قريبًا من سنة ٤٤٠ هـ

حققه وكتب الدراسة وعلق عليه

الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان

الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع
جدة - حي مشرفه . شارع الصحافة
ت ٦٧١٣٤٢٤ : ص.ب: ١٨٤٨٥ . رمز بريدي ٢١١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـد : فقد تغنى الأدباء والشعراء بمباهج الطبيعة ومفاتنها قديما وحديثا ، ووصفوا ماتعج به من مظاهر الجمال بروائع القول شعراً ونثرا ، وقد برع الشعراء والأدباء الأندلسيون براعة واضحة ملموسة فى هذا الجانب ، وأبدعوا فيه إبداعا ظاهراً يتجلى فيما خلفوه من آثار شعرية يصفون فيها طبيعة بلادهم ، ويستجلون مباهجها ومفاتنها ومحاسنها التى تخلب الألباب جمالاً وروعة وبهاء ، إذ أن طبيعة بلادهم حدائق ذات بهجة ، وجنان غناء تفتح أمام شعرائهم آفاقا فساحاً يسرحون فيها الطرف ، ويجيلون التأمل ، فيخرجون من ذلك بروائع الوصف ، وبدائع الصور ، واللوحات الجميلة .

ونحن هنا نقف على شىء من ذلك فيما جمعه لنا أبو الوليد فى كتابه (البديع فى وصف الربيع) من صور شعرية ونثرية لكوكبة من أدباء الأندلس ، جلهم من أبناء عصره ، انتخب لهم أبدع ماجادت به قرائحهم شعراً ونثراً ، ويعد هذا الكتاب مصدراً أساسيا لدارسى الأدب الأندلسى بصورة عامة ، وما يتعلق منه بوصف الطبيعة بصورة خاصة ، إذ يضع بين أيدينا روائع وبدائع من الوصف الذى تبرز منه ملامح جديدة للإبداع والتجديد والابتكار فى الشعر والنثر الأندلسى ، وهو أحفل مصدر ، وأوفى مورد بل منبع ثر لمثل هذا اللون من الأدب ، كما أنه يعد من المصادر اللازمة للباحثين فى النقد الأدبى لدى الأندلسيين حيث طرح فيه المؤلف بعض الآراء والقضايا واللمحات النقدية .

وعلى الرغم من أهمية الكتاب وقيمته الأدبية والنقدية فى الأدب الأندلسى إلا أنه لم يلق العناية اللازمة ، ولم يخرج للباحثين والأدباء محققا على الوجه المطلوب فى طبعته الأولى سنة ١٣٥٩ هـ ، وسنعرف فيما سيأتى من الحديث عن هذه الطبعة أنها لم

تنل نصيبها من العناية والتحقيق ، واعتورها الشيء الكثير من التصحيف والتصرف فى النص ، وقد دفعنى ذلك إلى إعادة النظر فى الكتاب ، والعمل على تحقيقه وكتابة دراسة حوله ، وقد طالت هذه الدراسة حيث خرجت فى أربعة مباحث ، الأول منها حول عصر المؤلف ، وفيه عرض للحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والحالة الثقافية ، والثانى فى حياته ، وتعرضت فيه لاسمه ونسبه وأسرته ، ونشأته ، وصلاته الاجتماعية والأدبية ، ومكانته العلمية والأدبية ، ثم وفاته وآثاره ، واختص المبحث الثالث بالحديث عن مواهبه شاعراً وناثراً وناقداً ، أما المبحث الرابع فتناولت فيه كتاب البديع بالعرض والتحليل ممهداً لذلك بالحديث عن المختارات الأدبية فى الأندلس ، ثم الحديث عن عنوان الكتاب ، ونسبته إلى مؤلفه ، وسبب تأليفه ، ومضمونه ، ومنهجه ، وأبرز سماته وملامحه الأدبية ، وأهميته فى دراسة الأدب الأندلسى والحق أن المؤلف أبا الوليد يحتاج إلى مثل هذه الدراسة لما يتمتع به من مواهب أدبية متعددة لم أجد من عنى بإبرازها عناية كافية من الباحثين والدارسين فى الأدب الأندلسى وقد اقتضى ذلك أن يخرج هذا الكتاب فى قسمين الأول منهما للدراسة عن أبى الوليد المؤلف ومواهبه الأدبية ، والثانى لتحقيق نص كتاب البديع ، وسرت فى ذلك كله على ضوء الأصول المتبعة لدى الباحثين والمحققين ، أما منهجى فى تحقيق الكتاب فيتلخص فيما يلى :

١ – اعتمدت على نسخة الأسكوريال حيث إنها هى النسخة الوحيدة للكتاب حسب علمى ، واستعنت بالنسخة المطبوعة حيث قابلتها على الأصل ، وأصلحت مالزم إصلاحه مما أخطأ فى قراءته الناشر هنرى بيريس ، واستبعدت ماقام بإضافته مما ليس فى الأصل .

٢ – قابلت النصوص الموجودة فى الكتاب على ما ورد منها فى المصادر الأندلسية وغيرها ، وأثبت مايلزم إثباته من الفروق .

٣ – حرصت على إخراج النص صحيحا كاملاً مبرأ من الخطأ والتصحيف والتحريف .

٤ – استكملت الضبط بالشكل لما يحتاج إلى ضبط من الكلمات والنصوص الأخرى شعراً ونثراً مما لم يتم ضبطه فى الأصل المخطوط ، واستبقيت ماجاء مضبوطا فى الأصل على صورته مع إصلاح مايعرض من خطأ .

٥ – عملت على تخريج ماورد فى الكتاب من مقطوعات شعرية ونثرية ، وأمثال ، وأقوال وما إلى ذلك من نصوص أخرى ، وذلك بالرجوع إلى المصادر المعتبرة لدى العلماء والمحققين .

٦ – ترجمت للأعلام الذين يحتاجون إلى ترجمه من شعراء ، وأدباء ، ووزراء ، وكتاب ، وحكام وغيرهم فى سطور محدودة ، وأشرت إلى مصادر تراجمهم لمن أراد الاستزادة .

٧ – ألحقت بالكتاب دراسة ألقيت فيها الضوء على مؤلف الكتاب ، وتناولت كتابه بالعرض والتحليل ، وأفصحت عن قيمته وأهميته فى دراسة الأدب الأندلسى .

٨ – قمت بشرح الكلمات التى تحتاج إلى شرح وإيضاح لمعناها ، كما عرفت بالزهور والأنوار التى ورد ذكرها فى الكتاب .

٩ – عملت للكتاب فهارس متنوعة يستهدى بها الباحثون فى الوصول إلى بغيتهم لما يضمه الكتاب من الشعر والنثر والأعلام والأزهار وغير ذلك وقد اجتهدت فى ذلك كله حسبما وسعنى الجهد والطاقة ، وأرجو أن أكون قد وفقت فى إخراج هذا الكتاب المطلوب بثوبه الجديد بعد أن مضى على طبعته الأولى أكثر من أربعين عاماً صار بها بعيد المنال نادر الوجود والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان

المدينة المنورة ١٤٠٦/١٢/٧ هـ

القسم الأول

أبو الوليد الحميري الإشبيلي
ومواهبه الأدبية
دراسة وتحليل

المبحث الأول : عصره

١ - الحالة السياسية

حدثت أحداث خطيرة فى الأندلس فى أوائل القرن الخامس الهجرى أدت إلى سقوط الخلافة فى قرطبة ، وابتداء فترة ملوك الطوائف ، حيث انتهى عصر الأمن والهدوء ، والاستقرار ، والتقدم ، والرخاء ، وبدأ عصر الصراع المرير على السلطة ، وشن الحروب الدامية التى لم يكن من نتائجها سوى الدمار ، والتخلف ، والتأخر فى شتى ميادين الحياة ، وبذلك لم تعد قرطبة كما كانت مركز إشعاع علمى وثقافى ، ومركز ثقل سياسى واقتصادى وعمرانى ، وقد لقيت هذه الفتن والاضطرابات عناية من المؤرخين والباحثين قديما وحديثا ، وأفاضوا فى الحديث عنها [١] ، ويصور لنا هذا الواقع المؤرخ الأندلسى أبو مروان بن حيان فيقول : « هذه الفتنة البربرية الشنعاء المدهمة ، المفرقة للجماعة ، الهادمة للملكة المواثلة المغربة الشأو على جميع مامضى » [٢] وهذا ماحدث فعلاً حيث أدت هذه الفتنة إلى تفكك الدولة الأندلسية الكبرى ، وتشعبها ، وانقسامها إلى دويلات متعددة متناحرة كل منها يقوم على حدة ، لا تربطها بالأخرى أى علاقة سوى الصراع والمنافسة ، والتهالك على إثارة الفتن والحروب بغية التوسع ، والغنيمة ، ومن هنا أطلق على هذه الفترة (عصر الطوائف) الذى بدأ على إثر انهيار الدولة العامرية فى أواخر القرن الرابع ، وبالتحديد سنة ٣٩٩ واستمر زهاء سبعين أو ثمانين عاماً ، ولا يهمنا فى هذه العجالة أن ندخل فى تفاصيل الأسباب التى أدت إلى سقوط الدولة العامرية ، وقيام دول الطوائف ، وما تبع ذلك من أحداث بقدر مايهمنا أن نقف على أبرز الجوانب السياسية لمدينة إشبيلية فى القرن الخامس ، حيث ينتمى إليها أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميرى

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى ٨٦ ، والبيان المغرب (٣/٥٠ - ١٥٠) ونفح الطيب (٤/٥ - ٤٧) وكتاب دول الطوائف للأستاذ عبد الله عنان ١١٧ - ٣٨١ .

(٢) الذخيرة القسم الأول المجد الثانى ٨٦ ، ٨٧ .

مؤلف كتاب البديع ، وهى مدينة عريقة تعد من أقدم مدن الأندلس ، وأعرقها وأشهرها ، وعاشت أحداثاً عديدة عبر العصور ، وفى عصر دول الطوائف كانت أعظم هذه الدول شأنا ، وأقواها شوكة وسلطانا ، وأكثرها تفوقاً فى نواحى الحياة السياسية والاقتصادية ، والثقافية ، وأروعها مجتلى ومنظراً وطبيعة ، وأزهاها أدبا وشعراً ، تربع على حكمها بنو عباد إبتداء من القاضى أبو الوليد إسماعيل بن عباد الذى كان قاضيا لإشبيلية منذ أيام المنصور بن أبى عامر ، والذى أحس بأخطار الفتنة التى تنذر بانهيار الدولة العامرية ، مما جعله يعمل فى صمت وهدوء ، ويعد العدة للاستئثار بحكم تلك المدينة العظيمة ، وقد كان رجلاً فاضلاً يتسم بالعلم والورع ، وينتمى إلى أعرق البيوتات العربية الأندلسية إلى جانب مكانته الاجتماعية والسياسية فى الدولة العامرية ، حيث تقلب فى عدة وظائف كبرى . منها ولاية الشرطة لهشام المؤيد ، وخطة الإمامة ، والخطابة بالجامع الأعظم ، كما عرف عنه الدهاء والسخاء ، وكل ذلك قد دفع بالكثير من الزعماء ، والأكابر فى الأسر العربية للتعاون معه ، ومؤازرته مما هيأ له السبيل لتحقيق هدفه وغرضه من الاستئثار بالسلطة فى أشبيلية ساعده على ذلك أمور . من أهمها موقفه المعلن فى التصدى للبربر وكفكفة أطماعهم ، وتقليم أظفارهم ، كما ساعده على ذلك تذبذب حكم بنى حمود بين قرطبة وإشبيلية ، وما توالى عليهم من أحداث أضعفت جانبهم ، ومكنت بنى عباد فى إشبيلية ، ولا سيما بعد أن ثار يحيى بن على بن حمود فى أوائل سنة ٤١٢ على ابن أخيه القاسم بن حمود الذى تولى الخلافة فى قرطبة بعد مقتل أخيه على أواخر سنة ٤٠٨ وزحف يحيى بقواته على قرطبة فغادرها القاسم فى نفر من صحبه ، وقصد إلى إشبيلية ، وهناك تسمى بالخلافة ، وتلقب بالمستعلى ، ولكنه لم يدم طويلاً بها حيث عاد إلى قرطبة على أثر خلع ابن أخيه يحيى ، وتمت له البيعة مجدداً فى ذى الحجة سنة ٤١٣ هـ ، وفى الفتره التى أقام بها المستعلى فى إشبيلية كان قد قرّب إليه أبا القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد ، وأقره فى ولاية القضاء بعد موت أبيه إسماعيل ، وبذلك أتيحت له الفرصة لكى يعمل على توطيد سلطانه ، ونجح فى ذلك إذ استطاع بمعاونة

ومسادنة أعيان وزعماء البلد ، وعامة الشعب أن يحد من سلطان بنى حمود ، وأشياعهم من البربر على أشبيلية وينفرد بالرياسة الشرعية لها فى أواخر سنة ٤١٤ ، ويصبح قاضيها وحاكمها السياسى ، وشرع بعد ذلك للعمل على تعزيز جانبه ، وتقوية سلطانه ، وحشده العدة ، والعتاد والرجال للتوسع ، والتخلص من الأعداء والمنافسين ، والمتربصين به من أمثال بنى حمود وشيعتهم من البربر ، وكان أول صدام عسكرى اشترك فيه أبو القاسم تمثل فى قتاله مع بنى الأفطس أصحاب بطليموس ، وهم جيرانه من الشمال ، وانتهى هذا الصدام بهزيمة ساحقه لبنى عباد سنة ٤٢٥ ، ومن أبرز الأحداث السياسية لبنى عباد فى إشبيلية إعلان القاضى ابن عباد لظهور هشام المؤيد ، وإقامته خليفة بأشبيلية حينما أخذ يحيى المعتلى يرهقه بغاراته المتوالية على إشبيلية ، وينذر بوجوب استردادها لكونها من أملاك الحموديين ، فما كان من القاضى ابن عباد إلا أن أعلن فى أواخر عام (٤٢٦) أن هشاماً المؤيد قد ظهر ، وأنه كان مختفيا ، ولم يمت ليدحض بذلك دعوى الحموديين فى الخلافة بظهور الخليفة الشرعى ، وقد تحدث المؤرخون قديما وحديثًا عن هذه القصة ، أو الأسطورة على الوجه الصحيح ، وقد جنى منها ابن عباد مايريد بعد أن أشاعها فى سائر أنحاء الأندلس ، بل استطاع ابن عباد أن يتتبع يحيى المعتلى فى قرمونة حيث أرسل لها قوة مع ولده إسماعيل الذى تمكن من التغلب على يحيى وقتله فى المحرم سنة ٤٢٧ ، ورد ابن عباد قرمونة إلى صاحبها السابق حليفه محمد بن عبد الله البرزالى الذى سرعان ماحصل بينه وبين ابن عباد صدام مسلح على إثر استرداد ابن عباد لقرمونة منه ، وانتهى هذا الصدام بهزيمة ابن عباد ، وقتل ابنه إسماعيل ، وكان لهذه النكبة أسوأ الأثر فى نفسه ، ويعد القاضى محمد بن إسماعيل بن عباد هو المؤسس الفعلى لدولة بنى عباد ، وعلى يديه قام كيانها الكبير ، وظل يرعاه إلى أن أدركته المنية فى نهاية جمادى الأولى سنة ٤٣٣ ، وتعاقب عليه من بعده أبناء بنى عباد ، ومن أبرزهم أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل الملقب بالمعتضد بالله ، الذى تولى على إثر موت أبيه القاضى محمد بن إسماعيل سنة ٤٣٣ ، واستطاع أن يمد نفوذه وسلطانه على سائر

إمارات الغرب الصغيرة على مدى عشرين عاماً حتى أصبحت مملكة بنى عباد تشمل سائر الأراضى الممتدة من شاطئ نهر الوادى الكبير غرباً حتى المحيط الأطلنطى ، بل استطاع أن يمتد إلى أكثر من ذلك ، وعرف بالقسوة والشدة ، وصفه لسان الدين الخطيب (بأنه كان شديد الجرأة قوى المنة عظيم الجلادة مستهينا بالدماء) (١) كما كان شاعراً أديبا محباً للعلم والأدب ، يقول الحميدى « كان أبو عمرو بن عباد صاحب إشبيلية من أهل الأدب البارع ، والشعر الرائع ، والمحبة لذوى المعارف ، وقد رأيت له سفراً صغيراً فى نحو ستين ورقة من شعر نفسه » (٢) وقال ابن القطان (وكان لأهل الأدب عنده سوق نافقة ، وله فى ذلك همة عالية ، ألف له الأعلم أديب عصره ، ولغوى زمانه شرح الأشعار الستة ، وشرح الحماسة ، وألف له غيره دواوين وتصانيف لم تخرج إلى الناس) (٣) وتوفى رحمه الله فى جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد ولاية دامت زهاء ثمانية وعشرين عاماً ، وظلت دولة بنى عباد بإشبيلية قوية فتية إلى أن أدركها الهرم فى أواخر عهد المعتمد بن عباد ، بعد أن مرت بأحداث دامية محزنة كان من أشدها وقوعه المعتمد بن عباد أسيراً فى أيدى المرابطين حيث أصبح يقاسى من شظف العيش ، وذل الأسر ، ومرارة الحرمان ، وقسوة الغربة ، وتشرد الولد والأهل ، وظل على هذه الحال حتى وافاه الأجل عام ٤٨٨ ، وبذلك دالت دولة بنى عباد ، وزال معها حكم ملوك الطوائف ، وحل محلهم المرابطون (٤) .

٢ - الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

عرف عن إشبيلية أنها بلد زراعى ، لما تمتاز به أرضها من الخصوبة ، والنماء ،

---

(١) إعمال الأعلام ١٥٦ .

(٢) جذوة المقتبس رقم ٦٧٢ ، والبيان المغرب (٢٨٥/٣) .

(٣) البيان المغرب (٢٨٤/٣) .

(٤) انظر تفاصيل سقوط إشبيلية فى الحلة السيراء (٦٦/٢) والكامل لابن الأثير (١٥٥/٨) ونفح الطيب (٣٧٧/٥) وكتاب دول ملوك الطوائف للأستاذ محمد عبد الله عنان ، وإشبيلية فى القرن الخامس للدكتور صلاح خالص .

وغزارة الماء ، ويطل عليها جبل الشرف الذى يصفه صاحب الروض المعطار بأنه « شريف البقعة ، كريم التربة ، دائم الخضرة » (١) .

ولا غرو إذاً أن تكون أرضا زراعية خصبة معطاء تدر على أهلها الخير ، وتزهو بذلك على بقية الأمصار الأندلسية الأخرى التى يمتد عطائها إليها ، وبذلك تصبح الزراعة من أهم المصادر التجارية لأهلها ، حيث كان يصدر منها زيت الزيتون الذى يعد من أطيب أنواع الزيوت ، إلى جانب القطن « الذى يجود بأرضها ويعم بلاد الأندلس ، ويتجهز به التجار إلى أفريقية وسبحلماسة) (٢) ولم تقتصر الحاصلات الزراعية على الزيتون ، والقطن ، بل هناك أنواع عديدة من مثل الحنطة والشعير ، والقطن والتفاح ، والعنب ، والرمان ، وقصب السكر ، وغيرها وتمثل الحاصلات الزراعية فى أشبيلية مرتكزاً أساسيا لما قام بها من صناعات متنوعة من أبرزها استخراج الزيوت من الزيتون ، وصناعة النسيج ، ولوفرة المعادن بأرض إشبيلية قامت بها بعض صناعات التعدين ، من مثل صناعة السفن وبناء المراسى ، وبعض الأدوات المعدنية كالسكاكين والسيوف ، والاسطرلابات (٣) .

أما المجتمع الإشبيلى فيتكون من الأصول العربية التى نزحت أول مانزحت من حمص الشام عند الفتح الإسلامى للأندلس ، واتخذت من إشبيلية موطنا ومقاماً ، ويمثلون قبائل عربية متعددة ، فمنهم اللخميون الذين ينتمى إليهم بنو عباد حكام إشبيلية ، ومنهم بنو زهرة ، والبلويون ، والهوازينون ، والحضرميون ، ومن هذه الأصول برز أصحاب السيادة والرياسة ، والصدارة بإشبيلية ، مما كان له التأثير الكبير فى مختلف نواحى الحياة السياسية والاجتماعية ، وإلى جانب المستوطنين العرب وجد العنصر الأسبانى من سكان البلاد الأصليين ، وقد بقى بعضهم على دينه ، وعرفوا باسم العجم ، أو المستعربين ، أما من أسلم منهم فقد عرف بالمسالمة ، وامتزج هؤلاء

---

(١) الروض المعطار ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ٥٩ .

(٣) انظر حول معادن الأندلس والصناعات بها نفح الطيب (٢٠١/١) (٢٠١/١) .

بالعرب ، وتزوج كل من الآخر ، ونتج عن ذلك عنصر متميز تمثل فى الأندلسيين المولدين الذين حملوا إلى جانب موروثاتهم العربية بعض الموروثات الأسبانية ، وأصبح هذا العنصر هو الذى يمثل الغالبية بل أصبح المرآة التى تنعكس عليها طوابع الحياة الاجتماعية بشتى ألوانها ، وصورها ، وعلى الرغم من تعدد العناصر التى يتكون منها المجتمع الإشبيلى إلا أن روح التأثر والتلاحم كانت هى السائدة ، لتقارب الميول ، وسيادة الأسلام واللغة العربية التى تعد اللغة الرسمية للمجتمع فى مختلف أمور الحياة ، ومظاهرها الثقافية والفنية ، وقد انعكست ألوان شتى من الأوضاع السياسية والاجتماعية والبيئية على حياة الفرد الإشبيلى ، فأثرت فى سلوكه وخواسه ومشاعره تأثيراً واضحا ملموساً إذ غدا من بعض الأحداث السياسة المريرة المتتاليه يعيش فى قلق وعدم استقرار ، وربما أدت به بعض مظاهر الحياة الاجتماعية إلى الأغراق فى اللهو والحياة الصابئة ، كما أن البيئة الطبيعية الرائعة الغناء قد ساعدت على رهافة إحساسه ، وتعشقه لجمال طبيعة بلدة ، وتفاعله مع هذه الطبيعة ، ورقة ذوقه واحساسه بها .

٣ – الحالة الثقافية :

استظلت إشبيلية بظلال حركة ثقافية مزدهرة غاية الازدهار فى مختلف جوانبها المتعددة كالعلوم الدينية من قرآن وتفسير وحديث وقراءات وعقيدة وفقه ، والعلوم اللغوية من نحو وصرف ولغة وعروض وبلاغة ونقد ، إلى جانب العلوم الأخرى كالتاريخ والتراجم والسير ، والجغرافيا والفلسفة ، والنبات والطب ، والهندسة والحساب ، وساعد على ذلك حكام أشبيلية من بنى عباذ حيث اتسموا بالحرص على العلم ، والعمل على نشره وإشاعته على الرغم من انشغالهم بالقتال والحروب من أجل ترسيخ قواعد الحكم ، وتوسيع رقعة المملكة ، ونبغ من بنى عباد شعراء وأدباء مشهورون كالمعتضد بن عباد ، والمعتمد بن عباد ، وكانت ميولهم واضحة إلى الأدب من شعر ونثر مما أدى إلى إزدهار هذين اللونين بشكل ملموس ، ومع ذلك كان

للعلوم الأخرى مكانتها ومنزلتها وذيوعها ، فمن حيث العلوم الدينية كانت إشبيلية تزخر بالعلماء من المحدثين والفقهاء أمثال الفقيه المحدث محمد بن ثابت بن عياش الأموى [1] (ت ٤٣٥) ، وإصبغ بن راشد بن إصبغ اللخمى [2] (ت ٤٤٠) والفقيه عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر الهوزنى ، وكان متفننا فى العلوم آخذاً من كل فن بحظ ، مات مقتولاً على يد المعتضد سنة ٤٦٠ ، ومنهم الحافظ العالم الفقيه المحدث المؤرخ الأديب أبو عمر بن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣) وغيرهم ، أما علوم اللغة العربية فقد حظيت بالعناية التامة ، والاهتمام الكبير من الإشبيليين ، ونبغ فيهم علماء ضليعون مشهورون فى اللغة والنحو من ألمعهم أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدى الإشبيلى صاحب كتاب طبقات النحويين ، واختصار العين ، وما يلحن فيه عوام الأندلس (ت ٣٧٩) [3] ومنهم سعيد بن عبد الله بن دحيم الأزدى القرشى النحوى ، وكان من الحفاظ فى اللغة وذى العلم والدراية الفائقة بكتاب سيبويه [4] وكذلك الشأن بالنسبة للعلوم الأخرى التى لم يغفل عنها الأندلسيون من أبناء إشبيلية ، وكان لهم منها نصيب وافر كالتاريخ ، وبعض العلوم التطبيقية ، أما الأدب شعراً ونثراً فقد كان لها منه القدح المعلى ، والذروة فى العناية والاهتمام بهما ، والانصراف إليهما لما سبق أن أشرنا إليه من ميول بنى عباد حكام إشبيلية واهتمامهم بالأدب ، فقد كان القاضى أبو القاسم بن محمد بن إسماعيل بن عباد يقرض الشعر ، وله مقدرة وموهبة جيدة فى ذلك تتجلى فى تلك المقطوعات التى أوردها له ابن بسام فى الذخيرة [5] ، تناول فيها وصف بعض الأزهار والحدائق ، وبعض الفخر والحماسة ، ومن هذه المقطوعات قوله فى وصف الياسمين [6] :

---

(١) الصلة لابن بشكوال (٥٢٦/٢) .
(٢) المصدر السابق (١٠٩/١) .
(٣) انظر بغية الوعاة (٨٤/١ ، ٨٥) .
(٤) انظر إنباه الرواة (٥٥/٢) .
(٥) الذخيره القسم الثانى المجلد الأول ١٣ .
(٦) البديع فى وصف الربيع ٩٣ .

وياسمين حسن المنظر يفوق فى المرأى وفى المخبر
كأنه من فوق أغصانه دراهم فى مطرف أخضر

وكان ابنه المعتضد أرسخ منه قدماً ، وأكثر قدرة على نظم الشعر ، وله ديوان من الشعر فى ستين ورقة ، مما يفسح له مكانا رحباً بين شعراء عصره [1] وشعره على وجه العموم يتسم بالرقة ، والسهولة والوضوح فى التعبير عن أحاسيسه ومشاعره ، وقل أن نجد من أسرة بنى عباد وأمرائهم من لا يقرض الشعر ، ويجالس الشعراء والأدباء ويهتم بالأدب ، ولا غرو إذاً أن تكون سوقه هى الرائجة فى تلك الحقبة ، وأن تكون الحركة الأدبية بإشبيلية واسعة النشاط ، كما كان من آثار ذلك أن التف حول بنى عباد مجموعة من الشخصيات الأدبية المرموقة اللامعة فى إشبيلية ، ومن أبرزهم أبو عامر بن مسلمة ، وأبو جعفر بن الأبار ، وأبو بكر بن القوطية ، وأبو الوليد إسماعيل ابن عامر الحميرى مؤلف كتاب البديع فى وصف الربيع .

* * *

(١) الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢٣ .

المبحث الثانى : حياته

١ - اسمه ونسبه وأسرته :

فى أغلب المصادر اسمه إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب ، وأغفل كل من صاحب الذخيرة ، ورايات المبرزين [١] ذكر اسم جده عامر ، واقتصر صاحب نفح الطيب [٢] من اسمه على (إسماعيل بن حبيب) فلم يذكر اسم أبيه محمد واسم جده عامر ، فى حين أننا نجد صاحب كتاب التكملة لكتاب الصلة [٣] يضيف جداً آخر من جدوده وهو (أحمد) بين اسمى أبيه محمد ، وجده عامر ، فهو عنده (إسماعيل بن محمد بن أحمد بن عامر الحميرى) وأجمعت المصادر على أن كنيته هى أبو الوليد ، وقد وردت عند ابن بسام وابن سعيد عبارة (الملقب بحبيب) بعد ذكر اسم أبيه محمد ، وهذه العبارة مثار احتمال فى أن تكون لقباً لأبى الوليد أو لقباً لأبيه غير ابن الأبار فى التكملة يقطع هذا الاحتمال ويؤكد أن أباه هو الذى يلقب بحبيب [٤] ، وانفرد ابن الأبار حسب علمى ومابين يدى من مصادر بذكر نسبته إلى حمير ، وهذا يعنى أن أبا الوليد ينتمى إلى أحد القبائل اليمنية المشهورة التى تنتمى إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان [٥] ولهذه القبيلة شأن كبير إذ كان منها ملوك اليمن من التبابعة ، وتفرق عدد من بنى حمير فى الأقطار فمنهم من بقى فى اليمن ومنهم من حل بالعراق والشام ، وطائفة منهم حلت بالأندلس مع بداية الفتح الإسلامى ، بل من أعقابهم من حل بإشبيلية من مثل عبد الله بن محمد بن زكريا بن القاضى يحيى كما ذكر ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب [٦] ، وربما كان من هؤلاء صاحبنا أبو الوليد الذى ينتسب كما عرفنا إلى حمير .

---

(١) انظر الذخيره القسم الثانى المجلد الأول ١٢٤ ، ورايات المبرزين ٣٩ .

(٢) نفح الطيب (٤٢٧/٨) .

(٣) التكملة لكتاب الصلة (١٨٠/١) .

(٤) انظر حول ذلك المصادر السابقة .

(٥) جمهرة أنساب العرب ٤٣٢ ، وانظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ٢٢٢ .

(٦) المصدر السابق ٤٣٣ .

أما أسرته فلا تعرف عنها الشيء الكثير ، وكل مانعرفه أن أباه كان من ذوى الجاه والثراء والمكانة العالية بإشبيلية فى زمن القاضى ابن عباد ، ولا أدل على ذلك من أن بعض الشعراء المشهورين فى إشبيلية كانوا يخصونه بالمدح من مثل أبى جعفر ابن الأبار ، وابن القوطية ، أبى بكر بن نصر ، وقد اختار أبو الوليد فى كتابه البديع فى وصف الربيع بعض المقطوعات الموصولة بمدح أبيه (١) منها أبيات ابن القوطية التى جاء فيه قوله :

أُنْس المعالى بابن عامر الذى ... عمرت بدولته منازلها الدّرُسْ (٢)

ومنها أبيات للفقيه أبى الحسن بن على موصولة بمدح أبيه جاء فيها :

عزة فى طباعه وعلو ... قد أنافا به على العلياء

كحبيب بن عامر فهو فذ ... فى اقتناء العلى وكسب الثناء (٣)

وقد أشار ابن الأبار فى التكملة إلى أخيه أبى زيد محمد بن محمد بن عامر ، وذكر أنه شيخ من شيوخ أبى بكر بن العربى مما يدل على أن أخاه هذا كان يحتل مكانة علمية مرموقة وناهيك أنه شيخ من شيوح أبى بكر بن العربى الذى يعد من العلماء المشهورين « قدم إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق ، وكان من أهل التفنن فى العلوم والاستبحار فيها والجمع لها مقدما فى المعارف كلها » (٤) .

٢ – نشأته وصلاته الاجتماعية والأدبية :

درج أبو الوليد على ثرى إشبيلية وليداً وفتح عينيه على مباهجها وطبيعتها الفاتنة ، وترعرع فى أحضانها يضمه بيت عرف بالوجاهة وعلو المكانة ، والتطلع إلى

---

(١) انظر البديع فى وصف الربيع ٥٤ ، ١١٤ ، ١٥٦ .

(٢) المصدر السابق ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٣) المصدر السابق ١٤٢ .

(٤) انظر وفيات الأعيان (٢٩٦/٤) حيث ترجمته ابن العربى المتوفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

العلم والتذوق للأدب إذ كان أبوه من وجهاء أشبيلية كما عرفنا ، وكان أخوه محمد من العلماء المرموقين ، وأحد شيوخ أبى بكر بن العربى ، وكانت إشبيلية وقتئذ مصدر إشعاع للعلم والثقافة ، ومهوى أفئدة العلماء والأدباء والشعراء حيث كانت تستظل بحكم بنى عباد ، وقد عرفنا أنهم كانوا عاملاً قوياً فى بعث الحركة العلمية والثقافية ، وإثراء الساحة الأدبية بالشعراء والأدباء ، فى هذا الوسط نشأ أبو الوليد فلا غرو إذاً أن تتفتح مواهبه الأدبية والعلمية منذ وقت مبكر ، « فكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق » (١) ومن هنا بدأت تتحدد شخصية أبى الوليد ، وتزدهر مواهبه المتعددة ، وتتسع صلاته بالشخصيات المرموقة فى المجتمع الإشبيلى من الحكام والوجهاء والوزراء والأدباء والشعراء ، ومن أبرز ذلك صلته بالقاضى أبى القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد ذى الوزارتين الذى أهدى له أبو الوليد كتابه البديع فى وصف الربيع وتردد ذكره فيه أكثر من موطن (٢) هو وغيره من بنى عباد بصورة توحى بقوة الصلة بين المؤلف وبنى عباد ، فها نحن نرى أبا الوليد ينشد بين يدى القاضى ابن عباد أبياته ومنها قوله :

انظر إلى النهر واعجب ... لحسن مرآه وارضهْ

قد حل بين رياض ... من النواوير غضّهْ

يقول أبو الوليد (فلما أنشدته القاضى – أبقاه الله – سرّ سرور متشيع فى غَذِىّ إنعامه ورَبِىّ أيامه ، وأمرنى باستحضار صاحب الشرطة أبى بكر بن القوطية والأديبين أبى جعفر بن الأبار ، وأبى بكر بن نصر وأُمِرهم عنه لازال ماضى الأمر بالعمل فى ذلك المعنى على العروض والقافية ، فلم أُقدِّم شيئا على استحضارهم وإيراد ما أمرنى به عليهم ، فصنعوا فى ذلك من ليلتهم أشعاراً رائعة السمات فائقة الصفات » (٣) ومن خلال ذلك ندرك مدى قوة العلاقة بين القاضى ابن عباد وبين

---

(١) انظر نفح الطيب (٤٢٨/٨) .

(٢) انظر من ذلك على سبيل المثال فى كتابه البديع فى وصف الربيع ص ١٠ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٦ ، وعلى وجه العموم فقد ذكر فى الكتاب فيما يقرب من سبعة وعشرين موضعا وفى كل موضع يذكر بالثناء العاطر .

(٣) البديع فى وصف الربيع ٤٨ .

أبى الوليد فقد سر القاضى من الأبيات التى أنشدها أبو الوليد بين يديه ، وأمره أن يستحضر أشهر شعراء إشبيلية ممن سبق ذكرهم وأن يطلب منهم على لسانه أن ينظموا أبياتاً على غرار أبياته ولم يقتصر الأمر على ذلك بل نرى له صلة وثيقة بأبى عمرو عباد الذى وهبه بستانا وزاره فيه ، ووصف الياسمين الذى شاهده فى رحابه ، وقد أشار إلى ذلك أبو الوليد فى كتابه البديع حين قال (ومن السحر الحلال المستوفى نهاية الكمال ، قول ذى الوزارتين أبى عمرو عباد – أعزه الله – وقد دخل بستانا لى اكتسبته من نوافل كرمه وسوابغ نعمه ، فرأى ياسمينا فيه فقال بديهة :

كأنما ياسميننا الغض كواكب فى السماء تبيضُّ (١)

وقد مدح أبو الوليد ذا الوزارتين عباد بأبيات مطلعها :

وروض أريض لم يزل يغتذى بما يروح عليه من سحاب ويغتدى

ومن خلال كتابه البديع يتجلى لنا أيضا أن أباه من قبل كان على صلة وثيقة ببنى عباد حيث كان يحضر مجالسهم ومسامراتهم ، ويطلبون إليه تقييد ما يصدر عن بعضهم من أدب أو شعر على نحو ماحدث فى مجلس القاضى ابن عباد حينما أنشد الوزير الكاتب أبو الأصبغ أبياته التى مطلعها :

يامن تأمّل روضا به النّواوير غضه

يقول أبو الوليد « ولما أكمل أبو الأصبغ إنشاد هذا الشعر أمر القاضى – أعزه الله – والدى عبده الناصح له دأبه الحسن فيه ظاهره وغيبه بالجلوس بين يديه ثم أملّ بديهة عليه :

أبلغ شقيقى عنى مقالة لتُمِضّهْ (٢)

ولعل علاقة أبيه هذه ببنى عباد هى التى مهدت السبيل لابنه أبى الوليد لكى يكون على علاقة وثيقة بهم إلى جانب نبوغه المبكر فى الأدب والشعر .

---

(١) المصدر السابق ٩٥ .

(٢) المصدر السابق ٥٢ .

ومن خلال كتابه البديع أيضاً نجد أن لأبى الوليد صلات قوية ببعض الوزراء وأشهر الشعراء فى إشبيلية وغيرها ، من مثل أبى بكر بن نصر ، والوزير أبى عامر بن مسلمة ، وأبى بكر بن القوطية صاحب الشرطة والوزير الكاتب أبى الأصبغ ، وأبى جعفر بن الأبار [1] ، وبعض هؤلاء كانوا من المقربين إليه يجالسونه ويخاطبونه بالشعر الذى يمتدحونه به ، على نحو ماصنع الوزير أبو عامر بن مسلمة ، ويبدو ذلك مما ذكره أبو الوليد فى كتابه البديع حين قال (ومن الفائت الفائق والرائع والرائق فى وصفه قطعة خاطبنى بها الوزير أبو عامر بن مسلمة وبعث معها مطيّبا وهى :

ياواحـد الأدبـاء والشعـراء وابن الكرام السادة النجباء [2]

ومنهم من كان من خاصته يصاحبهم ويرافقهم فى مجالس الأدب وفى المتنزهات ، كما حدث مع أبى جعفر بن الأبّار الذى يقول عنه أبو الوليد وقد خرجا معاً إلى نزهة فى فصل الربيع « وكان أبو جعفر بن الأبّار فى جملة من صحبنى وخاصة من تبعنى » [3] ويبدو أن أبا الوليد إلى جانب هذه الصلات كان يحتل مكانة عالية فى المجتمع الإشبيلى حيث تولى الوزارة كما يفهم من أكثر المصادر التى بين أيدينا والتى تصفه بالوزير الكاتب فهذا الحميدى مثلاً نراه فى جذوة المقتبس يقول (أبو الوليد الوزير الكاتب بإشبيلية له ولأبيه قدم فى الأدب والرياسة) [4] وقد استوزره قاضى إشبيلية عباد جد المعتمد « ولم يزل يصغى إلى مقاله ويرضى بفعاله ، وهو ماجاوز العشرين إذ ذاك » [5] .

ونص صاحب رايات المبرزين على أنه وزير للقاضى أبى القاسم عباد [6] .

---

(١) انظر المصدر السابق ٣٢ ، ٩٠ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٧١ ، ٩٥ .

(٢) المصدر السابق ٩١ .

(٣) المصدر السابق ٧١ .

(٤) انظر جذوة المقتبس رقم ٢٩٥ ، وبغية الملتمس ٢١٣ ، ونفح الطيب (٤٢٧/٨) ورايات المبرزين ٣٩ .

(٥) نفح الطيب (٤٢٨/٨) .

(٦) رايات المبرزين ٣٩ .

٣ – مكانته العلمية والأدبية :

عرفنا فيما سبق أن أبا الوليد نشأ فى بيت فضل وعلم وجاه ورياسة ، ووقفنا فى الحديث عن عصره على ماكانت تعج به إشبيلية موطنه من العلماء والأدباء والشعراء فى مختلف الفنون والعلوم مما جعلها مصدر إشعاع حضارى وعلمى وأدبى ، وكان لذلك كله أثره على أبى الوليد الذى نبغ فى وقت مبكر « فكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق ، وينثر النثر الرائق » كما يقول المقرى فى نفح الطيب [١] وقد أدرك منه ذلك الأديب الشاعر أبو جعفر بن الأبّار فاحتضنه ورعاه رعاية أدبية « وهو الذى أقام قناته ، وصقل – زعموا – مرآته فأطلعه شهابا ثاقبا » [٢] واستطاع أبو الوليد أن يحتل مكانة علمية وأدبية مرموقة بين العلماء والأدباء فى الأندلس مما جعلهم يشيدون به ويصفونه بأوصاف تجعله فى الذروة من العلم والأدب والذكاء والجودة فى الشعر والنثر ، فهذا أبو عبد الله بن الأبار يقول عنه (كان آية فى الذكاء والفهم والبلاغة وتجويد الشعر على حداثة سنه) [٣] ويقول عنه ابن بسام (كان سديد سهم المقال بعيد شأو الرواية والارتجال ، والأديب أبو جعفر بن الأبار هو الذى أقام قناته وصقل – زعموا – مرآته ، فأطلعه شهاباً ثاقبا ، وسلك به إلى فنون الآداب طريقاً لاحبا ، ولو تحاماه صرف الدهر ، وامتد به قليلاً طلق العمر ، لسد طريق الصباح ، وغبّر فى وجوه الرياح) [٤] .

وقال عنه الحميدى فى الجذوة (وله ولأبيه قدم فى الأدب والرياسة وله شعر كثير يقوله بفضل أدبه) [٥] .

---

(١) نفح الطيب (٤٢٧/٨) .
(٢) الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٢٥ .
(٣) التكملة لكتاب الصلة (١٨٠/١) .
(٤) الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٥) جذوة المقتبس رقم ٢٩٥ .

٤ - وفاته وآثاره :

نصت أكثر المصادر التى بين أيدينا أن أبا الوليد توفى فى حدود سنة أربعين وأربعمائة وأشار الضبى أنه مات بإشبيلية [١] ويذهب ابن بسام إلى أنه كان ابن اثنتين وعشرين سنة حينما أدركته المنية ، وتبعه فى ذلك ابن الأبار فى التكملة [٢] فى حين أن صاحب كتاب المغرب يرى أن المعتضد بن عباد قتله وهو ابن تسع وعشرين سنة [٣] ويبدو أن هذا الرأى هو الراجح وهو أقرب إلى الصواب ، أما ماذهب إليه ابن بسام فقد استبعده الدكتور صلاح خالص حيث استنتج « أن أبا الوليد قدم كتابه البديع للقاضى ابن عباد وابنه إسماعيل بين عامى ٤٢٦ و ٤٣١ فإذا كان الحميدى وهو معاصر لأبى الوليد يقول إن الشاعر توفى فى حوالى عام ٤٤٠ ، وإذا صدقنا قول ابن بسام بأنه توفى فى الثانية والعشرين من عمره ، فمعنى ذلك أنه حين وفاة إسماعيل فى عام ٤٣١ كان عمره لا يتجاوز الثالثة عشرة ، ومعنى ذلك أيضا أنه ألف كتابه البديع قبل هذا السن ، وهذا مالا يمكن قبوله طبعاً ، وعلى ذلك فإذا قبلنا تاريخ وفاة الشاعر الذى ذكره الحميدى وهو جدير بالقبول ، فإن قول ابن بسام بأنه توفى فى الثانية والعشرين من عمره يبدو غير مقبول » [٤] . وكأنى بالدكتور صلاح الخالص لم يطلع على ماذهب إليه صاحب كتاب المغرب من أن أبا الوليد توفى وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وهو قول معقول إذ يصبح عمره حينما ألف كتابه البديع فى حدود عشرين سنة ، ومن هنا ندرك أن الحياة لم تمتد طويلاً بأبى الوليد ، ولعل ذلك يفسر لنا قلة آثاره العلمية والأدبية وربما كان له آثار جليلة وشأن كبير أكثر مما هو عليه لو امتد به الأجل طويلاً ، ولا نعرف من آثاره الآن يرحمه الله سوى كتابه البديع فى فصل الربيع وهو من الآثار الأدبية الجليلة التى حفظت لنا رصيداً كبيراً من الأدب الأندلسى شعره ونثره ، وسيأتى الحديث عن الكتاب بالتفصيل فى موضعه من هذه الدراسة ، وإلى جانب هذا الكتاب نجد لأبى الوليد أشعاراً متناثرة فى بعض المصادر ، وورد كثير منها فى كتابه المشار إليه .

---

(١) بغية الملتمس ٢١٤ وانظر جذوة المقتبس رقم ٢٩٥ ، والتكملة لكتاب الصلة (١٨٠/١) .

(٢) الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٢٥ ، وانظر التكملة لكتاب الصلة (١٨٠/١) .

(٣) المغرب فى حلى المغرب (٢٥٠/١) .

(٤) أشبيلية فى القرن الخامس الهجرى دراسة أدبية تاريخية ١٦٧ .

المبحث الثالث
مواهبه الأدبية

أولاً – أبو الوليد الشاعر :

نبغ أبو الوليد نبوغاً أدبيا مبكراً حيث أصبح يقرض الشعر الفائق ويكتب النثر الرائق وهو لم يتجاوز سبع عشرة سنة من عمره كما ذكر المقرى [1] فهو إذاً شاعر وكاتب موهوب منذ نعومة أظفاره ، وقد جرى الشعر على لسانه عذبا رائقا شأنه شأن أبناء بجدته من شعراء إشبيلية الذين درجوا على ثراها الزاهى ، وطبيعتها الفاتنة الخلابة التى انعكست على نفوسهم ، ونقشت فى مخيلتهم روائع القول شعراً ونثرا ولاغرو فقد عاشوا فى ربوعها العامرة بمجالس الأدباء والشعراء فى ظل بنى عباد الذى امتد فكان ظلالاً وارفاً يتفيأه كل محب للأدب والشعر حيث يجد من يرعاه ، ويسمع له مع العطاء الجزيل ، ذلك لأن بنى عباد أنفسهم كانوا مولعين بالأدب والأدباء ، بل نبغ منهم شعراء مجيدون كالمعتضد بن عباد ، والمعتمد بن عباد وفى هذا المحيط أطلت شاعرية أبى الوليد وليدة وفى ريعان صباها ثم راح يغذوها بمجالسة الأدباء والشعراء ، ويصقلها بملازمتهم ، والاطلاع على آثارهم كما عرفنا فى الحديث عن صلاته الأدبية ، ويبدو أن كثيراً من الفضل فى صقل موهبة أبى الوليد الأدبية إنما يعود إلى الأديب الإشبيلى الكبير أبى جعفر بن الأبار فهو الذى أقام قناته ، وصقل مرآته ، فأطلعه شهابا ثاقبا ، وسلك به إلى فنون الآداب طريقا لاحبا حسبما ذكر ابن بسام [2] على أن نبوغه المبكر كان له دور كبير فى تنمية رصيده الشعرى وجودة الكثير منه ، فهذا الحميدى يشير إلى أن له شعراً كثيراً يشهد بفضل أدبه حين قال فى ترجمته (وله شعر كثير يقوله بفضل أدبه) [3] كان له ذلك مع أنه لم يعمر طويلاً حيث توفى –

---

(١) انظر نفح الطيب (٤٢٧/٨) .
(٢) الذخيره القسم الثانى المجلد الأول ١٢٥ .
(٣) جذوة المقتبس رقم ٢٩٥ .

كما عرفنا – وهو ابن تسع وعشرين سنة على أصح الأقوال ، ولا ندرى ماذا سيكون شأنه لو امتد به الأجل ، ويظهر أن جل أدبه من شعر ونثر إنما كان يدور حول الربيع ومافيه من الأزهار واصفاً مايتجلى فى ذلك من مظاهر الجمال التى تتفاعل مع رقة طبعه ، ورهافة حسه على نحو ما يظهر من شعره ونثره الذى بين أيدينا ، ويؤكد ذلك المقرى فى قوله (وأكثر نظمه ونثره فى أزاهر وذلك يدل على رقة نفسه) [1] ولا غرابة فى ذلك فقد كان أبو الوليد مولعاً بمظاهر الطبيعة التى تبدو فى الأندلس وفى موطنه أشبيلية بثوبها الأخضر القشيب المنمنم بروائع الغراس والأشجار ، والموشى ببدائع الزهور من آس ، وإقحوان وبنفسج ، وجلنار ، وخيرى ، وريحان ، وسوسن ، وعرار ، ونرجس ، ونسرين ، ونيلوفر ، وورد ، وياسمين ، وغير ذلك مما تزخر به حدائق أشبيلية وبساتينها ومنتزهاتها التى كان أبو الوليد يهوى التنزه فى أفيائها ، ويمتلك بعضها كما أشار هو نفسه فى كتابه البديع أكثر من مرة حين قال (وخرجت متنزهاً فى زمن الربيع إلى بعض ضياعى) [2] وقال (دخلت بستانا لى مع الفقيه أبى الحسن ابن على وكان بها باقلاء قد نوّر) [3] وأشار إلى بستان له اكتسبه من أبى عمرو عباد وفيه ياسمين ، وإلى التنزه مع الأديب المشهور أبى جعفر بن الأبّار [4] وحسبنا من ذلك كله أنه ألف كتابه البديع فى فصل الربيع . ولم ينفرد أبو الوليد بهذا الولع والتعلق بمظاهر الطبيعة ، والرغبة فى الخروج إلى المنتزهات والحقول والبساتين ، بل هو يجرى فى ذلك على الانطباع السائد لدى الأندلسيين بعامة والشعراء بخاصة من أترابه الذين يتعشقون مظاهر الطبيعة ، ويهيمون بحبها وتشدهم إليها شداً بمناظرها الخلابة ، ولا سيما زهورها وورودها الفاتنة التى أصبحوا من فرط معايشتهم لها يتفاعلون معها ، ويبثونها أشواقهم وأحاسيسهم ، ويستنطقونها بما يعتمل فى نفوسهم من أفكار ومعانى

---

(١) نفح الطيب (٤٢٩/٨) .
(٢) البديع فى فصل الربيع ٣٤ .
(٣) المصدر السابق ١٥٨ .
(٤) المصدر السابق ٩٤ ، ٧١ .

إلى درجة أننا لا نكاد نقرأ شعراً أندلسيا إلا ونجد انعكاسات ذلك واضحة فى أكثر أغراضه من وصف ومدح ورثاء وغيرها ، ويتضح لنا شىء من ذلك فيما بقى لنا من شعر أبى الوليد إذ من المؤسف أننا لم نقف من شعره إلا على النزر اليسير الذى لا نستطيع معه أن نكون صورة متكاملة المعالم لشعره ، ونحاول هنا أن نتلمس أبرز الملامح والقسمات التى تبدو لنا من خلال ماهو موجود من شعره على النحو التالى :-

١ - شعر البديهة :

إن نبوغ أبى الوليد المبكر فى قرض الشعر جعل له موهبة شعرية سيالة تتدفق بكل يسر وعفوية وسهولة على السجية دون عناء أو تكلف ، وأصبح من اليسير عليه أن يقول الشعر على البديهة كلما خالط شغاف نفسه مايدعو إلى بث مكنونها فها هو ذا يدخل بستانا له مع الفقيه أبى الحسن بن على ، وكان بها باقلاء قد نوّر فأخذ من نوره وصنع مصرعا هو (سبج فى كأس ورد) ثم سأل أبا الوليد إجازته فأجابه بقوله (أوكسوف وسط بدرٍ) وزاد عليه بيتا هو :

أو غوال فى لآلٍ أو غشاء بين فجر [١]

ونراه أيضا يكتب لأبيه أربعة أبيات قالها بديهة وهى :

يامن تأزر بالمكارم وارتدى	بالمجد والفضل الرفيع الفائق [٢]
انظر إلى خد الربيع مركّبا	فى وجه هذا المهرجان الرائق
ورد تقدم إذ تأخر واغتدى	فى الحسن والإحسان أول سابق
وافاك مشتملا بثوب حيائه	خجلا لأن حياك آخر لاحق

---

(١) البديع فى وصف الربيع ١٥٨ .

(٢) المصدر السابق ١٣٢ .

وهذه الأبيات على الرغم من أنها جاءت على البديهة إلا أننا نلاحظ فيها تفاعلا ملموسا مع مظاهر الربيع أصبح معه الورد يشتمل بثوب الحياء ، وقد احمر خجلاً من تأخره فى تقديم التحية لأبى الشاعر الذى عناه بالأبيات .

٢ - التصوير والتشخيص :

يميل أبو الوليد إلى التشخيص والتصوير فى إبراز المعانى والأفكار عن طريق الصور البيانية ويتجلى ذلك فى وصفه بعض مظاهر الربيع بقوله :

بكت السماء فأضحكت سن الثرى بمدامع نظمت عليه جوهرا [(١)]
فكأنها خرقاء تنثر عقدها وكأنه مستغنم أن يُنثرا

فالسماء هنا وهى تمطر تتمثل لنا شخصا يبكى وتنهمر عيناه بالدموع التى تتلقاها الأرض حبيبات من الجوهر نظمت منه عقداً بديعاً استبشرت به وافتر ثغرها ضاحكا لما غنمته من السماء التى نثرت عقدها دون تعقل كمن يتصرف بحمق وجهل .

ويلاحظ أن إبراز هذه الصورة جاء عن طريق الاستعارة فى بكاء السماء ، وضحك الثرى ، وعن طريق التشبيه للسماء بالخرقاء ، والثرى بالمستغنم ، ويبدو أن هذا الميل هو الغالب على شعر وصف الطبيعة ومافيها من زهور لدى أبى الوليد وغيره من شعراء الأندلس بعامة ، وشعراء إشبيلية بخاصة إذ نلمس لديهم العناية بالاستعارات والتشبيهات والمجازات ، وأغلب هذه الصور البيانية التى تقصد لذاتها إنما تمثل ظاهرة شكلية لا تحمل فى طياتها ظلالاً شعورياً يفصح عما يعتمل فى وجدان الشاعر ، وتجيش به مشاعره ، ومثل هذا اللون الذى يفقد الإيحاء الشعورى يظل لونا باهتا ، ومجرد علاقات شكلية جامدة .

---

(١) المصدر السابق ٣١ .

٣ – التشبيه بالذهب والفضة والأحجار الكريمة :

يشيع لدى أبى الوليد التشبيه بالذهب والفضة والأحجار الكريمة فى معرض وصفه للأزهار ، من مثل الفيروزج والياقوت فى قوله يصف نور الكتان :

كأن نور الكتان حين بدا   وقد جلا حسنه صدا الأنفس [١]
أكف فيروزج معاصمها   قد سترتهن خضرة الملبس
أو لافزرق الياقوت قد وضعت   على بساط تروق من سندس

وكقوله فى وصف البهار مشبها بالتبر والفضة :

كأنه جيد تبر   يلوح فى طَوْق فضه [٢]

وقوله أيضا فى وصف السوسن مشبها باللجين :

كأنما حَلْقُه الفذ خسّةٌ من لجين [٣]

ونجد من ذلك قوله فى وصف النرجس مشبها بالتبر والزبرجد :

ترى كل نور منه فوق قضيبه   كَلِمّة تبر فوق جيد زبرجد [٤]

ولم ينفرد أبو الوليد بهذا المنحى الذى كان شائعا فى وصف الأزهار لدى معظم الشعراء الأندلسيين الذين يستأثرون فى شعرهم بالمحسنات البيانية ، ويصلون فيها إلى مدى بعيد يبلغ حد الإغراق المستهجن الذى لا يستساغ .

٤ – استخدام الألوان فى التشبيه :

استخدام أبو الوليد الألوان فى التشبيه استخداماً بديعا يبرز الصورة بشكلها البديع وألوانها الزاهية على نحو ما نجده فى تشبيهه لتلوّن نَوْر الحزم بقوس قزح ذى الألوان المتعددة الرائعة حين قال :

---

(١) المصدر السابق ١٦٠ .
(٢) المصدر السابق ٤٧ .
(٣) المصدر السابق ١٤١ .
(٤) المصدر السابق ١٢٤ .

وخـرم حلـو الحلى يبدو لعينى من لمح [1]
تلونـــا ومنظـــــراً كأنـه قوس قزح

ويرسم صورة أخرى للون دقيق لا يكاد يحس ، وإنما يستشف من حال المستهام المسهد الذى تعروه الصفرة من فرط ما بلغ به الهيام والسهد ، وذلك حينما استعمل هذه الحال فى تشبيه النرجس الأصفر فى قوله :

بدا النرجس المصفر فيه مباهيا بلون كلون المستهام المسهّد [2]

٥ – الألفاظ :

يجنح أبو الوليد إلى استعمال الألفاظ السهلة البعيدة عن الغرابة ذات الجرس الموسيقى المتناغم مع السياق ، وألفاظه غالباً ماتكون وثيقة الصلة بالطبيعة وما ينبثق عنها من مظاهر جميلة تتجلى فى زهورها وورودها مما يجعل هذه الألفاظ تحمل إيحاءات جميلة معبرة عما ينبثق من الواقع من مثل : الندى ، والمسك ، والنسيم ، والشذا ، والسنا ، والروض ، والنفحة ، والسحاب ، والسماء ، والنهر . ونحوها وينجلى ذلك فى قوله يضف الورد ذكراً (المسك ، والشذا ، والنفحة ، والسنا) :

نفحة المسك من شذا نفحاته خَجَلُ الخد من سنا خجلاته [3]

وقوله فى الأقحوان ذاكراً (الندى) :

أقحـــــوان أنيــــق بروده مبـــــــيضه [4]
قد طرزتها بتبر عين النـــدى المرفضه

وقوله فى وصف النرجس ذاكراً (الروض ، والسحاب ، والنسيم) :

وروض أريض لم يزل يغتذى بما يروح عليه من سحاب ويغتدى [5]

---

(١) البديع ١٤٣ .
(٢) المصدر السابق ١٢٣ .
(٣) المصدر السابق ١٣٢ .
(٤) المصدر السابق ٤٧ .
(٥) المصدر السابق ١٢٤ .

إذا ماسرى منه نسيم لواله سرى عنه جلباب الجوى المتوقد

وفى هذين البيتين نحس بشىء من التناغم الموسيقى الداخلى النابع من الألفاظ المتكررة ذات الإيقاع والجرس المتقارب أو المتحد كما يبدو فى كلمتى (روض أريض) وفى تكرار كلمة (سرى) فى المصرعين ، ونجد مثل ذلك فيما يبدو من تناغم بين (مستطرف ، ومستظرف) (المسك مسكا) حين قال :

مستطرف فى خلْقه مستظرَف فى خُلْقه مستحسن الإلمام [1]
لم يرض إلا المِسْكَ مَسْكا جسمه وبه يبوح إليك فى الإظلام

ويبدو هنا استعمال أبى الوليد لبعض ألوان البديع ولا سيما الجناس الذى يتردد كثيراً فيما بقى لنا من شعره كقوله :

أربى عليه نظمك الحلو الحلى فانحط بعد الرتبة العلياء [2]
إن كان نور الآس فى ورقاته نوراً بدا فى ليلة ظلماء

واستعمال المحسنات البديعية كان من الأمور التى تتجلى بوضوح فى الشعر الأندلسى إبان القرن الخامس الذى عاش فيه أبو الوليد ، ومن المعلوم أن الإغراق فيها يخرج بالشعر من طور الموهبة المبدعة الى طور التصنع والصنعة الجوفاء .

٦ – امتزاج المدح بوصف الطبيعة :

يظهر فى شعر أبى الوليد امتزاج المدح بشعر الطبيعة ، ووصف زهورها ، ومجالى الجمال فيها ، وتكاد تشيع هذه الظاهرة فى جل قصائد المديح لدى الشعراء الأندلسيين عامة ، وشعراء أشبيلية فى القرن الخامس بخاصة .

فمن ذلك أننا نرى أبا الوليد يأخذ فى وصف الورد وما له من مكانة عالية ومنظر خلاب ورائحة زكية ، ولون أحمر بديع ممزوج بحمرة من اليواقيت والدر ،

---

(١) المصدر السابق ٨٨ .

(٢) المصدر السابق ٩١ .

ثم يخلص من ذلك إلى مدح أبيه مشيداً بسماحته وبأسه وأخلاقه ووفائه رابطاً ذلك بما سبق أن قاله من إشادة فى وصفه للورد ، ويتجلى ذلك فى قوله من قطعة فى وصف الورد موصولة بمدح أبيه :

إنما الورد فى ذرى شجراته ... كأجل الملوك فى هيئاته [1]
رائق منظراً وخبراً وفذ ... فى حلاه التى حلت وصفاته
نفحة المسك من شذا نفحاته ... خجلُ الخد من سنا خجلاته
مزجت حمرة اليواقيت بالد ... ر فجاءت به على حَسْب ذاته
مثلما جاء من سماح وبأس ... خلق الحميرى سم عداته
إن يعد فالوفاء حتم عليه ... فَرْضه فى صِلَاته كصلاته

ونمضى مع أبى الوليد وهو يصف النرجس فى ذلك الروض الزاكى الذى يخلب الأنظار بجماله وعليه السحاب الهتان يروح ويغدو ، وفيه النرجس الأصفر بلونه البديع ، ونوره التبرى على غصنه الزبرجدى ومنه يسرى النسيم العليل الذى يسرى عن النفس ماحل بها من الجوى ، ثم نراه بعد ذلك ينتقل الى مدح ذى الوزارتين عباد إذ أن هذه الصفات التى أضفاها على الروض الزاهى ، ونرجسه البديع إنما تحكى فى منظرها ومخبرها خلائق أبى عمرو يقول من قطعة له فى وصف النرجس موصولة بمدح ذى الوزارتين عباد :

وروض أريض لم يزل يغتذى بما ... يروح عليه من سحاب ويغْتدى [2]
بدا النرجس المصفر فيه مباهيا ... بلون كلون المستهام المسهد
ترى كل نور منه فوق قضيبه ... كلِمَّة تبر فوق جيد زبرجد
إذا ماسرى منه نسيم لواله ... سرى عنه جلباب الجوى المتوقد
حكى منظراً نصراً وخبراً خلائـ ... ـق النجيب أبى عمرو سليل محمد
فداه عداه كم له من فضيلة ... وفضل ندى يغنى به كل مجتدى

---

(١) البديع ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق ١٢٣ .

وله أبيات على هذا النحو أيضا فى وصف السوسن موصولة بمدح الحاجب ومطلعها :

وسوسن يتهادى للأنس بالراحتين [1]

٧ - المعارضات :

لأبى الوليد مقطوعات عارض بها بعض الشعراء ممن أعجب بشعرهم واستحسنه ، فمن ذلك أن الفقيه أبا الحسن بن على كان قد قال قصيدة ضادية يصف فيها نواوير الربيع بوصف حسن بديع ، ويمدح بها ذا الوزارتين القاضى ومطلعها

كأنما الروض لما وشت يد المزن أرضه [2]

فلما بلغت هذه القصيدة أبا الوليد تحركت قريحته فصنع على غرارها أبياتا مطلعها :

انظر إلى النهر واعجب لحسن مرآه وارضه [3]

وكان لهذه الأبيات وقع حسن فى نفس القاضى ابن عباد مما جعله يطلب النسج على منوالها من بعض شعراء إشبيلية يقول أبو الوليد : « فلما أنشدته القاضى - أبقاه الله - سر سرور متشيع فى غذِىّ إنعامه وربى أيامه ، وأمرنى باستحضار صاحب الشرطة أبى بكر بن القوطية والأديبين أبى جعفر بن الأبار ، وأبى بكر بن نصر أمرهم عنه لازال ماضى الأمر بالعمل فى ذلك المعنى على العروض والقافية ، فلم أقدّم شيئا على استحضارهم وإيراد ما أمرنى به عليهم ، فصنعوا فى ذلك ليلتهم أشعاراً رائعة السمات فائقة الصفات » [4] .

---

(١) المصدر السابق ١٤١ .
(٢) المصدر السابق ٤٧ .
(٣) المصدر السابق ٤٧ .
(٤) المصدر السابق ٤٨ .

وله من هذا القبيل أبيات أجاب فيها على أبى عامر بن مسلمة فى أبياته التى مطلعها :

يا واحد الأدباء والشعراء وابن الكرام السادة النجباء [1]

وذلك فى أبيات لأبى الوليد مطلعها :

يامن حبوت بوده حوباء وهى الفداء له من الأسواء

ولا شك أن المعارضات من الفنون الأدبية التى تبرز مقدرة الشاعر على التجاوب مع غيره من الشعراء ، ومجاراتهم فيما قالوه من شعر جيد بديع يلامس المشاعر ، ويثير كوامن النفس ، ويدفع بها لتأمله والتفاعل معه ، ومن ثم محاكاته والنسج على منواله غرضاً ورويا ووزنا وقافية ، وهو مادرج الأدباء على تسميته بالمعارضة ، وقد شاع هذا اللون كثيراً فى العصر العباسى ، وصار ظاهرة بارزة لدى بعض الأمصار الإسلامية وعلى وجه الخصوص فى بلاد الأندلس والمغرب إذ كان التنافس بين الشعراء فى هذا المضمار على أشده سواء كان ذلك بين الشعراء الأندلسيين أنفسهم ، أو بينهم وبين بعض شعراء المشرق ، وكتب الأدب تزخر بشىء كثير من ذلك [2] ولم يجر الشعراء على نسق واحد فى التفاعل مع هذا اللون من الشعر إذ منهم من تفاعل معه تفاعلاً فنيا لحمته وسداه الإعجاب بالشعر الذى يتطلع إلى معارضته ، فيجنى ثماراً يانعة من الشعر الجاد الذى ترتسم عليه سمات الإبداع والجودة ، وربما تفوق بعضهم على مايعارضه من الشعر إتقانا وإبداعا ، ومنهم من كان يهدف من وراء المعارضة إلى مجرد المجاراة إظهاراً للمقدرة أو بدافع التحدى ، وغالباً مايتسم شعر هؤلاء بالضعف أكثر من اتسامه بالإبداع ، ونحن لم نلمس فى معارضات أبى الوليد مايصل بها إلى هذا الحد أو يرقى بها إلى الحد الأول فهى إذاً وسط بين الحدين .

---

(١) المصدر السابق ٩١ .

(٢) انظر على سبيل المثال الذخيرة القسم الثالث المجلد الأول ١٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٥٠٨ ، ٥١٢ ، والقسم الثالث المجلد الثانى ٥٨٨ ، ٦٨٤ ، ٦٨٨ ، ٦٩٠ ، ٦٩٧ ، ٧٧١ ، ٩٠١ .

٨ – المفاضلات والمحاورات بين الأزهار :

جرى أبو الوليد على ماجرى عليه غيره من الشعراء الأندلسيين الذين راحوا يعقدون مناظرات ومحاورات شعرية يفاضلون فيها بين الأزهار ، وقد حفظ لنا أبو الوليد شيئا منها فى كتابه البديع [١] ، وكان له من ذلك نصيب لما كثر الكلام فى تفضيل الخيرى الأصفر إذ كتب أبياتا فيها بعض الرد على من فضله وبخس النمام أكثر حقه ، ولم يرع حسن خَلْقه وخُلقه ومنها قوله :

يامن يذم خلائق النمام ويحطه عن خُطّة الإكرام [٢]
قدك اتئد عن لومه جهلاً به فجماله زار على اللوام
هو أشهر الخيرى حسنا فاحبه من بينه بتحية وسلام

ويذهب بعض الباحثين إلى « أن مثل هذه المناظرات والمفاضلات كانت سبيلاً لامتحان مقدرتهم الجدلية يرضون بها ميلاً عقليا نحو الجدل ، فاتخذوا من الطبيعة موضوعاً له بدلاً من أن يكون حول شئون العقيدة إذ كانت المناظرات فى أمورها مظنة خطر » [٣] .

٩ – السرقة :

لأبى الوليد بعض الأبيات استقى معناها من بعض الشعراء مما يعد سرقة فى تقدير طائفة من الأدباء والنقاد ، فمن ذلك قوله :

لو كانت الشمس المنيرة سرمداً لم تُلْق بالإجلال والإعظام [٤]

---

(١) انظر ص ٥٧ ، ٧٣ .
(٢) البديع ٨٨ .
(٣) تاريخ الأدب الأندلسى عصر الطوائف ١٩٥ .
(٤) البديع ٨٨ .

أخذه من البيت الذى ينسب إلى الشافعى وهو قوله :

والشمس لو مكثت فى الفلك دائمة   لملها الناس من عجم ومن عرب [1]

ولم يقتصر الأمر على هذا البيت بل هناك بيت آخر لأبى الوليد لا يخلو من مظنة السرقة وهو قوله :

أضميتَه من بعد ما أرويته   بمدامة فيها دواء الداء [2]

أخذه من قول أبى نواس المشهور :

دع عنك لومى فأن اللوم إغراء   وداونى بالتى كانت هى الداء [3]

١٠ - شعر الغزل :

لأبى الوليد شعر فى الغزل أورد لنا ابن بسام بعض قطافه ومنها قوله :

حمام بلحظك قد حمّ لى   فما زال يهدى الى مقتلى [4]

وإن لم تغثنى بمعنى الحياة   فمن ريق مبسمك السلسل

فها أنا قاض بداء الهوى   وقاضى جمالك لم يعدل

فياليت قبرى حيث الهوى   فأكرم بذلك من منزل

فإن جاد بالوصل بعد الوفاة   رجعت إلى عشى الأول

إذا ما أدرت كؤوس الهوى   ففى شربها لست بالمؤتلى

مدام تُعَتَّقُ بالناظريـــن   وتـلك تعتق بالأرجـــل

وقد أعجب ابن بسام بالبيت الأخير من هذه الأبيات ، وفضله على بيتين للمتنبى ذكرهما للمقارنة بينه وبينهما ، وعبر عن إعجابه بقوله (وهذا البيت مما أغرب به على الألباب ، وأعرب فيه عن موضعه من الصواب ، وبينه وبين قول أبى الطيب

(١) ديوان الشافعى ٣٦ .

(٢) البديع ٩١ .

(٣) ديوان أبى نواس (٢١/١) .

(٤) الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٣٤ ، ١٣٥ .

شبه بعيد ، ولكن لأبى الوليد فضل التوليد ، وحُسنٌ من النقل ليس عليه مزيد ، وهو قوله :

انظر إذا اختلف السيفان فى رهج إلى اختلافهما فى الخلق والعمل
هذا أُعِدّ لريب الدهر منصلتا وعدّ ذاك لرأس الفارس البطل (١)

على أن هذه الأبيات تعنى أن أبا الوليد لم يقتصر من الأغراض على وصف الطبيعة وأزهارها وما خالط ذلك من المدح بل إن له مشاركات فى أغراض أخرى منها الغزل ، وهو وإن لم يخرج به عن المألوف لدى شعراء الغزل إلا أننا نلمس فيه التعبير التقليدى عن لواعج الحب وكوامن الشوق والهوى ، ومن يدرى فقد تكون له أغراض أخرى لم يصل إلينا عنها شيء .

١١ – الموسيقى والأوزان :

لون أبو الوليد فى موسيقى الشعر وأوزانه ونظم فى أكثر البحور كالمتقارب ، والرمل والرجز والكامل والخفيف والطويل والمنسرح والمجتث ، ويبدو أنه يميل إلى الأوزان الخفيفة ذات الجرس الموسيقى الناعم المتناغم كما هو ملموس فى بحر الكامل الذى نظم منه أربع مقطوعات من بشعره الذى أودعه كتابه البديع (٢) بينما نجد له من البحور الأخرى على مقطوعة أو مقطوعتين .

---

(١) المصدر السابق القسم الثانى المجلد الأول ١٣٤ .

(٢) انظر ٣٠ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٣٢ .

ثانيا – أبو الوليد الناثر

أ – تمهيد وعرض :

حظيت الأندلس فى القرن الخامس بحركة أدبية واسعة المدى شملت جميع مناحى القول شعراً ونثراً حيث برز فى الأفق شعراء لامعون يجرى الشعر على ألسنتهم عذبا رائقا ، من أمثال ابن زيدون ، والمعتمد بن عباد ، وابن حمديس ، وابن خفاجة ، وابن شهيد ، وابن دراج القسطلى وغيرهم من شعراء إشبيلية أمثال أبى جعفر بن الأبار ، وابن القوطية ، وأبى الوليد الحميرى وسواهم ، وإلى جانب هؤلاء الشعراء – وكان بعضهم من الكتاب – لمع كتاب تسيل شباة أقلامهم بروائع النثر فى موضوعاته المتنوعة من رسائل دينية تبرز القيم الإسلامية ، وتعكس المعانى الجميلة للعقيدة الإسلامية ، وتصور الأحداث العامة ، وتستنهض الهمم لمواجهة أعداء الدين والوطن ، إلى رسائل اجتماعية تحكى واقع المجتمع الأندلسى فى شتى ظروفه وأحواله جداً وهزلاً ، وفرحاً وحزنا ، وشكوى من المصائب ، وحثا على الجد والعمل ، أو ركونا إلى اللهو والمجون ، أو رسائل إخوانية يتم تداولها بين الإخوان والأحبة من رفاق العلم والأدب وغيرهم مشتملة على شيء من المدح أو القدح ، أو العتاب والاعتذار ، أو التهانى أو التعازى ، أو طلب الشفاعة ، أو رسائل ديوانية تتعلق بشؤون الحكم والحكام والدولة والمواطنين ، وهناك رسائل وصفية تبرز الجانب المشرق للطبيعة وماتحتوى عليه من مظاهر الجمال والبهجة فى زهورها ، وحدائقها ، وبساتينها ، ومناظرها الفاتنة ، وقد جالت فى هذه الفترة ، وفى هذه الموضوعات أقلام الكتاب الأندلسيين من مثل ابن شهيد ، وابن حزم ، وأبى حفص بن برد ، وابن الحناط الكفيف ، وأبى المغيرة بن حزم ، بل إن بعضهم كان له فضل السبق والابتكار فى الكتابة بانتهاج الأسلوب القصصى كما صنع ابن شهيد الذى يعد فارس هذه الحلبة ورائداً من رواد النثر القصصى فى الأندلس بما سطره فى رسالته المشهورة والمعروفة باسم التوابع والزوابع التى لم تصل إلينا كاملة ، وهى كما يقول الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل « قصة خيالية يحكى فيها ابن شهيد رحلة له فى عالم الجن قد اتصل خلالها بشياطين الشعراء وناقشهم وناقشوه ، وأنشدهم وأنشدوه ، وعرض أثناء ذلك بعض آرائه فى الأدب واللغة وكثيراً من نماذج شعره ونثره ، كما نقد خصومه ، ودافع عن فنه ، وانتزع من

ملهمى الشعراء والكتاب الأقدمين شهادات بتفوقه وعلو كعبه فى الأدب كل هذا مع بث الفكاهات ونثر الطرائف وإيراد الدعابة » [1] .

ومن الظواهر البارزة فى النثر الأندلسى خلال القرن الخامس أننا رأينا النثر الفنى والطابع الأدبى يتخطى الموضوعات التى أشرنا إليها سابقا إلى المؤلفات العلمية والفكرية والعقلية التى وصل إلينا بعضها حاملاً الشىء الكثير من خصائص النثر الفنى ، ويبدو ذلك جليا فى مؤلفات كل من شيخ المؤرخين ابن حيان ، وأبى الوليد إسماعيل بن محمد بن حبيب فى كتابه البديع ، وابن حزم فى طوق الحمامة ، والفتح ابن خاقان فى قلائد العقيان ومطمح الأنفس ، وابن بسام فى الذخيرة ، وعلى الرغم من تعدد موضوعات الكتابة فى الأندلس إبان القرن الخامس إلا أننا نجد أن الكتابة الوصفية التى تعنى بوصف مظاهر الطبيعة هى التى تشكل ظاهرة بارزة ، ولعل مرد ذلك يعود إلى طبيعة بلاد الأندلس الفاتنة الخلابة التى افتن الشعراء والأدباء فى وصفها وأسهب المؤلفون فى الحديث عنها ، ومنهم المقرى فى نفح الطيب [2] الذى تحدث طويلاً عن محاسن أرض الأندلس ، وجمال طبيعتها ، وقد كان لذلك أثر واضح فى الأدب حيث تعلق الأدباء بتلك الطبيعة الغناء تعلقا شديداً يظهر جليا فى تفاعلهم مع مباهجها ومفاتنها التى راحوا يرسمون لها صوراً بديعة بشتى مناحى القول شعراً ونثراً واصفين رياضها وزهورها ، ومباهج جناتها التى وهبتهم من جمال مجاليها جمال التصوير والتعبير ، ومن رقة هوائها ، وسحر نسيمها رقة الألفاظ والمشاعر والأحاسيس ، ومن هذا المنطلق افتن الكتاب فى وصف الطبيعة ، وبرعوا فى ذلك براعة فائقة ولا سيما فيما انتهجوه من أسلوب المناظرات والمحاورات والمراسلات على لسان الأزهار كما صنع أبو حفص أحمد بن برد ، وفى هذا الوسط وتلك الأجواء نبغ أبو الوليد الكاتب الذى تفتحت مواهبه للشعر والكتابة منذ وقت مبكر وهو ابن سبع عشرة سنة ، وسالت شباة قلمه بروائع من النثر الذى لم يصل إلينا منه إلا ما يتجلى فى كتابه البديع ، أو فى المصادر التى نقلت عنه ، ومن خلال اطلاعنا على كتاب البديع يتضح أن النثر الذى يخص أبا الوليد منه إنما يظهر فى مقدمة الكتاب ،

(١) الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ٤٠٤ ، ٤٠٥ .
(٢) انظر نفح الطيب (١/١٢٥ - ٢٢٨) .

وبعض التعقيبات ، والتعليقات التى تتناثر فى ثنايا الكتاب إلى جانب بعض المقطوعات والرسائل النثرية فى وصف بعض النواوير ، وهى فى مجموعها تتجه إلى الكتابه الوصفية ، ولعل من أبرزها رسالته البديعة فى الرد على رسالة أبى حفص بن برد والتى جاءت بأسلوب قصصى عن طريق المناظرة ، والمحاورة والمراسلة بين الأزهار والنواوير ، أما موضوعات الكتابة الأخرى فلم نظفر له منها بشيء ذى بال وهذا يعنى أن حديثنا هنا سيقتصر على الكتابه الوصفية ، وأول مايصادفنا مقدمة كتابه البديع التى أفصح فيها عن مباهج الربيع ومفاتنه بقوله (وفصل الربيع آرج وأبهج ، وآنس وأنفس ، وأبدع وأرفع من أحد حسن ذاته ، وأعد بديع صفاته) [1] ، وكتب إلى أبيه رسالة يسأله فيها الخروج للتنزه فى الربيع ، ويصف بعض مظاهره منها قوله (لما خُلِق الربيع من أخلاقك الغر ، وسُرق زهره من شيمك الزهر حسن لكل عين منظره ، وطاب فى كل سمع خبره ، وتاقت النفوس إلى الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف على بعض ما تحتويه من النوار الذى كسا الأرض حُللاً ، ولا يرى الناظر فى أثنائها خللاً ، فكأنها نجوم نثرت على الثرى ، وقد ملئت مسكاً وعنبراً ، إن تنسّمتها فأرجه ، أو توسمتها فبهجة ، تروق العيون أجناسها وتحيى النفوس أنفاسها) [2] .

وخرج مرة متنزهاً إلى بعض ضياعه فى زمن الربيع فاستهواه جمال المنظر والمشهد بما فيه من زهور بديعة حركت مشاعره وأحاسيسه ، فعبر عن ذلك برسالة بعث بها إلى أبى الوليد بن العثمانى قائلا : (قد علم سيدى أن بمرآه يكمل جذلى ، ويدنو أملى ، وقد حللت محلاً عنى الجو بتحسينه ، وانفرد الربيع لتحصينه ، فكساه حللاً من الأنوار بها ينجلى صدأ البصائر والأبصار ، فمن مكموم يعبق مِسْكه ، ولا يمنعه مَسْكه ، ومن باد يروق مجتلاه ، ويفوق مجتناه فى مرآه ورياه) [3] .

---

(١) البديع ٣ .

(٢) المصدر السابق ٣٣ .

(٣) المصدر السابق ٣٤ .

وتستمر المكاتبة بينه وبين ابن العثمانى فى هذا الصدد حيث بعث ابن العثمانى بخيرى مبكر ومعه رسالة إلى أبى الوليد ، فأجابه بمثلها مشيداً بمحاسن الخيرى فقال (فلما تعاهدت خيريك عهاد شيمك ، ودامت عليه ديم كرمك بكر مُتَنَعِّما منها مَتَنفَّساً عنها ولاندّ له إلا الند ، ولا مَسْك له إلا المِسْك ، وقد قبَضه مشغوفا به) [1] .

أما رسالته التى رد فيها على أبى حفص أحمد بن برد ، وسلك فيها نهجه فقد برع فيها أبو الوليد براعة فائقة حيث أجرى فيها الحديث والحوار والمناظرة ، والمراسلات على ألسنة الأزهار ، وإذا استعرضناها نحس للوهلة الأولى أننا فى مجلس يضم بعض النواوير ، وطائفة من الأزهار هم البنفسج والخيرى والنمام والبهار كانوا قد اجتمعوا فيما بينهم ، وتداولوا الأمر بينهم ، ونظروا فى حالهم ، وقاسوا أنفسهم بالورد فلم يجدوا بداً من الاتفاق على تقديمه وتفضيله عليهم ، ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد بل عملوا على إشاعة رأيهم بين بقية الأزهار بالكتابة إليهم يأمرونهم بالتأييد لما انتهوا إليه (وكانت النواوير المتفقة عليه ، والداعية حينئذ إليه البنفسج والخيرى والنمام والبهار ، وكتبتْ كتابا إلى صنوف الأنوار ، وضروب الأزهار تأمرها بالوقوف عندما وقفت ، والاتفاق على ما اتفقت) [2] .

غير أن هذا الكتاب لم يلقَ القبول لدى جميع الأزهار ، فأول من اطلع عليه ، وانبرت له نواوير الربيع ، وأعلنت التمرد على ماجاء فيه من مبالغة ومغالطة فى الحقائق ، وأفصحت عن ذلك بالكتابة إلى الأقحوان ، والخيرى الأصفر بحكم الجوار فى الوطن والاتفاق فى الزمن ، فقالت لهما : (من نواوير فصل الربيع الأزهر إلى الأقحوان والخيرى الأصفر ، بسم الله الرحمن الرحيم . وصلت إلينا بيعة اشترى بها من سعى فَيها ، وفغر عن فيها خسران الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،

---

(١) المصدر السابق ١١٧ .

(٢) المصدر السابق ٦٣ .

ولو استحق الورد إمامة ، أو استوجب خلافة لبادر بها آباؤنا ، ولعقدها أوائلنا التى لم تزل تجاوره فى مكانه ، وتجىء معه فى أوانه) [1] .

ثم بأى حجة أو وجه من وجوه التقديم والفضل استحق الورد أن يتربع على قمة المجد بين النواوير الأخرى ، وهناك من هو أحق منه بذلك ، وهو نور البهار الذى تغنى به الشعراء ، وشبهوه بالعيون وهى أشرف الحواس ، وأين منه الورد الذى يشبه بالخد وهو ليس بحاسة ، فنور البهار هو « البادى فضله بدوّ النهار ، والذى لم يزل عند علماء الشعراء ، وحكماء البلغاء مشبهاً بالعيون التى لا يحول نظرها ، ولا يحور حورها ، وأفضل تشبيه للورد الخد عند من تشيع فيه وعنى به ، وأشرف الحواس العين إذ هى على كل مُنَوّل عون ، وليس الخد حاسة فكيف تبلغه رياسة) [2] وقد احتدت الأنوار الربيعية على البهار وأخذت فى تأنيبه على تخاذله أمام الأزهار التى فضلت عليه الورد حيث شاركهم فيما ذهبوا إلية ، ونسى حق نفسه فى الفضل والتقديم ، مما كان سببا فى تقديم الورد وتفضيله (فلولا استجابته لها وكونه معها ماتحصن لتلك مُراد ، ولا تحسن لها مَراد) [3] وبعد هذا التأنيب أخذت نواوير الربيع فى التلطف مع البهار ، وأقسمت أنه لو جمعها وإياه وطن أو زمن لبايعوه ، وقدروه بكل غال لديهم إذ قالوا (وحييناه بالسلام الأثير بَعد الملام الكثير ، ووالله العظيم حقه الواسع رزقه لوجاورناه فى وطن ، أو صحبناه فى زمن لبايعناه منذ مدة مبايعة العبيد ، ونفدّيه لفضله علينا بالطريف والتليد) [4] وحينما وصل كتاب نواوير الربيع الذى بعثت به إلى الخيرى الأصفر والأقحوان كان عندهما كل من البنفسج والخيرى النمام والنرجس ، فأخذا فى تأنيب هذه النواوير ، وتسفيه آرائها فى تقديم الورد ، وألحا عليها فى ذلك مما جعلها تتراجع عن موقفها ، وأعلنت ذلك بقولها : (لاتكثرا لومنا ،

---

(١) البديع ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ٦٤ .

(٣) المصدر السابق ٦٥ .

(٤) المصدر السابق ٦٥ .

ولا تطيلا تأنيبنا فلو لم تكن لنا سقطة ، ولا نسبت إلينا غلطة لخرجنا من الأمر المعلوم ، والحد المعروف ، فلابد للكل من تدبير دبرى ، ورأى غير مرضى ، وقد قيل اللبيب من عدت سقطاته ، والأريب من حُصّلت هفواته) [1] وقد سر الأقحوان والخيرى من هذا الإقرار ، والتراجع الذى أتاح لها أن تنضم مع بقية الأزهار فى الإعتراف بفضل البهار ، والاعتذار له ، وطلب الصفح منه عما بدر منها ، ثم دبج الأقحوان والخيرى الأصفر رسالة إلى أنوار الربيع يفصحان فيها عن موقفهما المؤيد فى فضل البهار ، وتسفيه رأى من قال بخلاف ذلك جاء فيها : (وصل إلينا كتابكم وورد علينا خطابكم تُبينون فيه ضعف مَيْز مقدّمِى الورد ومبايعته ، وسوء رأى مُوَلّيه ومؤمليه ، تلك قصة غابت عنا وبعدت بفضل الله منا ، وقد ظهر ضعفها إلى من تولّى ، وتبيّن سخفها لمن ولّى) [2] وفى نهاية المطاف تم الاتفاق بين النواوير المتجاورة على تفضل البهار ، وتراجع عن موقفه كل من سبق له أن فضل الورد ، وماكان من نواوير الربيع إلا كتبت عقداً بذلك عممته على صنوف الأنوار ، وضروب الأزهار معلنين البيعة للبهار باتفاق الجميع (وإذ قد اجتمع الرأى من سَراتكم ومنّا ، وصدر الاتفاق عن كبرائكم وعنا ، فهى النعمة التى بها تَنْتَظم أمورنا ، ويراعى أميرنا ، وقد بايعنا البهار الباهر جماله ، الظاهرِ كماله على ما رضيتم به ، ورغبتم فيه) [3] .

وتوج هذا العقد بشهادة كل من البنفسج ، والنرجس ، والخيرى ، والأقحوان ، والخيرى الأصفر .

ب - خصائص وسمات نثر أبى الوليد :

وبعد هذا العرض يمكننا أن نستجلى مايظهر لنا من الخصائص والسمات لما بين أيدنيا من نثر أبى الوليد ، وذلك على النحو التالى : -

---

(١) المصدر السابق ٦٦ .
(٢) المصدر السابق ٦٧ .
(٣) المصدر السابق ٦٨ .

١ – التضمين :

– درج أبو الوليد فى بعض رسائله على تضمينها بشيء من الشعر ، وقد يكتفى منه ببيت أو بيتين لأحد الشعراء المشهورين تأكيداً لما جاء به من المعانى والأفكار ، على نحو مانراه من استشهاده بقول ابن الرومى :

أين الخدود من العيون رياسة ونفاسة لولا القياس الفاسد [(١)]

وذلك ليؤكد ماذهب إليه من تفضيل البهار الذى يشبه بالعيون وهى أحد الحواس على الورد الذى يشبه بالخدود وليست من الحواس فى شيء [(٢)] ، وقد يتجاوز ذلك إلى ثلاثة أبيات فأكثر ، وهذا الشعر المضمن إنما يكون فى الغالب من نظمه ، ويظهر لنا هذا من الرسالة التى بعث بها إليه أبيه يصف فيها بعض مظاهر الربيع ، وما ينجم عنه من أزهار تكسو الأرض بحلل زاهية تروق العيون أجناسها ، وتحيى النفوس أنفاسها ، وتوّج وصفه النثرى بشيء من شعره حين قال فى ثنايا النثر :

فالأرض فى بردة من يانع الزهر تزرى إذا قستها بالوشى والحِبَر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة وطرّزتها بما تُهمى من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى وفتنة بعد طول الستر والخفر

ويتجلى ذلك بوضوح فى رسالته البديعية التى أجاب فيها على أبى حفص بن برد ، وخالفه فيما ذهب إليه من تفضيل الورد على البهار وغيره من الأزهار ، وأجرى فيها المحاورة والمناظرة والمراسلات على ألسنة الأزهار التى جعلها تقر بالفضل للبهار على الورد وغيره من النواوير ، وتعقد له البيعة ، وشهد على هذا العقد كل من البنفسج والنرجس ، والخيرى النمام ، والأقحوان ، والخيرى الأصفر ، وكل منهم دبج شهادته بالنثر والشعر ، وهنا نجد أبا الوليد يجرى على لسان كل منهم أبياتا من الشعر [(٣)] يفصح فيها عن تراجعه فى تفضيل الورد ، والاعتراف بفضل البهار فهذا البنفسج يقول :

---

(١) ديوان ابن الرومى (٦٤٤/٢) .

(٢) انظر البديع ٦٤ .

(٣) انظر المصدر السابق ٦٩ .

أما البنفسج فهو يشهد أنه متذمم مما جنى متنصل
متبرئ من بيعة الورد التى لم يَبر منها داؤه المتأصل
متين فضل البهار وعالم أن البهار هو المليك الأفضل

ويقول النرجس :

أشهد النرجس أشهاد محق أن بَذْر الورد فى الملك مُحِقْ
ورأى أن البهار المجتلى فى سماء الحسن بالملك أحق
فمتى كُذِّب قول أبدا قيل فى قولته هذى صدق

ويقول الخيرى النمام :

أشهد الخيرى أن الخير فى نقض ما أخطأ فيه أولا
موقنا أن البهار المرتضى بهر الأملاك حالاً وحُلا

ويقول الأقحوان :

أشهدَ الأقحوان أن جناه كافر بالذى سواه جناه
قائل قولَ من تبرأ قِدْماً من هوى من قضى عليه هواه
إن نور الربى عبيد وكل للبهار البهى يقضى ولاه

ويقول الخيرى الأصفر :

أصفـر الخيرى يشهـد أن عقْدَ الورد قد رُد
ويرى أن البهار المنـــــتقـــى أعلى وأمجد
ملك يقظـــان يأتى وصنوف النـور هُجّـد

وهكذا نرى أن الشعر برز هنا بروزاً ظاهراً فى ثنايا النثر ، على أن مثل هذه الظاهرة التى يعمد فيها الكاتب إلى تضمين أبيات من الشعر فى غضون مايدبجه يراعه من النثر تعد من الظواهر الشائعة والملموسة لدى الكتاب الأندلسيين إظهاراً لما يتمتعون به من مواهب أدبية متعددة للجمع بين النثر والشعر فيما هو من إبداعهم ، وقد بلغت براعة بعضهم إلى حد لا تكاد تفرق فيه بين لغة الشعر والنثر إذ أنك تحس وأنت تقرأ قطعة نثرية لبعضهم كأنما تقرأ نثراً منظوما ، أو نظما منثوراً لما يتجلى فى نثرهم من شفافية ورقة فى الألفاظ ، وتألق فى الخيال ، وإبداع فى التعبير .

٢ - العناية بالأمثال والحكم :

تبرز لدى أبي الوليد العناية بالأمثال والحكم فى نثره ، إذ نلمح فى ثناياه شيئاً من ذلك يعتمد فيه على تجاربه فى الحياة ، أو ماسمعه من الأسلاف ، أو اطلع عليه وقرأه فى كتب الأدب والأمثال ، فمن ذلك مثلا قوله فيما أجراه على لسان بعض النواوير (من مدح امرءًا بما ليس فيه فقد بالغ فى هجائه) وقوله أيضا : (اللبيب من عدّت سقطاته ، والأريب من حصّلت هفواته) وقوله من أمثالهم : رب عجلة تبعث ريثا ، ورحم الله القائل : وقد يكون مع المستعجل الزلل .

ويلاحظ هنا أن بعض ما أورده أبو الوليد من الأمثال يعد من قبيل الأقوال الجامعة التى تجرى مجرى المثل ، كما يبدو من المثلين الأول والثانى ، وبعضها من قبيل الأمثال المأثورة كما يظهر من المثال الأخير ، ويبدو أن الاعتماد على الحكم والأمثال من الظواهر المألوفة لدى الكتاب الأندلسيين ، ولاشك أن مثل هذا النهج ينم عن وعى وفهم عميق لواقع حياة الناس ، وما تعج به من أحداث ومشكلات اجتماعية وسياسية وثقافية تنعكس على ألسنتهم فى صورة حكم وأمثال .

٣ - القيم الأخلاقية والإنسانية :

استجلاء القيم الأخلاقية والإنسانية من خلال الوصف لمظاهر الطبيعة ، والمقدرة على إيجاد التلاحم بين هذه القيم المعنوية وبين مظاهر الوصف المادية لإبراز المعالم الجمالية المتجلية فى تلك القيم المعنوية وما تعلقت به من وصف الطبيعة ، ويلحظ ذلك فى النثر الأندلسى خلال القرن الخامس ، ويبرز لنا عند أبى الوليد حينما نجده يقرن بين الجمال المادى فى الربيع وبين جمال الأخلاق التى اكتسبها من الشخص الذى وجهت إليه الرسالة ، وهو أبوه حيث يقول : (لما خلق الربيع من أخلاقك الغر ، وسرق زهره من شيمك الزهر ، حسن بكل عين منظره ، وطاب فى كل سمع خبره ، وتاقت النفوس إلى الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف على بعض ماتحتويه من النور الذى كسا الأرض حُللا) [١]

---

(١) البديع ٣٣ .

ونجد مثل ذلك فى مطلع رسالته التى أجاب بها على رسالة أبى الوليد العثمانى إذ يقول فى مطلعها : (فلمّا تعاهدت خيريّك عهاد شيمك ، ودامت عليه ديم كرمك بكر متنعما منها متنفسا عنها ، ولا ند له إلّا الند ، ولا مَسْك له إلا المِسك) [١] .

٤ – التشخيص :

– تبرز لدى أبى الوليد ظاهرة التشخيص المتمثلة فى استعمال الصور البيانية كالتشبيه والاستعارة والمجاز ، وقد برع فى هذا الجانب براعة ظاهرة فى أكثر صوره التى نسجها باتقان ينم عن موهبة ثرة ، وحسن أدب لماح ، وخيال مجنح واسع شأنه شأن لداته من الأدباء الأندلسيين ممن يعتز هو نفسه بمقدرتهم على الإبداع فى التشبيه ، وتفوقهم فى ذلك على أهل المشرق إذ نراه يقول فى مقدمة كتابه البديع : (لكن أهل المشرق على تأليفهم لأشعارهم ، وتثقيفهم لأخبارهم منذ تكلمت العرب بكلامها ، وشغلت بنثرها ونظامها إلى هلمّ جراً لا يجدون لأنفسهم من التشبيهات فى هذه الموصوفات ماوجدته لأهل بلدى) [٢] ومثل هذا الكلام فيه شيء من المبالغة إذا أخذ على إطلاقه ، وقد يزول ذلك إذا قصرنا النظرة فى هذا الصدد على براعة الأدباء الأندلسيين فى مجال وصف الطبيعة شعراً ونثراً إذ امتازوا بألوان من التصوير والتشخيص جادت بها عليهم طبيعة بلادهم الفاتنة مما لم يكن متهيئا لأدباء المشرق ، وعلى أى حال فقد كان لأبى الوليد نصيب من براعة الأندلسيين فى التصوير والتشخيص ، فهو يتحدث عن نواوير الربيع التى اكتست الأرض منها بحلة بديعة تبدو كأنها نجوم نثرت على الثرى يقول عن الربيع : (حسن لكل عين منظره وطاب فى كل سمع خبره ، وتاقت النفوس إلى الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف على بعض ما تحتويه من النّور الذى كسا الأرض حللاً ، ولا يرى الناظر فى أثنائها خللا ، فكأنها نجوم نثرت على الثرى ، وقد ملئت مسكاً وعنبرا) [٣] ويقول أيضا فى موضع آخر : (وقد

---

(١) المصدر السابق ١١٦ .
(٢) المصدر السابق ٤ .
(٣) البديع ٣٣ .

حللت محلاً عنى الجو بتحسينه ، وانفرد الربيع لتحصينه فكساه حللاً من الأنوار بها ينجلى صدأ البصائر والأبصار) [1] وفى رسالته التى أجرى الحوار فيها على ألسنة الأزهار نجد أن البيعة التى تمت للورد تفغر عن فيها فى قوله : (وصلت إلينا بيعة اشترى بها من سعى فيها ، وفغر عن فيها خسران الدنيا والآخرة) [2] ونجد أن الأقحوان والخيرى الأصفر يقرآن : (ثم قرأ عليه الأقحوان والخيرى الأصفر كتاب النواوير الربيعية) [3] كما نجد أن للسقم جلبابا ، وللهرم سربالاً فى قوله على لسان النرجس (تبًّا لتلك الفعلة الدميمة والقضية الذميمة التى جلببتنى جلباب السقم ، وسربلتنى سربال الهرم) [4] .

٥ - استعمال الجمل الدعائية والمعترضة :

استعمل الجمل الدعائية والمعترضة التى تأتى غالبا بقصد الدعاء لمن يوجه إليه الكلام ، ويكثر استعمالها فى الرسائل الديوانية كالمدح والتهانى ، والتعازى . ورسائل الشفاعة ، والوصايا ، والاستغاثة ، ومايجرى مجراها ، أما فى الرسائل الوصفية فيقل دورانها ، ونجد شيئا منها لدى أبى الوليد فى رسالته التى خاطب بها ذا الوزارتين القاضى بن عباد إذ يقول : (وهى يامولاى الذى رقه لى شرف ، وجوده على سرف ، ومن أبقاه الله لرفع شأن ودُود ، وضع شأن حسود) [5] وفى قوله على لسان النواوير الربيعية مخاطبة الأقحوان والخيرى الأصفر : (فقنا وفقكما الله ، ولا أخلاكما من هداه بالنواوير المخاطبة لنا) [6] .

---

(١) المصدر السابق ٣٤ .
(٢) المصدر السابق ٦٤ .
(٣) المصدر السابق ٦٦ .
(٤) المصدر السابق ٦٩ .
(٥) المصدر السابق ٦٢ .
(٦) المصدر السابق ٦٤ .

ويشيع ذلك فى كتابه البديع عندما يمهد لمقطوعة شعرية أو نثرية قيلت فى حق بنى عباد أو من فى محيطهم من الأمراء والوزراء والقضاة [١] .

٦ - الأسلوب القصصى :

خاض أبو الوليد غمار الأسلوب القصصى الذى يعتمد على الحوار ، والذى شاع أكثر ما شاع فى الكتابة الوصفية ، وخاصة فيما أجرى على ألسنة الأزهار من المحاورات والمناظرات والمراسلات ، وذلك بما يمثل المعنى المبسط للقصة فى مفهومها ونمطها المألوف لدى الأدباء القدامى فيما أثر عنهم من حكايات وأخبار ، ومؤلفات ذات طابع قصصى مما لايصل إلى حد المفهوم المتعارف عليه لفن القصة فى العصر الحديث ، والبناء القصصى بالمفهوم الذى أشرنا إليه يتحدد عند أبى الوليد فى رسالته التى أجاب فيها على رسالة أبى حفص بن برد ، ورد عليه فيما زعم من تفضيل الورد على بقية النواوير ، ومنهم البهار الذى انتصر له أبو الوليد وجعله المقدم على سائر الأزهار بعد محاورات ومداولات ومناظرات ومراسلات دارت بين البنفسج ، والنرجس ، والخيرى النمام ، والأقحوان ، والخيرى الأصفر ، وبين نواوير الربيع ، وكل منهم تحادث مع الآخر ، وحاوره ، وراسله ، وأفصح عن رأيه وموقفه ، وقد استعرضنا هذه الرسالة فيما سبق ، ورأينا إلى أى حد استطاع أبو الوليد أن يستنطق الأزهار ، ويجرى على ألسنتها بخياله المجنح صوراً من النثر الفنى تارة ، ومن الشعر المعبر تارة أخرى ، يسرد من خلالها فى الظاهر أبرز ماتتصف به الأزهار من صفات الجمال لمن له حظ عنده ، أو صفات الذم والقدح لمن ليس له حظ ، وتم ذلك فى مجلس اجتمعت فيه زمرة من النواوير هى البنفسج ، والخيرى النمام ، والبهار ، والنرجس ، وقد اتفقت هذه الأزهار على تقديم الورد وتفضيله ، وكتبت بذلك كتاباً إلى صنوف الأزهار تأمرها بالوقوف عندما اتفقت عليه غير أن نواوير الربيع انبرت لها وراحت

---

(١) انظر المصدر السابق ١٠ ، ١١ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ١٢٩ .

تعمل على إبطال ما ذهبت إليه ، وكتبت بذلك إلى أقرب الأزهار إليها إلى الأقحوان ، والخيرى الأصفر ، وقد اقتنعا بما جاء فى رسالة نواوير الربيع من تفضيل البهار على الورد وغيره ، وقاما بدورهما فى إقناع الأزهار بموقفهما وموقف نواوير الربيع ، وانتهى الأمر بعقد البيعة للبهار بعد أن ناله شيء من التأنيب الرقيق على تناسبه لفضله ، وانضمامه لبعض الأزهار فى الاتفاق على تفضيل الورد [1] .

على أن أبا الوليد لم يكن مبتكراً لهذا اللون من النثر الذى يعتمد على الأسلوب القصصى ، بل له جذور سابقة فى آثار الأدباء من المشارقة والأندلسيين فقد وجدنا منه بدايات أولية فى العصر الجاهلى والإسلامى تجلت فى الشعر ، وبعض ألوان النثر ، غير أن البناء القصصى المتماسك إنما بدأ يطل علينا فى أواخر عهد الدولة الأموية على يد ابن المقفع الذى طلع علينا بروائع من النثر العربى فى كتابه :الأدب الصغير ، والأدب الكبير وأطلعنا على بعض آثار الأدب الفارسى مما ينحو المنحى القصصى حينما ترجم كليلة ودمنة ، واتسعت دائرة البناء القصصى فى العصر العباسى ، وأبرز ما يتجلى فيه ذلك ما ظهر على يد الجاحظ فى كتابه : البخلاء ، إلى جانب ظهور المقامات ، وكثرة القصاص ، والوعاظ ، والمذكرين الذين يسردون الحكايات والقصص ، وما كان من ميول بعض الشعراء إلى الأسلوب القصصى فى شعرهم كما يتضح لدى أبى نواس وغيره من الشعراء .

أما الأدباء الأندلسيين فقد كان لهم اهتمام واضح بالبناء القصصى فيما لهم من نثر فنى ، ويتجلى ذلك عند رائد من روادهم فى هذا المضمار ذلكم هو الشاعر والكاتب الأندلسى المشهور أبو عامر بن شهيد الذى أنشأ رسالته المعروفة بالتوابع والزوابع ، وبناها بناء قصصيا خياليا يتسم بالبراعة الفنية ، والقدرة البيانية على تصوير رحلته الخيالية فى عالم الجن واللقاء بشياطين الشعراء ، والخوض على ألسنتهم فى أحاديث شيقة تتصل بالأدب والشعر والفكاهة والطرائف ، وكان لذلك أثره الواضح

---

(١) انظر البديع ٦٢ – ٧١ .

على من جاء بعد ابن شهيد من الأدباء والكتاب الأندلسيين الذين انتهجوا الأسلوب القصصى فى كتاباتهم ولاسيما الكتابة الوصفية ، على نحو ما نجد عند أبى حفص بن برد فى رسالته التى فضل فيها الورد ، وأجرى الحوار فيها على السنة الأزهار [(١)] ومن ثم تأثر به أبو الوليد فى رسالته التى عرضنا لها ، والتى أجاب فيها على رسالة أبى حفص ابن برد ، ولعل أبا الوليد حينما جنح إلى مثل هذا الأسلوب القصصى فى رسالته إنما كان يهدف إلى إمتاع القارىء والسامع ومؤانسته بلون خيالى من التعبير فيه جاذبية ، ومتعة فنية تشد المتلقى له ، وترضى ذوقه ، وتتجاوب مع ميوله ، وميول الإنسان بعامة إلى الخيال ، وحيوية أسلوب النص بالحوار والمناظرة ، وربما كان فى هذا الأسلوب متنفسا للأديب للتعبير عن مشاعره بشكل غير مباشر .

٧ – المحسنات البديعية :

استعمل أبو الوليد بعض المحسنات البديعية كالسجع ، والجناس ، والطباق ، وله فى هذا المجال باع طويل ينم عن مدى مايتمتع به من ثروة لغوية ، وحذق لمواطن الجمال فى استخدام الألفاظ استخداماً يجعلها تتناغم تناغماً موسيقيا ، وتتناسق وتتساوق حينا ، وتتفق شكلاً ، وتختلف دلالة ومعنى أحيانا ، أو تختلف شكلاً ، وتتضاد معنى ، ويكاد فى استعماله للمحسنات البديعية أن يقف موقف القصد والاعتدال ، وأن يصدر فيها عن عفو الخاطر دون تكلف ، أو تصنع بالقدر الذى يحسن به الإيقاع ، وترتاح إليه الأسماع .

ويمتاز السجع لديه إلى جانب ماذكر بقصر الفقرات ، وسهولة الألفاظ ، وعدم التكلف فمن ذلك قوله : (لما خلق الربيع من أخلاقك الغر ، وسرق زهره من شيمك الزهر ، حسن لكل عين منظره ، وطاب فى كل سمع خبره) [(٢)] .

---

(١) انظر المصدر السابق ٥٧ – ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٣ .

وقوله : (قد علم سيدى أن بمرآه يكمل جذلى ، ويدنو أملى ، وقد حللت محلاً عنى الجو بتحسينه ، وانفرد الربيع لتحصينه ، فكساه حللاً من الأنوار بها ينجلى صدأ البصائر والأبصار) [1] وقوله : (فلما تعاهدت خيريك عهاد شيمك ، ودامت عليه ديم كرمك) [2] ، ونجد الجناس فى قوله : (والله ما أرق بصرى ، وأرق بَشَرى ، وأغاض نهاراً ماءَ بِشْرى ، وأعمد فيه سيف نشرى) [3] وقوله : (ولا ندله إلا النَّد ، ولامَسْكَ له إلا المِسْك) [4] أما الطباق فتجده فى قوله : (وأنّبا البهار مفرداً تأنيباً يقيمه ويقعده) [5] والطباق بين يقيمه ويقعده ، وفى قوله : (ونفديه لفضله علينا بالطريف والتليد) [6] بين الطريف والتليد ، وفى قوله : (من غاب عنها بشخصه ، ولم يحضرها بنفسه) [7] بين غاب وحضر .

٨ - الألفاظ :

تمتاز ألفاظه بالسهولة ، والبعد عن الغرابة ، ويصعد غالباً إلى اختيار الألفاظ المغيرة ذات التناغم الموسيقى كما فى قوله : (فلما وصل كتاب النواوير الربيعية وهى متصلة من تلك الخطيّة وقع فيها مواقع الماء من ذى الغلة الصادى ، وقوله على لسان البهار : (والله مادخلت معهم فى ما أحدثوه ولا تابعتهم على ماصنعوه إلا حياءً من تعريفهم بمالا يجهله الجاهلون ، ولا يغلط فيه الغالطون ، وليس من ترك حقه ملوما ، وإنما الملوم من تسور على غير حقه وادعى سوى واجبه ، ولولا بدوّ ذلك لجميعكم ،

---

(١) البديع ٣٤ .
(٢) المصدر السابق ١١٦ .
(٣) المصدر السابق ٦٩ .
(٤) المصدر السابق ١١٦ .
(٥) المصدر السابق ٦٥ .
(٦) المصدر السابق ٦٥ .
(٧) المصدر السابق ٦٨ .

وظهوره إلى رفيعكم ووضيعكم) [١] فأنت ترى هنا كيف استعمل للتعبير عن مراده ألفاظاً سهلة معناها فى متناول الجميع إلى جانب ماتحمله من جرس موسيقى فى ذلك التجانس بين : (الجاهلون الغالطون ، لجميعكم ، رفيعكم ، وضيعكم) .

ويلاحظ أنه يستعمل الألفاظ ذات الدلالات المتعددة من حيث المعنى ، والمتفقة من حيث المبنى فى حروفها مع الاختلاف فى الحركة والشكل مما يعرف بالمثلث لدى علماء اللغة ، ويظهر ذلك فى قوله : (ولا ندّ له إلا النَّد ولا مَسْك له إلا المِسْك) [٢] وقوله : (تحت جَناح الظلام ليسلم من الجُناح والملام) [٣] وفى ذلك دلالة على مايتمتع به من ثروة لغوية ثرة .

(١) المصدر السابق ٦٧ .

(٢) المصدر السابق ١١٦ .

(٣) المصدر السابق ١١٦ .

ثالثا – أبو الوليد الناقد

أ – تمهيد حول النقد فى الأندلس قبل أبى الوليد وفى عصره :

بدأ النقد الأدبى فى بلاد الأندلس وليداً مع بداية النهضة الأدبية حيث كان طلاب العلم ، والمتطلعون إلى الأدب يتلقفون مايفد إليهم من المشرق من شعر ونثر ولغة ، ويتناقلونه فيما بينهم ، ويتناولونه بالدرس والشرح والتعليق فى منتدياتهم العامة ، وفى مواطن الدرس والتعليم ، وكان لجامع قرطبة فى أواخر القرن الثانى دور كبير فى إثراء الحركة العلمية ، والأدبية فى الأندلس ، إذ كان مهوى أفئدة طلاب العلم ، وملتقى العلماء يتدارسون فيه علوم الشريعة ، واللغة ، والأدب ، والتاريخ ، وغير ذلك من العلوم الأخرى ، وقد رحل بعض علماء الأندلس إلى المشرق والتقوا ببعض العلماء ورواة اللغة والأدب والشعراء ، فممن رحل نجد مثل الغازى بن قيس المتوفى سنة (١٩٩) (١) ومثل عثمان بن المثنى من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الملك رحل إلى المشرق فلقى جماعة من رواة الغريب وأصحاب النحو والمعانى ، منهم محمد بن زياد الأعرابى ، والتقى بالشاعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى وقرأ عليه ديوان شعره ، وأدخله الأندلس رواية عنه ، وأدب أولاد الإمام عبد الرحمن بن الحكم ، وتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين (٢) ، وكان لذلك أثره على بعض المؤدبين الأندلسيين الذين نقلوا بعض آثار المشارقة فى النقد ولاسيما نقد الرواة ، وفى هذه الفترة كان تناول الأدب شعراً ونثراً يتميز بالبساطة ، والتوجيهات الذاتية التى تدور غالباً حول الألفاظ ، وتوضح بعض المعانى ، والإشارات البلاغية ، وإذا كنا فى هذه الفترة لا نملك من النصوص مايكفى لرسم صورة واضحة المعالم لطبيعة اللفتات النقدية ، فإننا فى القرن الرابع نجد أسماء تلمع فى الأفق ، وتعمل على اتساع صدى الحركة النقدية الأندلسية ، ونلمح فيها بريقا لبعض الملامح النقدية التى تدور فى أوساط المشرق إذ نجد لدى الأندلسيين الاتجاه إلى تأليف كتب فى طبقات الأدباء والشعراء تتحدث عنهم ، وترصد آثارهم ، يذكر لنا ابن الفرضى أن الأقشتين محمد بن موسى بن هاشم بن

---

(١) انظر بغية الوعاة (٢/٢٤٠) .

(٢) تاريخ علماء الأندلس القسم الأول ٣٠٢ رقم ٨٩١ .

يزيد [1] (ت ٣٠٧) قد وضع كتاب طبقات الكتاب فى الأندلس ، كما ألف عثمان بن سعيد الكنانى (ت ٣٢٠) كتاب طبقات الشعراء بالأندلس [2] ومن مثل هذه المؤلفات نحس بالاتجاه إلى مبدأ الطبقات الذى كان معروفاً فى المشرق منذ وقت مبكر على يد محمد بن سلام الجمحى المتوفى سنة (٢٣١) فى كتابه طبقات فحول الشعراء ، وهو مبدأ قد يعتمد تقسيم الشعراء فى طبقات على أساس من الإجادة والقوة والفحولة فى الشعر ، أو على أساس من البيئات ، أو الزمن ولا يخلو من سرد نصوص شعرية مع بعض التعليقات ، والملاحظات التى تشتمل على شىء من الملامح النقدية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إننا نجد أنفسنا فى أوائل القرن الرابع أمام موسوعة أدبية ضخمة تمثلت فى كتاب العقد الفريد للأديب الشاعر أحمد بن عبد ربه المتوفى سنة (٣٢٨) ولو أردنا أن نفصل القول فى هذا الكتاب ، ومنهجه ، وهدفه ، وما اشتمل عليه من آثار المشارقة ، وما عرضه خلال ذلك من قضايا أدبية ونقدية لطال بنا أمد الحديث ، ويهمنا هنا التنويه على أن ابن عبد ربه يمثل بكتابه العقد الفريد نقطة التلاقى بين أدباء المشرق والأندلس ، ويعرض لكثير من القضايا النقدية المأثورة عن رواة الأدب واللغة فى المشرق ، من مثل بعض القضايا النقدية التى تتصل بالبلاغة والبيان ، والكتابة والكتاب ، والشعر والشعراء ، ومايعاب من الشعر ، وما لا يعاب ، وتقبيح الحسن ، وتحسين القبيح ، والضرائر ، وبعض الأمور التى تتعلق باللفظ والمعنى ، وفضائل الشعر وسرقاته . ولاشك أنه بذلك يضع بين أيدى الأندلسيين أسساً نقدية مشرقية ، وكان صنيعه هذا من العوامل الأساسية التى أدت إلى توسيع دائرة النقد وتطوره فى الأندلس إلى جانب المؤثرات الأخرى المتمثلة فى ظهور مدرسة أبى على إسماعيل بن القاسم القالى (ت ٣٥٦) فى كتابه الأمالى الذى نقل به آثارهم وأدبهم إلى الأندلس مع مايعن له من ملاحظات نقدية ، وقد توخى به هدفا تأديبيا يرمى إلى صقل المواهب الأدبية بما أورده فيه من شعر ونثر وأخبار ولغة ، وكأنه يتمثل فى ذلك ماقرره الأصمعى بقوله : (لا يصير الشاعر فى

---

(١) المصدر السابق القسم الثانى ٢٩ - ٣٠ رقم ١١٧٣ .

(٢) المصدر السابق القسم الأول ٣٠٣ رقم ٨٩٢ .

قرض الشعر فحلاً حتى يروى أشعار العرب ، ويسمع الأخبار ، ويعرف المعانى ، وتدور فى مسامعه الألفاظ) [١] ومن الأمور التى برز فيها النقد لدى الأندلسيين خلال القرن الرابع ماكان من ظهور بعض الشروح للشعر من مثل شرح ديوان صريع الغوانى لأبى العباس وليد بن عيسى بن حارث بن سالم المعروف بالطبيخى ، أو الطينيجى (ت ٣٥٢) الذى كان (بصيراً بالشعر ، حسن الاستنباط لمعانيه ، جيد النظر فيه ، شرح شعر أبى تمام الطائى ، وشعر مسلم ابن الوليد ، فأخذ الناس عنه هذه الشروحات ، وكان مؤدباً بعيد الاسم فى التأديب يتنافس فيه الملوك) [٢] وفيما بين القرنين الرابع والخامس نلتقى بنقاد أندلسيين مبدعين يأتى فى طليعتهم أبو عامر عبد الملك بن شهيد المتوفى سنة (٤٢٦) وهو صاحب الرسالة الخيالية المشهورة باسم التوابع والزوابع التى ناقش فيها قضايا أدبية ونقدية جديرة بالاهتمام صدر فيها عن وعى وتجربة ، وهى تمثل منعطفاً جديداً فى النقد الأندلسى غير الذى كان معهوداً فى حلقات المؤدبين والمعلمين الذين يعتمدون على أحكام سريعة ولفتات نقدية فردية ذوقية ، إذ نجد له نظرات نقدية عميقة تتناول أساليب الأدباء والشعراء ، وخصائصهم ، ومدى حظهم من الجودة ، والإبداع الفنى ، والموهبة والبيان ، والبديهة الشعرية ، واللفظ الرائق ، والمعنى الرفيع ، وتناول ذلك بأسلوب قصصى مبتكر يعتمد على الخيال ، وعرض من خلاله مواقفه من أهم القضايا الأدبية والنقدية .

وفى هذه الفترة أيضا نلتقى بأحد النقاد المشهورين من شراح الشعر ، وهو أبو القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بابن الأفليلى (ت ٤٤١) [٣] الذى شرح ديوان المتنبى ، وتعرض فى ثنايا شرحه لكثير من القضايا اللغوية والبلاغية ، والأدبية والنقدية شأنه فى ذلك شأن الشراح الآخرين الذين تناولوا ديوان المتنبى بالشرح . ولا

---

(١) المصدر السابق القسم الأول ٣٠٣ رقم ٨٩٢ .

(٢) تاريخ علماء الأندلس القسم الثانى ١٦٢ رقم ١٥١٢ .

(٣) انظر ترجمته فى الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٢٤٠ ، وجذوة المقتبس ١٤٢ - ١٤٣ .

ننسى ابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦) الذى كانت له آراء نقدية أودعها فى رسالة له سماها رسالة مراتب العلوم [١] ، وقد كان لهؤلاء النقاد دور بارز فى ازدهار الحركة النقدية بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس .

ب - المعالم والقضايا النقدية عند أبى الوليد

فى هذا المحيط للنقد الأدبى فى الأندلس الذى استعرضناه استعراضاً سريعاً وموجزاً ظهر الأديب الناقد أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميرى بتوجيهاته وملاحظاته وآرائه النقدية التى أودعها كتابة : (البديع فى وصف الربيع) وقد ضم الكتاب بين دفتيه قضايا نقدية جوهرية تشكل لبنات جديرة بالعناية والاهتمام فى تاريخ النقد الأدبى ، إذ نراه يحلق فى آفاق نقدية تمس ركنى النص الأدبى المتمثلين فى الشكل والمضمون مع الكشف عن مواطن الجمال فى الصورة البيانية ، وموازنات ، ومقارنات بين المقطوعات الشعرية ، وتحليل للألفاظ إلى أحكام عامة تنم عن ذوق ، وإدراك لمواطن الحسن والإبداع ، ومن إلماح إلى السرقات إلى الإشادة بسرعة البديهة ، والمعانى المخترعة ، والأوصاف المبتدعة ، وحسن الإنتقال من غرض إلى غرض مما يتصل بالأغراض الشعرية ، وعلى الرغم من ذلك لم نجد من عنى بآرائه النقدية عناية كافية من الباحثين فى تاريخ النقد الأندلسى ، ومنهم الدكتور رضوان الداية الذى اكتفى بإشارات عابرة لم تتجاوز صفحة واحدة ، والدكتور مصطفى عليان عبد الرحيم ، وهو فى تقديرى أوفر حظاً من سابقه حيث تناثرت لديه إشارات لبعض آراء أبى الوليد النقدية فى مواطن متفرقة من كتابه تيارات النقد الأدبى فى الأندلس فى القرن الخامس . ونحاول هنا أن نعرض بشىء من الإيضاح والتفصيل لما وقفنا عليه من أراء أبى الوليد وملاحظاته النقدية التى تبرز لنا فى كتابه البديع وذلك على النحو التالى :

١ - الصور البيانية والتشبيهات :

عنى أبو الوليد عناية واضحة ملموسة بالتنويه عن صفات الحسن والجمال ، والإبداع فى الصور البيانية التى تتجلى فيما يعرضه ويختاره من الشعر ، ولا سيما

(١) انظر تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس ٣٠٧ .

التشبيهات التى تشيع فى أشعار الأندلسيين التى يعتبرها بعضهم أساس تفوقهم ، وموطن اعتزازهم ، وتفاخرهم على من سواهم من أدباء المشرق فيما عرف عنهم من تلاح بينهم وبين الأدباء المشارقة ، ونحا هذا النحو أبو الوليد نفسه حينما أشاد فى مقدمة كتابه البديع بتشبيهات الأندلس التى قصر كتابه عليها ، ويشيد بها إشادة تشم منها رائحة التعصب والمغالاة التى يمحو بها كل أثر للإجادة عند المشارقة إذ يقول ولكن أهل المشرق على تأليفهم لأشعارهم ، وتثقيفهم لأخبارهم منذ تكلمت العرب بكلامها ، وشغلت بنثرها ونظمها إلى هلم جرا لا يجدون لأنفسهم من التشبيهات فى هذه الموصوفات ما وجدته لأهل بلدى على كثرة ماسقط منها عن يدى بالغفلة ... فلهم فيه من الاختراع الفائق ، والابتداع الرائق ، وحسن التمثيل ، والتشبيه ما لا يقوم أولئك مقامهم فيه) [(١)] ولعل مما يعزز هذا الاتجاه أننا نرى من الأندلسيين من يعمد إلى إفراد تشبيهاتهم بالتأليف ، ويخصها بالتصنيف كما صنع أبو عبد الله محمد بن الكتانى الطبيب المتوفى سنة (٤٢٠) فى كتابه التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، وكأنى بأبى الوليد يسعى إلى ماسعى إليه سابقه من رصد التشبيهات سوى أنه حصرها فى دائرة وصف مظاهر الطبيعة وأزهارها ، بينما أفرد أبو عبد الله لذلك جزءاً يسيراً من كتابه الذى أورد فيه صوراً من التشبيهات فى موضوعات متعددة متنوعة ، ومن ذلك ندرك مدى عناية الأدباء ، والنقاد الأندلسيين بالصورة الشعرية تلك العناية التى جعلت أبا الوليد يصرف القول فى التشبيهات على وجوه عديدة نتمثلها فيما يلى :-

(أ) يحرص أبو الوليد على الكشف عن مواطن الحسن والجمال فى صور التشبيه التى ترد لدى الشعراء ويحاول أن يتلمس ذلك بإبراز صورة التشبيه مع الإفصاح عن مكامن الجمال فى رسم تلك الصورة ، فمن ذلك أننا نراه يورد مقطوعة لأبى عمر الرمادى يصف فيها الربيع ، ويعجب منها بوصفه للسحائب حين يقول :

---

(١) البديع ٤ .

في إثرها وقفت ملاحم تجتلى التاريخ بين سحائب ومحول
فكأنها جيش بدهم خيول غاز إلى جيش بشهب خيول

ويفصح عن هذا الإعجاب بقوله : (قوله : فكأنها جيش بدهم خيول البيت شبه السحاب فى اسودادها بالخيل الدهم ، والأرض فى ابيضاضها قبل النبات بالخيل الشهب ، وهذا من أبدع ما استعير لهذا الموضع ، ومما حسّنه ذكر الغزو بينهما) (١) .

وفى موطن آخر يذكر قطعة لأبى جعفر بن الأبار يصف فيها الباقلاء يقول :

وباقِــــلاء باقــــــل يُعْجِبُ حسنا من رمقْ
كـــأنـــمــــــا نوّاره إذْ رَاق خلْقا وخُلُقْ
أذْقـان بيض غُلّـقتْ لمبصر ومُنْـــــــتشِقْ
أو أعينٌ حور جرت إلى مآقيها الحدقْ
وهــــدبها مُسْتَبْطِــــــن فى ورق من الـورقْ

ولم يفت أبو الوليد أن يكشف لنا عن بديع التشبيه فى هذه الأبيات فيقول : (قوله : جرت إلى مآقيها الحدق . بديع غريب لأن السّواد الذى جعله حدقةَ العين هو فى ناحية من النّور ، وليس متوسطاً له ، فكأن الحدقة قد جرت إلى المآق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف ، وهُدْبها مستبطن : البيت وهو مما أكمل به الوصف ، وتمم التشبيه ، لأن فى الورقة التى ظاهرها تلك الصفة المتقدمة خطوطاً سوداً جعلها هدباً لتلك العيون) (٢) .

وهو حينما يذكر التشبيهات النادرة ، والمخترعة دون أن يعقب عليها بشىء من الإيضاح الذى يعزز به حكمه فى الإعجاب ، والاستحسان فعند قول ابن القرشية :

كأن الثرى ستر تُمدّ خلاله بأكواس راح راحهن الكواعب
يسترن من فرط الحياء معاصما بأكمامهن الخضر عَمَّـن يراقب

نراه يمهد لهذه القطعة فيقول : (من التشبيهات العقم التى تدل على يقظة

---

(١) المصدر السابق ١٤ .
(٢) المصدر السابق ١٥٧ .

الفهم قول ابن القرشية عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، ثم يعقب بقوله : (جعل قُضُبَه الخضر معاصم مستورة بأكمام خضر ، وجعل أكفّها مُبْيضة وكؤوسها مصفرة) [١] ويضع ذلك غالبا فى أكثر المقطوعات التى يمهد لها بعبارات الإعجاب والاستحسان (مثل من السابغ برد كماله ، السائغ ورد جماله) [٢] ومثل . (ومن غريب الوصف فى عجيب الرصف) [٣] .

وهنا نلاحظ أن أبا الوليد يتأمل فى تركيب الصورة ، ويستجلى ما تنطوى عليه من إبداع يثير الإعجاب بها ، ويدفع إلى استحسانها ، وهو يصدر فى ذلك عن ذوق فنى رفيع ، وحس أدبى مرهف ، وتأمل دقيق لملامح الجمال فى صور التشبيه .

(ب) لأبى الوليد موقف واضح من التشبيهات المألوفة التى تشيع فى أوساط الشعراء ، ويتداولونها فيما بينهم بأشكال شتى غير أن منهم من يدور فى الفلك المألوف دون تميز أو إبداع ، ومنهم من يأخذ الصورة المألوفة ، ويضفى عليها من مواهبه حلة قشيبة مبدعاً ومجدداً فيما هو مألوف لدى غيره من الشعراء ، وقد لفت أبو الوليد أنظارنا إلى هؤلاء الذين يقصدون إلى الاتباع مع الإبداع والتجديد ، وذلك حينما أسمعنا قول أبى عبد الملك الطّليق يصف الورد والبهار :

وكأن الورد يعلوه ّالندى وجنة المعشوق تندى عرقا

ثم يعقب بقوله : (تشبيه الورد بوجنة المعشوق كثير إلا أنه أغرب بزيادة الندى ومقابلته بالعرق) [٤] وقد يدلى بشيء من التوجيه للشعراء الذين يأتون بشيء من التشبيهات المعروفة لكى يتهيأ لهم الإبداع ببعض التصرف فى الصورة فهو عند قول أبى عمر يوسف بن هارون الرمادى يصف الورد والأقاحى :

---

(١) المصدر السابق ١٠١ .

(٢) المصدر السابق ١٥٢ .

(٣) المصدر السابق ٨ .

(٤) المصدر السابق ٣٩ .

وفى الورد غضا والأقاحى محاسن سرقن من الأحباب للمتشوق
خدود عذارى لو تقضى حياؤها وأفواه حور لو سمحن بمنطق

نراه يوجه بقوله : (هذان التشبيهان معروفان لاسيما قلبهما ، ولكن لوفُهِّما حسّنتهما معاً ، وأبدعت فيها بِدعا) [1] فهو هنا يطالب بإيضاح الصورة التى أعتورها شيء من الغموض بقلب التشبيه غير أننا فى موطن آخر نراه يشيد بالتجديد ، والإبداع فى الصورة المألوفة حينما لجأ الشاعر أبو الأصبغ إلى قلب الصورة بنقل الوصف المعروف للخدود إلى وصف الورد فى قوله :

الـورد ماء ونـــار سالا على وجه بَضّهْ
ضدان فى صحن خد قد ألفا بعد بغضه

ومثل هذا التصرف يعد عند أبى الوليد (غايةٌ ووصف الورد نهاية ، وإن كان معروفا فى وصف الخدود ، فقلبه إلى وصف الورد ، مما أحسن فيه ، وأغرب به) [2] .

وفى بعض الأحيان نجد أبا الوليد لا يقف فى تحديد التشبيهات المألوفة موقفاً واضح المعالم ، بل يعتوره شيء من التردد ، والظن بحيث لا ندرى على وجه التحديد هل ماجاء به الشاعر يعد من التشبيهات المألوفة التى أضفى عليها من صنيعه مايجعله مبدعاً فى استجلائها ، أم أنها من اختراعه أصلاً ، كما يظهر من تعقيبه على أبيات للحاجب ابى الحسن جعفر بن عثمان المصحفى :

انظر إلى الروض الأريض تخاله كالوشى نمّق أحسن التنميق
وكأنما السنان صب مدنف لعبت يداه بجيبه المشقوق
يوم الوداع ومزقت أثوابه جزعاً عليه أيما تمزيق

يقول : شبه السوسن فى افتراقها بجيب مشقوق ، وهو معنى دقيق ، وقد تداوله جماعة ، وأظنه من اختراعه) [3] .

---

(١) المصدر السابق ٤٠ .
(٢) المصدر السابق ٥٢ .
(٣) المصدر السابق ٣٧ .

ويبدو أن مثل تلك المواقف من أبى الوليد تنطوى على رغبة منه فى الإشادة بمواهب الشعراء الأندلسيين ، ومقدرتهم على الإبداع بما يخرجهم عن دائرة الاتباع ، ولعله بذلك يؤكد موقفه من الدفاع عن تشبيهاتهم ، والتمادى فى تفضيلها على مايوجد فى بابها لدى المشارقة كما عرفنا سابقا ، وهو وإن كان يجنح فى بعض أحكامه إلى التعميم دون طرق التعليلات الكافية والمقنعة إلا أنه وفق إلى حد ما فى استجلاء مكملات الصورة التى تخرجها حسب تقديره من حيز الاتباع إلى حيز الإبداع .

(جـ) كثيراً مايصدر أبو الوليد فى إعجابه بالتشبيهات عن أحكام عامة يطلقها فى مستهل تقديمه لمقطوعة ، أو فى ثنايا التعقيب عليها ، فأبيات أبى الحسن ابن علی فى وصف السوسن تحمل أوصافاً حسنة ، وتشبيهات جيدة [1] ، ولأبى عمر أحمد بن فرج الجيانى قطعة فى الربيع غريبة التشبيه [2] ، ولأبى عمر الرمادى أيضا قطعة حسنة يصف فيها الربيع من قصيد مطول بديع التشبيهات ، ونجد له أيضا مثل قوله : فمن التشبيهات العقم قول أبى القاسم بن هانى الأندلسى [3] ، وقوله : ومن التشبيهات الأنيقة والتمثيلات الدقيقة قول أبى جعفر بن الأبار [4] وغالبا مايكون هذا التعميم غير ممثل لوجهة نظر نقدية متأنية تتعمق النص ، وتستجلى محاسنه بدقة ، وروية تدفع إلى القناعة بما يصدر عن الناقد من استحسان وإعجاب بقدر ما يمثل وجهة نظر فردية تعتمد على الذوق الخاص ، والتأثر الذاتى السريع .

(د) كشف عن أثر البيئة فى التشبيهات الأندلسية ، واعتبر تمثلها واستيحاءها مثار إبداع وإعجاب ، وملاءمة للطبع ، وبعداً عن التصنع ، فعند قول أبى عمر أحمد ابن فرج ، وقيل أخوه عبد الله يصف النرجس :

ونرجس تَطْرِف أجفانهُ ... كمقلة قد دب فيها الوسن
كأنه من صفرة عاشق ... يلبس للبين ثياب الحزن

---

(١) المصدر السابق ١٣٩ .
(٢) المصدر السابق ٨ .
(٣) المصدر السابق ١٦١ .
(٤) المصدر السابق ١٦٢ .

نرى أبا الوليد يقول : (جرى فى ثياب الحزن على مذهب الأندلس إذ ثياب حزنهم بيض ، وهو تشبيه بديع ، وتمثيل رفيع ، ومعنى مطبوع) [(١)] .

وكأن أبا الوليد يقرر بذلك أثر البيئة الفعال فى تشكيل الصورة ، وابرازها فى ثوبها الجذاب بتفاعل الأديب مع مايقع عليه نظره من مرئيات ، ويجرى فى محيطه من عادات وتقاليد ، وهذا ملمح نادر ينم عن نظره عميقة ووعى متفتح وذهن متوقد .

٢ - البديهة والارتجال :

وفى معرض الكشف عن مواطن الجمال فى صور التشبيه لا يغفل أبو الوليد عن التنويه بدور البدية ، وما لها من ميزة فى اكتساب النص الشعرى الجيد حسناً على حسن لاشتماله على صور بديعة صدر فيها الشاعر عن بديهة وعفو خاطر دون تكلف ، أو كد للقريحة ، ومع ذلك الغرض ، وجاء بدقيق المعانى ، والتشبيهات التى لا مثيل لها مما يعجز عنه من يتكلف فى صناعة النظم ، ويجهد نفسه فيها ، ويبدو ذلك من تعليقه على القطعة التى أوردها لذى الوزارتين القاضى الجليل فى وصف النيلوفر وهى :

كأنما النيلوفر المستحـ ـسن الغض البَهِج
مقلة خود ملئت سحراً وغنجا ودَعج
أو خاتم فى مضّة ومصه من السّبـج

ثم أخذ فى التعقيب عليها ، والكشف عن صورة التشبيه ، والإعجاب بتلك الصورة مما زاده إعجاباً بها أنها جاءت على البديهة دون تكلف يقول (شبه فى البيت الثانى بالعين فى السواد الذى بياضه هو أولى بهذا التشبيه ، وأحق أن يضاغ فيه من كل ما شُبه بالعين من البهار وغيره الذى لاسواد فيه يؤيد حقيقة تشبيهه ، وينصر صحة تمثيله ، ومثل هذا التشبيه المعدوم الشبه ، والتمثيل المنقطع المثيل لو وقع لمشتاق بصناعة الشعر عاكف على صناعة النظم مجهد نفسه فيها مُعان لمعانيها لاستغرب غاية الإستغراب ، واستعجب نهاية الاستعجاب ، فكيف ترى فضله ، وتعامين نبله ، وهو لا يعانى هذا ، ولا يتفرغ له ، وإنما عفو

---

(١) المصدر السابق ١٠١ .

سجيته ، وفيض بديهته) [1] .

ويظهر أن مفهوم البديهة عند أبى الوليد يقترن بالارتجال ، وسرعة تدفق المعانى والقوافى ، وكأنه لا يفرق بينهما بحسب ماهو سائد لدى بعض الأدباء ، والنقاد الأندلسيين فى حين أن هناك من يرى التفرقة بينهما - كما سيأتى - ولهذا نراه يحكى إعجابه ، وإعجاب أبيه وأبى الأصبغ بأبيات للقاضى ابن عباد أملاها على البديهة ، ومقياس إعجابه بها سرعة البديهة ، والقدرة على تدفق المعانى والقوافى فى التشبيهات الرائقة ، والصفات الرائعة ، يقول فى التعقيب على أبيات القاضى ابن عباد التى مطلعها :

أبلغ شقيقى عنى مقالـــة لتُــــمضنّه

قال أبو الوليد سمعت أبى وأبا الأصبغ يقولان : والله ما أكمل إملاء الأبيات بتلك التشبيهات الرائقة ، والصفات الرائعة إلا ونحن قد بهتنا من سرعة بديهته ، وقدرة فكره على تهذيب قوافيها ، وتذهيب معانيها فى أسرع من لا فى اللفظ ، وأعجل من رجع اللحظ) ولم يكتف بذلك بل راح يؤكد إعجابه بالأبيات ، وما اشتملت عليه من تشبيهات (كلها مستول على غاية الكمال مستوف نهاية الجمال) وزاده إعجاباً بها كونها جاءت عفو الخاطر على البديهة ذلك لأنه (لو وقع تشبيه من تلك التشبيهات لموسوم بهذه الصناعة متخذ لها كالبضاعة بعد إعمال فكره فيه ، وإشغال ذهنه به لكان مستذكراً مستغرباً ، فكيف باجتماعها على حسنها ، وانطباعها له - أعزه الله - بهديهة) [2] .

وإذا كان أبو الوليد قد أدلج مع الذين لا يفرقون بين البديهة والارتجال فى الأندلس ، فإن من المفيد الإشارة إلى أن بعض النقاد الأندلسيين يذهب إلى التفرقة بينهما على خلاف السائد ، ومن هؤلاء أبن رشيق القيروانى الذى يرى أن البديهة تحتاج إلى شيء من الفكر ، والتأمل السريع فى حين أن الارتجال تنثال معه المعانى ، والقوافى منهمرة متدفقة دون انقطاع ، ويؤكد ذلك فى قوله : (البديهة عند كثير من

(١) المصدر السابق ١٤٥ .

(٢) المصدر السابق ٥٣ .

الموسومين بعلم هذه الصناعة فى بلدنا ، أو من أهل عصرنا هى الاتجال ، وليست به ؛ لأن البديهة فيها الفكرة والتأمل ، والارتجال ماكان انهماراً وتدفقا لا يتوقف فيه قائله كالذى صنع الفرزدق) [1] ، وكرر ابن بسام فى الذخيرة ماذهب إليه ابن رشيق فى مفهوم البديهة والارتجال [2] ، وهذا المفهوم هو الذى توسع فيه ابن ظافر الأزدى فيما بعد حينما قرر فى كتابه بدائع البدائه (أن الارتجال هو أن ينظم الشاعر ماينظم فى أوحى من خطف البارق ، واختطاف السارق ، وأسرع من التماح العاشق ، نفوذ السهم المارق حتى تخال مايعمل محفوظاً ، أو مرئيا ملحوظا من غير حاجة إلى كتابة ، ولا تعلل بتقفية ، أما البديهة . فهى أن ينزل عن هذه الطبقة قليلاً ، ويفكر مقصراً لا مطيلاً ، فإن أطال ذو البديهة الفكرة انعكست القضية ، وخرجت من حد البديهة إلى حد الروية) [3] على أن هذه النظرة إلى البديهة ، واعتبارها دليلاً على قوة الملكة ، وإبداعها وأصالتها ، وسرعة إسعافها فى المواطن الحرجة تعد من الأمور المتداولة بين بعض الأدباء والنقاد فى الأندلس ، فهذا ابن شهيد الأندلسى يقول (يتبين تقصير المقصر ، وفضل السابق المبرز إذا اصطكت الركب ، وازدحمت الحِلَق ، واستعجل المقال ، ولم توجد فسحة لفكرة ، ولا أمكنَتْ نظرةٌ لروية) [4] ولا يعنى هذا أن البديهة محمودة فى كل مقام ، بل منها مايكون غثا ليس فيه بصيص من حسن أو جمال ، ومن العجيب أن يشير إلى ذلك ابن بسام فى معرض اعترافه بتدنى مستوى البديهة والارتجال فيما عرض له من الأشعار الأندلسية التى لا طائل تحتها ، والتى لم تستطع اللحاق فى هذا المضمار بالأشعار المشرقية لدى الأوائل يقول : (والبديهة والارتجال فى هذه الأشعار الاندلسية ، وإن لم تلحق بالأشعار المشرقية ، ولا فيها كبير طائل ، ولا تقرب مما ألصقته إليها من أشعار الأوائل ،

---

(١) العمدة (١٢٦/١) طبع بدر الدين الغسانى .

(٢) الذخيره القسم الرابع المجلد الأول ٣٦ .

(٣) بدائع البدائه ٨ .

(٤) الذخيرة القسم الأول ، المجلد الأول ٢٤٤ .

فهى نحوى فى هذا المجموع الذى انتحيت ، وطلقى الذى إليه جريت ، ولذلك ما أثبت مُذالها ومصونها ، وكتبت غثها وسمينها ، والأدب طريق يسلكها الصحيح والجَرِب ، وسوق ينفق فيها الدر والمخشلب) [١] .

٣ - الفنون الأدبية أو الأغراض الشعرية :

يبدو أن فن الوصف يعد من الفنون الأثيرة لدى الأندلسيين ، وقد أبدعوا فيه إبداعاً ظاهراً يتجلى فيما خلفوه من أثار شعرية يصفون فيها طبيعة بلادهم ، ويستجلون مباهجها ، ومفاتنها ومحاسنها التى تخلب الألباب جمالاً وروعة وبهاء إذ أن طبيعة بلادهم حدائق ذات بهجة ، وجنان غناء ، تفتح أمام شعرائهم آفاقاً فساحاً ، يسرحون فيها الطرف ، ويجيلون التأمل ، فيخرجون من ذلك بروائع الوصف ، وبدائع الصور ، واللوحات الجميلة ، مما أكسبهم شيئا من التمييز على نظرائهم من شعراء المشرق ، وتوسع بعض أدبائهم فى أثبات هذا التمييز ، فاتخذ منه مجالاً للتفضيل والمفاخرة ، كما صنع أبو الوليد الذى ألف كتابه البديع ليحشد فيه ماوقف عليه فى وصف الربيع ، وأزهاره من أدب الأندلسيين شعراً ونثراً ، مع الإشادة بما لهم من إبداع ، واختراع ، وتشبيهات فائقةً رائعة حسنة يتقون بها ماجاء فى شعر المشارقة فى هذا المضمار ، وكأنه يريد أن يشعرنا بتفوق الأندلسيين فى فن الوصف ولعل ذلك يعد من أبرز العوامل التى حفزته على تأليف كتابه ، والعناية بإيراد عبارات الإعجابْ والاستحسان بما يذكره من مقطوعات شعرية تناسب موضوع كتابه ، ونكاد نلمس آثار ذلك فى كل صفحة من صفحاته ، ولا نعدم غالباً فى مستهل كل قطعة وصفية من عبارات الإعجاب والاستحسان ، فهناك الوصف البديع لأبى عمر يوسف بن هارون الرمادى فى وصف الربيع [٢] ، وهناك وصف ابن دراج للسوسن الذى

(١) الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) البديع ١١ .

أحسن فيه وأبدع وأغرب واخترع [١] ، وكذلك الشأن فى وصف أبى مروان عبد الملك بن جهور للنرجس الأصفر [٢] ، وقطعة أبى بكر بن القوطية فى وصف نور اللوز فائقة الوصف رائعة الرصف [٣] ، كما أشار إلى الوصف المطبوع الذى لم يعتوره شيء من التصنع ، أو التكلف فى تقديره ، وذلك حينما قال : (ولم يقع إلى فى نواره مفرداً إلا قول أبى عمر الرمادى ، وهو من الصفات المطبوعة والتشبيهات البديعة

انظر إلى روض ياسمين لم يَرِد الورد وهو وارد
كأنّــه عِدةً ولونــا أكف حور بلا سواعد(٤)

وجعل جودة الوصف مقياساً من مقاييسه فى الاختيار والانتخاب لما بين يديه فى مقطوعات شعرية حول الربيع وأزهاره كما يبدو من قوله : (قد اكملت من النواوير ماوقع إلىّ فيه الوصف الكثير ، وبقيت نواوير وقعت إلىّ فيها أوصاف يسيره ، وقطع قليلة ، ولكننى أذكرها على علاتها وأوردها منها ماحسنت تشبيهاته ، وجادت صفاته) [٥] ، وإذا كانت هذه العبارات ، أو الأحكام تعد من قبيل النقد التأثرى الفردى ، والتذوق إلا نفعالى إلا أنها تشعرنا بمقدرة الناقد على الإحساس بالجمال وتذوقه ، مما قد يثير فينا الإحساس نفسه ، ولا حرج على الناقد أن يلجأ لمثل تلك النظرات ، والأحكام إذا صدرت عنه مميزة واضحة المعالم والقسمات ، ومن الظواهر البارزة فى هذا المضمار أن أبا الوليد تعرض لفن المدح بشكل ينم عن ميوله وإعجابه بما درج عليه بعض الشعراء الأندلسيين من التجديد فى شكل القصيدة ومقدمتها ، وذلك باستبدال المقدمة الطللية المألوفة التى تصف الأطلال وما حولها بمقدمة روضية

(١) المصدر السابق ١٣٦ .

(٢) المصدر السابق ١١٩ .

(٣) المصدر السابق ١٥٠ .

(٤) المصدر السابق ٩٤ .

(٥) المصدر السابق ١٥٠ .

تصف الروض ، ومايتجلى فيه من مباهج الأشجار والأزهار ، والأنهار والأطيار ، ثم يخلص الشاعر من ذلك الوصف الى المدح ، وذكر مناقب الممدوح بشىء من الربط بينهما وبين مايتجلى فى الرياض من صفات الجمال والحسن ، ويتجلى اهتمام أبى الوليد بهذا المسلك فى حرصه على إيراد نماذج متعددة له ، مع الإشادة والإعجاب بها فى أكثر من موضع من كتابه البديع منها ماجاء فى الأبيات التى قالها أبو عمر بن يوسف بن هارون يمدح الوزير ابن بلشّر إذ يقول :

على روضة قامت لنا بدرانك ... وقام لنا فيها الذباب بمسمع
كأن السحاب الجون أعرس بالثرى ... فلاح شوارُ الأرض فى كل موضع
رياض يضاحكن الغزالة بعد ما ... بكت فوقها عين السماء بأربع
كأن سرور الأرض حُزْنُ سحابها ... إذا مابكت لاحت لنا فى تصنُّع
حبائب لا يسمحن إلا بلحظة ... وشمّة أنف للمحب الممتع
بدائع ما أهدى الوزير ببانه ... إلى صَكّه إلا أتانا بأبدع

ويظهر أبو الوليد إعجابه بهذا المسلك فيقول : (شبه ممدوحه بالربيع فى حسن منظره ، وجمال مخبره ، ودخوله إلى المدح فى هذا الموضع مفضل له مستحسن منه) (١) وكذلك الشأن فى صنيع أبى عمر الرمادى الذى مدح ابن القرشية بأبيات منها :

تأمل بأثر الغيم من زهرة الثرى ... حياة عيون متن قبل التنعم
كأن الربيع الطلق أقبل مهديا ... بطلعة معشوق إلى عين مغرم
وإن جئتها بالشمس والبدر والحيا ... مفاخرة جاءت بأسنى وأكرم
بعبد العزيز بن الخلائف والذى ... جميع المعالى ينتمى حيث ينتمى

ولم يفت أبو الوليد أن يلفت النظر إلى حسن تصرف الشاعر فى الانتقال من وصف الربيع والمفاخرة بين الأرض والسماء إلى المدح ، وربط ذلك بما سبق من معانى المدح ، وذلك حين يقول : (ودخوله فى هذا الموضع إلى المدح ، ومفاخرته بين السماء والأرض من المعانى التى سبق فيها ، واستولى على الأمد بها) (٢) .

---

(١) البديع ١٢ .

(٢) المصدر السابق ١٥ .

وكأنه يمثل بذلك الاتجاه المحافظ المجدد فى شكل القصيدة ومقدمتها عند الأدباء الأندلسيين حينما جنح كثير منهم إلى استهلال قصائد المدح بمقدمات يصفون فيها مظاهر الطبيعة بدلاً من المقدمات الطللية ، وقد أبدى ارتياحه لذلك أكثر من ناقد أندلسى غير أبى الوليد ، فهذا ابن حزم يفصح لنا فى أبيات له عن استهجانه لطريقة من يقفون على الديار ، ويتباكون على الدمن حين يقول :

خل هذا وبادر الدهر وأرحل   فى رياض الربى مطىّ القفار[1]
واحدها بالبديع من نغمات الـ   ـعود كيما تحث بالمزمار
إن خيراً من الوقوف على الدا   ر وقوف البنان بالأوتار
وبدا النرجس البديع كصب   حائر الطرف مائلا كالمدار
لونه لون عاشق مستهام   وهو لاشك هائم بالبهار

فابن حزم فى هذه الأبيات ينحو باللائمة على من يقفون بالديار والدمن من الشعراء ، ويفضل فى ذلك طريقة أخرى هى وقوف البنان بالأوتار ، ثم نراه يأخذ فى وصف بعض مظاهر الطبيعة من نرجس وبهار ، مما يشعرنا بالرغبة فى وصف مثل هذه المظاهر التى تضفى الأنس والسرور والانشراح على النفس بدلاً من وصف مظاهر الدمن والديار المقفرة ، ولكى لا يدع مجالاً لمن تسول له نفسه أن يتوهم فيه من خلال أبياته تلك أموراً لم تدر فى خلده نراه يلطف موقفه بشيء من الاعتذار فيقول معقبا عليها : (معاذ الله أن يكون نسيان مادرس لنا طبعاً ، ومعصية الله بشرب الراح لنا خلقا ، وكساد الهمة لنا صفة ...) ثم يؤكد إعجاب بعض السامعين بمسلكه فى أبياته السابقة فيقول : (ولقد أنشدتها بعض إخوانى من أهل الأدب ، فقال سروراً بها يجب أن توضع هذه فى جملة عجائب الدنيا)[2] .

---

(١) طوق الحمامة ١١٤ .
(٢) المصدر السابق ١١٤ .

٤ - الموازنات الأدبية :

جاءت الإشارة إلى الموازنات الأدبية عند أبى الوليد على صورتين : صورة تعتمد على شيء من الإيضاح أشبه مايكون بالموازنة المعللة التى انتهجها الآمدى من قبل أسلوباً له فى الموازنة بين الطائيين أبى تمام والبحترى ، وسجلها فى كتابه الموازنة الذى يعد كما يقول الدكتور إحسان عباس (قمة فى تاريخ النقد العربى بما اجتمع له من خصائص ، لا بما حققه من نتائج ، ذلك لأنه ارتفع عن سذاجة النقد القائم على المفاضلة بوحى من الطبيعة وحدها دون تعليل واضح ، فكان موازنة مدروسة مؤيدة بالتفصيلات التى تلم بالمعانى ، والألفاظ ، والموضوعات الشعرية بفروعها المختلفة) [١] ونجد هذه الصورة فى الموازنات عند أبى الوليد ماثلة فيما عقده لما وقع للنواوير من تفضيل وتغليب ، أو جرى بينها من تفاضل وتفاخر ، وأورد من ذلك قصيدة لأبى عثمان بن سعيد بن فرج الجيانى ، مطلعها [٢] :

عنى إليك فما القياس الفاسد   إلا الذى أدى العيان الشاهد

وهو يرد بها على ابن الرومى فى قصيدته الدالية ومطلعها :

خجلت خدود الورد من تفضيله   خجلاً تورُّدها عليه شاهد

وبعد أن سرد أبو الوليد قصيدة الجيانى راح يوازن بين بعض أبياتها وأبيات أخرى من قصيدة ابن الرومى ، ونراه يميل إلى جانب الجيانى ، ويفضل ماجاء به على مايوجد عند نظيره مع شيء من الإيضاح للصورة لدى الطرفين تعزيزاً لموقفه فى الاستحسان والتفضيل ، ويبدو ذلك جليا فى تعقيبه على قصيدة الجيانى بقوله . « قوله : ولمن يكون الفضل فى حكم العلا . البيت رد على قول : ابن الرومى :

شتان بين اثنين هذا مُوعِد   بتسلُّب الدّنيا وهذا واعـد

ورد الجيانى عليه مقنع ، لأن الموعود به أجل من النذير الواعد عنه ، وقوله (يفنى خيار الناس) البيت رد على قوله :

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ١٥٧ .

(٢) البديع ٧٤ .

(٣) ديوان ابن الرومى (٦٤٣/٢) .

وإذا احتفظت به فأمتع صاحب ببقائه لو أن حيا خالـــد

لأن البهار يبقى بنضرته أياماً ، الورد أسرع ذبولاً ، وقول الجيانى (وجعلت للأسماء حظا زائداً) رد على ابن الرومى فى قوله :

اطلب بعيشك فى الملاح سميه أبداً فإنك لا محالة واجد

جعل من محاسنه التسمى به عندهم ، فنرجس فى أسمائهم كثير ، وذلك لاحجة له ولا عليه ، وقوله (لو أن فعلا للكواكب فى الثرى) الأبيات رد على بيتى ابن الرومى وهما :

هذى النجوم هى التى ربّتهما بحيا السحاب كما يربى الوالد

فانظر إلى الأخوين من أدناهما شبها بوالده فذاك الماجد

(شبه البهار بالنجوم) [1] :

أما الصورة الثانية من صور الموازنات عند أبى الوليد ، فهو يطلق فيها الحكم فى تفضيل نص على آخر لمجرد الاستحسان والإعجاب الذاتى الذى يصدر فيه غالباً عن ذوق شخصى ، وعباراته التى يطلقها فى مجال التفضيل توحى بذلك ، فمرة نراه يورد أبيات الشاعر ، ثم يتبعها بأخرى يحس بأنها أفضل ، وأحسن من سابقتها كما صنع حينما ذكر أبيات أبى عمر القسطلى ومطلعها :

أعاره النرجس من لونه تفضلا وازداد من طيبه

وجاء بعدها بأبيات أخرى لأبى الحسن بن على واستهلها بقوله : (وأحسن من هذا قول الفقيه أبى الحسن بن على) [2] وذكر الأبيات .

وكذلك الشأن فى الأبيات التى ذكرها لأبى بكر عبادة بن ماء السماء ، ثم أورد بعدها أبياتا للفقيه أبى الحسن بن على وصفها بأنها (أحسن منها مجتلى ، وأطيب

---

(١) البديع ٧٦ .

(٢) المصدر السابق ١١٨.

مجتنى فى هذا المعنى) [1] وحينا يخرج بالتفضيل عن مجرد الاستحسان الى ماهو أبعد من ذلك إلى الإبداع والطبع ، فحينما ذكر لأبى بكر بن القوطية بديع ما أنشده إياه من قصيدة مطلعها :

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره   وأخضر شاربه وطــر عذاره

نجده يتبعها بأبيات له أيضا ويصفها بقوله (وأبدع من هذا وأطبع ما أنشدنيه أيضاً لنفسه) [2] ويلاحظ هنا أن المفاضلة لم تجر بين شاعرين ، وإنما جرت بين مقطوعتين مختلفتين قالهما شاعر واحد .

وتارة نراه يكتفي فى التفضيل بعبارة تشعر بارتياحه للمقطوعتين ، أو النصين لتلاقيهما ، وتشابههما فى الرقة والدقة على نحو ماحدث عند ذكره بيتين لذى الوزارتين القاضى ابن عباد فى وصف الياسمين ، ثم أتبعهما ببيتين آخرين له وصدرهما بقوله (ومما يوازيه دقة ، ويضاهيه رقة قوله) [3] ونجد مثل هذا أيضا فيما ذكره لأبى بكر ابن القوطية من أبيات مطلعها :

لما رأى العام زمان الربيـ   ـع الطلق قد نشّر عرف الكبا

ثم ذكر له قطعة أخرى قدّم لها بقوله : (ومما يوازى هذه القطعة رقة ويشاكلها دقة قوله ...) وذكر الأبيات [4].وفى مجال الموازنة بين نص وآخر فى بابه وموضوعه ووزنه وقافيته نقف لأبى الوليد على أحكام جريئة تتسم بالتعميم المطلق الذى يبتعد عن الموضوعية ، بل يجعل الحكم مرفوضاً غير مقبول ، ويتجلى ذلك فيما مهد به لأبيات أبى عبد الملك الطليق بقوله : قال أبو عبد الملك الطليق ، وهو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله يصف الورد والبهار فى قصيد مشهور له لم يصنع بعده ولا قبله على عروضه وقافيته مايوازيه جمالاً ، ولا يضاهيه كمالاً ، والصف بعد صدر فى سواه :

---

(١) المصدر السابق ٢١ .

(٢) المصدر السابق ٢٥ .

(٣) المصدر السابق ٩٣ .

(٤) المصدر السابق ٢٥ .

وكأن الورد يعلوه الندى وجنة المعشوق تندى عرقا
يتفقى عن بهار فاقع خلته بالورد يطوى ومقا
كالمحبين الوصولين غدا خجلاً هذا وهذا فَرِقا
يالها من أنجم فى روضة قد ترقت من رباه أفقا
ودنت منها إلى شمس الضحى حَدَق للنور تصبى الحدقا [1]

ولا شك أن الصورة البيانية التى اشتملت عليها الأبيات فيها ملامح جمالية تدعو إلى الإعجاب ، وتستحق الإشادة غير أن أبا الوليد قد خرج فى وصفها عن حد الاعتدال والمعقول إلى المبالغة والمغالاة المرفوضة حينما زعم أنه لم يصنع مثلها من قبل ومن بعد ، وهنا نتساءل هل استقرئ أبو الوليد كل ماقيل فى هذا الباب من الشعر وأحاط به ، وإذا صح ذلك فيما قيل قبل تلك الأبيات فمن أين له الاستقراء لما لم يقل ، والحكم عليه .

٥ – الألفاظ والمعانى :

وفى هذا المجال نرى أبا الوليد يوجه ، ويقترح باستعمال بعض الألفاظ والصيغ لِيُستكمل بها المعنى وينجلى ، ويكون أكثر دقة ودلالة على اكتمال الصورة ، وذلك ينم عن مدى وعيه بالحاجة إلى استعمال الألفاظ الموحية والمعبرة عن الغرض ، فهو حينما ذكر أبياتا لأبى بكر بن نصر فى وصف نواوير عديدة استوقفه بيت منها هو قوله :

ومن نرجس نضر يروقك دره وياقوته السامى به وزبر جده

ولم يمر به دون أن يعلق عليه قائلا : (ومن نرجس يعنى البهار ، وصفته على ذلك دالة ، وياقوته السامى ، لو أمكنه أن يذكر لونه ، فيقول : المصفر ، أو نحوه لكان أتم إذ أن لوان اليواقيت كثيرة لكنه اكتفى بشُهدة الموصوف ، وهذا للشعراء

---

(١) المصدر السابق ٣٩ .

كثير) [1] ويشعرنا فى موطن آخر أن بعض الألفاظ قد يكون استعمالها مستحسنا فى موضع إذا استعملت مع مايناسبها ، وقد لا تكون كذلك فى موضع آخر ، فأبو الحسن بن على الفقيه عندما استعمل كلمة « قَضَفا » فى قوله :

شكت قَضَفاً بين النواوير فاتقت   وجاءت إلى غدرانها تستبحيرها

كان موفقا فى نظر أبى الوليد إذ أن القَضَف بمعنى الرقة ، وهو تلميح مليح فى صحبتها الغُدُر ، وربما كانت فى غيرها) [2] وأحس أبو الوليد بحسن التصرف فى استخدام الألفاظ للدلالة على المعانى الدقيقة التى لا تبرز لأول وهله ، وإنما تدرك بشيء من التأمل ، فأبو عمر أحمد بن دراج القسطلى قد أحسن وأبدع وأغرب واخترع فى قوله يصف السوسن .

إن كان وجه الربيع مبتسماً   فالسوسن المجتلى ثناياه
ياحسنه سِنّ ضاحك عبق   بطيب ريا الحبيب رياه
خاف عليه الحسود عاشقه   فاشتق من ضده فسماه

وسر ذلك مقدرة ابن دراج على استعمال الألفاظ المعبرة التى يتألف منها معنى دقيق إذ أن قوله : (خاف عليه الحسود ... البيت يعنى أنه سماه سوءاً وهو حسن خوف العين والحسد ، وهو تمليح مستحسن) [3] .

كما أشار إلى بعض المعانى المخترعة التى تثير إعجاب الأدباء والشعراء .

* * *

(١) البديع ٥٧ .
(٢) المصدر السابق ١٥٢ .
(٣) المصدر السابق ١٣٦ .

المبحث الرابع
كتاب البديع عرض وتحليل

١ - تمهيد حول المختارات الأدبية فى الأندلس :

لقد وجد الشعر فى بلاد الأندلس أرضا خصبة تحوطه بالرعاية والعناية منذ وقت مبكر ، ومع بداية الفتح الإسلامى سنة ٩٢ حيث كانت قرطبة مركزاً هاماً من مراكز إشعاع العلم والمعرفة ، وفى جامعها المشهور يلتقى العلماء والأدباء والشعراء من كل حدب وصوب ، وقد كان لذلك ثمار يانعة إذ كان التقاء الأدباء والعلماء من المشرق بالأندلسيين له أثر واضح فى تنمية الحركة العلمية والأدبية ولاسيما فى عهد عبد الرحمن الداخل وما أعقبه ، إذ بدأت تنشط الرحلة إلى المشرق للقاء العلماء والأدباء والرواة ، فمن ذلك أن أبا موسى عبد الرحمن بن موسى الهوارى رحل إلى المشرق ، والتقى فى العراق بالأصمعى ، وأبى زيد الأنصارى ، وغيرهما من الرواة ورجع إلى الأندلس [١] ومثله معاصره الغازى بن قيس (ت ١٩٩) الذى التقى فى رحلته إلى المشرق بالأصمعى ونظرائه ، وشهد تأليف مالك للموطأ ، وهو أول من أدخله إلى الأندلس [٢] ، ولا شك أن اللقاء بمثل أولئك الرواة المشهورين للشعر كان له أثره فى تنشيط الحركة الأدبية وجانب الشعر منها على وجه الخصوص ، ولا يفوتنا فى هذا الصدد أن ننوه ببعض الحكام الأمويين فى الأندلس الذين كانوا يقرضون الشعر ، ويولعون به ، ولديهم اطلاع على دواوين القدامى من الشعراء ، ولهم صلات ومعرفة بمن عاصرهم من الشعراء العباسيين ، وقد اتسعت دائرة الاتصال بين الأدباء فى المشرق والأندلس فى أوائل القرن الثالث إذ نجد الأديب الشاعر عباس بن ناصح الثقفى (ت ٢٣٨) يتعرف بأبى نواس فى رحلته إلى المشرق ، ويجتمع به ، ويقر بفضله عليه [٣] ، وكذلك رحل الأديب الشاعر عثمان بن المثنى القيسى (ت ٢٧٣) إلى المشرق ، ولقى

---

(١) بغية الوعاه (٢/٩٠) .

(٢) المصدر السابق (٢/٢٤٠) .

(٣) انظر المغرب (١/٣٢٤) والحلة السيراء (١/٨) وبغية الوعاة (٢/٢٨) .

جماعة من رواة الغريب ، وأصحاب النحو والمعانى ، وأخذ عن محمد بن زياد الأعرابى وغيره ، وقرأ على أبى تمام ديوان شعره ، وأدخله إلى الأندلس [1] ولا جرم أن مثل هذا الصنيع من علماء الأندلس يعد مؤشراً كبير الدلالة على حرص الأندلسيين وتعلقهم بالتعرف على آثار المشارقة من الشعراء ورواة اللغة والأدب ، ولابد أن الأندلسيين قد وعوا حركة الشعر وتدوينه لدى المشارقة بمناحيها المتعددة حيث عنى جماعة بجمع الأراجيز كالأصمعى ، واتجه آخرون إلى جمع ديوان شاعر بعينه ، أو شعر قبيلة بعينها ، واشتهر بذلك جمهرة من الرواة العلماء كأبى عمرو الشيبانى ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ، ومحمد بن حبيب ، ويعقوب بن السكيت ، وأبى العباس ثعلب ، وأبى سعيد السكرى ، وابن الأعرابى ، وأخذت المختارات الشعرية فى الظهور ، ولعل أقدم ماوصل إلينا منها تلك المجموعة التى عرفت بالمفضليات للمفضل بن سلمة الضبى المتوفى سنة (١٧٨) اختار فيها قصائد مطولة بلغت ستا وعشرين ومائة قصيدة لسبعة وستين شاعراً جلهم من الشعراء الجاهليين ، وقلة منهم مخضرمون وإسلاميون ، وحول محتواها دار نقاش طويل إذ المعتقد أن الأصمعى زاد فيها مما أدى إلى الاختلاط بين روايتى المفضل والأصمعى ، وقد قام محققا المفضليات بجهد واضح ملموس فى الكشف عن هذه الناحية الهامة [2] ، ثم وضع الأصمعى اختياره المعروف بالأصمعيات على غرار المفضليات ، ولم يمض زمن طويل إلا وبين أيدينا لون جديد من الاختيار يسير على تبويب الشعر حسب المعانى ، ويعتبر أبو تمام حبيب بن أوس الطائى رائد هذا اللون فى حماسته التى قسم فيها الشعر المختار على عشرة أبواب هى باب الحماسة ، فالمراثى ، فالأدب ، فالنسيب ، فالهجاء ، فالأضياف والمديح ، فالصفات ، فالسير والنعاس ، فالملح ، فمذمة النساء ، وقد فتح أبو تمام بذلك باباً جديداً فى الاختيار ، وسار على نهجه ، واقتفى أثره فيما بعد كثير من الأدباء والشعراء

---

(١) انظر تاريخ علماء الأندلس (٣٤٦/١) وبغية الوعاة (١٣٦/٢) .

(٢) انظر مقدمة المفضليات ١٠ ، ومابعدها ، وانظر كتاب مصادر الشعر الجاهلى ٥٧٥ .

الذين راحوا يؤلفون مختارات شعرية ، وحماسات على غرار حماسته [1] ، ثم تتالت المختارات الشعرية والنثرية ، ومن أبرز من جمع بين النثر والشعر كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥) والكامل للمبرد (ت ٢٨٥) ، ولا ريب أن لهذه الحركة أثرها الواضح فى بلاد الأندلس ، ويتجلى لنا ذلك بشكل بارز فيما قام به ابن عبد ربه الأندلسى (ت ٣٢٧) حينما ألف كتابه الموسوعى العقد الفريد الذى مثل فيه أدب المشرق أصدق تمثيل حتى أن الصاحب بن عباد لما وصل إليه العقد وقرأه قال عبارته المشهورة (هذه بضاعتنا ردت إلينا ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم ، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا ولا حاجة لنا فيه) [2] .

ولا ننسى أن نذكر صنيع أبى على القالى (ت ٣٥٦) الذى أملى من حفظه بقرطبة ، وفى المسجد الجامع بالزهراء كتابه الأمالى الذى صنعه على غرار كتاب الكامل للمبرد ، ونقل به قدراً كبيراً من أدب المشارقة إلى الأندلس ، وكذلك صنيع صاعد بن الحسن الربعى (ت ٤١٠) الذى ورد من المشرق إلى الأندلس فى أيام هشام بن الحكم ، وألف كتابه الفصوص على نحو كتاب النوادر لأبى على القالى [3] ولم يدم الأمر على هذا المنوال إذ نجد من أدباء الأندلس وعلمائها من يمثل تياراً آخر مضاداً لتيار العنايه بأدب المشارقة ، حينما راح كثير منهم يكرس جهوده للعناية بآثار أدباء الأندلس شعراً ونثراً ، والعمل على جمع شتاتها ومهما يكن من أمر فإن بلاد الأندلس أصبحت مرتعا خصبا وموردا ثراً للشعر والشعراء ، ونبغ منها فى مختلف العصور شعراء مجيدون ، واتجه بعض ملوك الأندلس إلى الشعر ، ومالوا إليه ، وأصبحوا محط أنظار الشعراء على نحو ما حدث من بنى عباد كما عرفنا ، ولم يغفل الأندلسيون عن آثارهم فى الشعر إذ قام بعضهم برصد حركة الشعر فى مؤلفات يترجم فيها

---

(١) انظر الحديث عن الحماسة مفصلاً فى كتابنا (حماسة أبى تمام وشروحها دراسة وتحليل) الطبعة الأولى .

(٢) معجم الأدباء (٤/٢١٥) .

(٣) جذوة المقتبس ٢٤٠ .

للشعراء الأندلسيين ، ويذكر نماذج من شعرهم ، كما صنع كل من عثمان بن ربيعة (ت ٣١٠) فى كتابه طبقات الشعراء بالأندلس [١] ، وعثمان بن سعيد حرقوص الكنانى فى كتابه شعراء الأندلس [٢] ، وأبى محمد قاسم بن نصير المعروف بابن أبى الفتح (ت ٣٣٨) فى كتابه الشعراء من الفقهاء بالأندلس [٣] ، وأبى محمد محمد ابن عبد الرؤوف الأزدى (ت ٣٤٣) فى كتابه شعراء الأندلس [٤] ، ومحمد بن هشام ابن سعد الخير (ت ٣٥٠) فى كتابه أخبار الشعراء بالأندلس ، وعبادة بن ماء السماء (ت ٤٢١) فى كتابه أخبار شعراء الأندلس [٥] وغير ذلك من المؤلفات التى تؤكد مدى حرص الأندلسيين على إبراز مالديهم من حصيلة ثرة من الشعر والشعراء ، كما تؤكد أن الأندلس قد قطعت شوطاً بعيد المدى فى هذا المضمار منذ بدايات الفتح الإسلامى إلى أواسط القرن الخامس الهجرى ، ولم تقف عناية الأندلسيين بآثارهم الشعرية عند هذا الحد بل إننا نجد من الأدباء الأندلسيين من أخذتهم النخوة ، والاعتزاز بآثارهم فى معترك الصراع والتنافس بينهم وبين المشارقة فعمدوا إلى انتخاب قصائد ومقطوعات شعرية لمجموعة من الشعراء الأندلسيين فقط ، تأتى غير مبوبة حينا ، ولا تخص غرضاً بعينه ، وتبوب أحيانا على عدة أغراض حسب المعانى ، أو قد تخصص لغرض واحد معين ، فمن الضرب الأول نجد ماقام به أبو محمد عبد الله بن محمد بن الصفار (ت ٣٥٢) حينما جمع فى مجلد واحد أشعار الأمويين بالأندلس بتكليف من الحكم الثانى ليكون بإزاء مختارات الصولى من أشعار بنى العباس [٦] ، ومن الضرب الثانى نجد كتاب الحدائق لأبى عمر أحمد بن فرج

---

(١) جذوة المقتبس ٢٨٦ ، ومعجم الأدباء (٣٢/٥) .

(٢) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (٣٤٦/١) .

(٣) المصدر السابق (٤٠٦/١) .

(٤) المصدر السابق (٦٤/٢) .

(٥) جذزة المقتبس ٢٧٤ .

(٦) جذوة المقتبس ٢٣٥ ، وهدية العارفين (٤٤٦/١) .

الجيانى (ت ٣٦٧) وهو من المختارات الأندلسية المشهورة التى لم تصل إلينا ، ولا نعرف منه سوى مايتناثر فى بعض المصادر التى تنقل عنه ، وقد قصد من تأليفه إلى أن يكون مقابلاً لكتاب الزهرة الذى ألفه أبو بكر محمد بن داود الأصفهانى (ت ٢٩٦) غير أنه اقتصر فيه على أشعار الأندلسيين بخلاف صاحب الزهرة الذى شحن كتابه بأشعار المشارقة ، واشتمل كتاب الجيانى على مائتى باب فى كل باب مئتا بيت لشعراء أندلسيين فقط ، وأهداه للحكم المستنصر (١) ، على أن هذا الكتاب قد فتح باب الاختيار للأدباء الأندلسيين وأفاد كثير منهم مما جاء فيه من مادة شعرية ثرة لشعراء الأندلس ، ولعلَ أبا عبد الله محمد بن الحسين الكتانى (ت ٤٢٠) صاحب كتاب التشبيهات من أشعار الأندلس واحد منهم ، وربما صح ذلك على كتاب مماثل لمؤلف معاصر للكتانى هو أبو الحسن على بن محمد بن الحسين الكاتب (ت ٤٣٠) الذى ذكر له الحميدى كتاباً فى التشبيهات من أشعار أهل الأندلس (٢) ، وينقل عنه ابن الأبار فى أكثر من موضع ويسميه (الفرائد فى التشبيه من الأشعار الأندلسية) ولم يصل إلينا هذا الكتاب ، أما كتاب الكتانى فقد طبع بتحقيق الدكتور إحسان عباس ، وعرفنا منه أن الكتانى قد قسم كتابه على ستة وستين باباً ، ويتناول فى كل باب موضوعاً معينا يورد فيه نماذج من التشبيهات المختارة للشعراء الأندلسيين من ذلك مثلاً باب من التشبيهات فى السماء والنجوم والقمرين ، باب فى السماء والمطر ، باب فى الربيع والزهر ، باب فى الورد ، باب فى الحسن ، باب فى البكاء ، باب فى الشتاء والصقيع ، باب فى السراب ، باب فى السيوف ، باب فى الحرب ووصف الطعان والضراب والجيوش والفتوح ، باب فى الجود ، باب فى الثقلاء ، باب فى الشيب والهرم ، باب فى ذم الدنيا ، وذكر الموت ، وغير ذلك من

---

(١) انظر حول كتاب الحدائق : جذوة المقتبس ١٠٤ ، ١٠٥ ، وفضائل الأندلس لابن حزم ١٦ والذخيره القسم الأول المجلد الأول ٢ ، ١٣ ، ونقل عن ابن حزم أنّ مؤلفه أحسن الاختيار ماشاء ، وأجاد فبلغ الغاية .

(٢) جذوة المقتبس ٢٩٠ .

(٣) الحلة السيراء (٢٢٤/١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٠) .

الأبواب ، وتأتى أهمية كتاب الكتانى التشبيهات من حيث إنه يعد من أوفى المجموعات الشعرية التى تشمل الفترة الواقعة مابين عصر بنى أمية حتى أواخر الفتنة البربرية إلى حوالى سنة ٤٢٩ على وجه التقريب ، وهى فتره مهمة فى تاريخ الأدب الأندلسى لم يصلنا من داودين شعرائها سوى النزر اليسير ، وماعدا ذلك فليس لدينا سوى قصائد ومقطوعات وأبيات متناثرة فى كتب الأدب والموسوعات الأدبية .

أما الضرب الثالث من المختارات التى تمحضت لغرض واحد معين فنجد من أبرزها كتاب البديع فى وصف الربيع للكاتب الوزير الشاعر أبى الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر الحميرى الملقب بحبيب العامرى الأشبيلى (ت ٤٤٠) وسيأتى الحديث مفصلاً عنه فى موضعه ، ويبدو أن أبا الوليد لم ينفرد بالتأليف فى هذا الموضوع بل نجد هناك من سبقه ، أو لحقه فألف على غراره من مثل كتاب حديقة الارتياح لأبى عامر محمد بن عبد الله بن مسلمة (ت) ذكر فيه ما مثل فى الرياض والبساتين والنواوير [(١)] وأشار المقرى فى نفح الطيب إلى كتاب فى الأزهار والأنوار رآه واطلع عليه ونقل عنه ولم يذكر اسم مؤلفه [(٢)] .

٢ - عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه :

النسخة المطبوعة من الكتاب فى طبعتها الأولى بعناية هنرى بيريس عام ١٣٥٩ جاءت تحمل اسم (البديع فى وصف الربيع) ويبدو أن المخطوطة الوحيدة للكتاب ، والمحفوظة فى مكتبة الأسكوريال ليس فيها أثر لصفحة العنوان ، وربما سقطت منها هذه الصفحة ، إذ أن الصورة التى بين أيدينا عنها ليس فيها شيء من ذلك بل بدأت مع الورقة الأولى التى تحمل مقدمة المؤلف والتى لم نجد فيها إشارة صريحة عن اسم الكتاب سوى مايدل على موضوعه وهو وصف الربيع ، ومافيه من

---

(١) جذوة المقتبس ٦٥ .

(٢) نفح الطيب (٨٥/٣) .

أزهار وانوار ، غير أن فى آخر المخطوطة وردت عبارة (تم كتاب البديع فى وصف الربيع بحمد الله وعونه) وفى ثناياه جاءت عبارة مماثلة أيضا حينما قدم المؤلف لبعض المقطوعات بقوله (ومن البديع فى وصف الربيع) ولعل ذلك هو ماحمل الناشر إلى أن يضع هذا الاسم عنوانا للكتاب ، غير أننا نجد له اسماً مشابهاً فى المصادر التى أشارت إليه إذ ذكرته باسم (البديع فى فصل الربيع) وفى تقديرى أن العنوان الأولى هو العنوان المناسب ويترجح عندى ذلك للأسباب التاليه : -

١ - ماورد فى آخر المخطوطة من الأشارة إلى اسم الكتاب على أنه البديع فى وصف الربيع .

٢ - العبارة التى وردت فى ثنايا الكتاب ، والتى توحى بهذا العنوان وهى قول المؤلف فى التقديم لبعض المقطوعات (ومن البديع فى وصف الربيع) مختارات من الشعر والنثر فى وصف الربيع ومظاهره ، ويبدو ذلك من ترديد مايوحى باستهداف الوصف فى مستهل مقدمته للكتاب حين قال فى معرض الأشادة بالربيع ومباهجه (وفصل الربيع آرج وأبهج ، وآنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أحد حسن ذاته ، وأعد بديع صفاته) وقال أيضا (وهو مع هذه الصفات الرائعة والسمات الشائعة والآلات الفائقة لم يعين بتأليفه أحذ ، أو انفرد لتصنيفه منفرد)

ومن الثابت أن الكتاب لأبى الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر الحميرى الأشبيلى ، فقد تواتر ذكره فى جل المصادر الأندلسية المعتبرة مسنداً إليه على أنه من تأليفه كما جاء عند كل من الحميدى فى جذوة المقتبس ١٦٢ ، وابن بسام فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٢٥ ، والضبى فى بغية الملتمس ٢١٣ ، وابن سعيد فى روايات المبرزين ٣٩ ، وفى المغرب (١/٢٥٠) وابن الأبار فى التكمله لكتاب الصلة (١/١٨٠) والحلة السيراء (١/٢١٠) والمقرى فى نفح الطيب (٨/٤٢٧) .

٣ - سبب تأليف الكتاب ومضمونه وموضوعه :

من عنوان الكتاب ومقدمته يظهر لنا أن المؤلف قصد به إلى أن يكون ضرباً

من المختارات الشعرية والنثرية فى موضوع بعينه ، وهو فصل الربيع ، ومايرفل به من مظاهر الجمال فى أزهاره ، وأنواره الفواحة بأطيب أريج ، والمبهجة والمؤنسة لكل نفس ، وقد لاحظ المؤلف تعلق الأندلسيين ، وهو واحد منهم بطبيعة بلادهم ، وماتعج به من مظاهر الجمال والروعة فى حدائقها الغناء ، وجنانها الفيحاء التى أكسبتهم رقة المشاعر والأحاسيس ، وغرست فى نفوسهم حب التنزه فى البساتين والحدائق للتمتع بما فيها من روائع الزهور ، والأنوار التى تثير فى ذوى المواهب المرهفة الإحساسَ بالجمال ، فيجرى الشعر على ألسنتهم عذبا سائغا ، يصفون ما شاهدوه من مجالى الربيع فى طبيعة أرضهم الخصبة الفاتنة ، وكان لهم من ذلك نصيب وافر من الأدب الرفيع ، والشعر البديع ، غير أن العناية لم تتجه إلى جمع شتاته فى مؤلف مستقل ، مما دفع أبو الوليد إلى أن يقوم بهذه المهمة ، ويفصح عن ذلك بقوله : (فإن أحق الأشياء بالتأليف ، وأولاها بالتصنيف ماغفل عنه المؤلفون ، ولم يعن به المصنفون ، مما تأنس النفوس إليه ، وتتلقاه بالحرص عليه ، وفصل الربيع آرج ، وأبهج ، وآنس وأنفس ، وأبدع وأرفع من أن أحُدّ حسن ذاته ، وأعد بديع صفاته ... وهو مع هذه الصفات الرائقة ، والسمات الشائقة ، والآلات الفائقة لم يعن بتأليفه أحد ، ولا انفرد لتصنيفه منفرد ، فلما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب مضمنا ذلك الباب) [1] ، وإذا تابعنا المؤلف فى المقدمة يتبين لنا أمور أبرزها :

١ – أن الدافع الذى سبقت الإشارة إليه لم يكن هو الدافع الوحيد لتأليف الكتاب بل هناك دافعان آخران ، أحدهما وأهمهما أن المؤلف قصد بكتابه إبراز مواهب الأدباء الأندلسيين ، ومقدرتهم الفائقة فى مجال الشعر والنثر ، ولا سيما مايخص وصف مظاهر الطبيعة حيث لهم فى ذلك روائع لا تجارى ، ولا يلحقهم فيها لاحق أو سابق من أدباء المشرق حسب تقديره ، وهو بذلك يدلى بدلوه فى معترك التنافس بين أدباء المشرق والأندلس ، حيث كان تيار الدعوة إلى تحديد الذات

---

(١) البديع ٣ .

الأندلسية ، وإثبات شخصيتها قائما على أشده فى عصر المؤلف لدى بعض الأدباء وهو واحد منهم ، ولعله لهذا قصر كتابه على أدباء الأندلس وحدهم دون غيرهم ، وبالغ فى اعتقاده بتفوقهم فى هذا الباب على غيرهم من أدباء المشرق ، وعبر عن ذلك بقوله:(ولست أودعه إلا ما أذكر لأهل الأندلس خاصة فى هذا المعنى إذ أوصافهم لم تتكرر على الأسماع ، ولا كثر امتزاجها بالطباع ... ، وأما أشعار المشرق فقد كثر الوقوف عليها ، والنظر إليها حتى ماتميل نحوها النفوس ، ولا يروقها منها العلق النفيس مع أنى أستغنى عنها ، ولا أحوج إليها بما أذكره للأندلسيين من النثر المبتدع ، والنظم المخترع ... ولأهل المشرق فى تأليف أشعار شعرائهم ، وتدوين أخبار علمائهم الفضل علينا ، والسبق لنا ، حتى لقد يجمعون خشينها مع حسنها ، ويضيفون لحنها إلى لحنها ، لا قلة ميز بها ، بل تحرجاً عن تركها ، ولو جرى أهل الأندلس على تلك الطريقة لأوردت على الحقيقة أمثال ما أوردت ، وأضعاف ما اجتلبت ، لكن أهل المشرق على تأليفهم لأشعارهم ، وتثقيفهم لأخبارهم منذ تكلمت العرب بكلامها ، وشغلت بنثرها ونظامها إلى هلم جرا لا يجدون لأنفسهم فى التشبيهات فى هذه الموضوعات ما وجدته لأهل بلدى) [1] ، ولاشك أن فى ذلك شيئا من المغالات ، والمبالغة الواضحة البينة ، ويلاحظ هنا أن أبا الوليد لم ينس فى غمرة الإعجاب بالأندلسيين أن يشير فى مقدمة كتابه إلى جهود أهل المشرق فى جمع أشعارهم ، وتدوين أخبار علمائهم ، واعترف لهم بالفضل ، والسبق فى ذلك ، غير أنه لم يكن راضياً عن طريقتهم التى حرصوا فيها على جمع كل مايصادفهم من غث وسمين فى تقديره ، وليس ذلك عن قلة تمييز ، وإنما حرصاً على الإحاطة فى الجمع ، ولو أراد أن يسلك هذا المسلك لجاء بأضعاف مضاعفة لما أورده ، واختاره من شعر الأندلسيين ونثرهم ، ثم جمح القلم بأبى الوليد ، وأخذه التعصب لأبناء جنسه إذ نفى أن يلحق بهم أديب أو شاعر فيما لهم من تشبيهات وموضوعات فى الربيع منذ أن تكلمت العرب بكلامها ، وشغلت بنثرها ونظامها .

---

(١) البديع ٤ .

وأما الدافع الآخر فيظهر فى رغبة أبى الوليد فى التقرب إلى ذى الوزاتين القاضى ابن عباد ، وابنه الحاجب ، وإشباع رغبتهما وميولهما إلى مثل هذا اللون من الأدب لما عرف عنهما من حب وتقدير وتشجيع للأدب والأدباء ، فقد أرجع إليهما الفضل فى صنيعه حين قال : (الفضل فى هذا الصنع الجميل لذى الوزارتين القاضى الجليل المنقطع المثيل ، ولابنه الحاجب الشهاب الثاقب نثره عباد ، ورحمة الله على العباد مولىّ وسيدَىّ أبقاهما الله ستراً علىّ ، فهما اللذان أقامت مُقْعدَ الهمم يدُ اهتبالهما ، وأمطرت أرض الفطن سماء أفضالهما فدرت الدرر من تلك الفكر التى يسعيان لتحصين مرادهما ، وتحسين مرادهما ... ، ولولاهما أطال الله بقاءهما ، وأدام اعتلاءهما ما انفردت لهذا التأليف ، ولاشغلت فكرى بهذا التصنيف ، ولا منيت نفسى به) [1] ، وإذا انتقلنا من المقدمة إلى مضمون الكتاب نجد أن المؤلف فيما يتعلق بوصف الربيع لم يقتصر على المختارات الشعرية فقط ، بل أورد فيه مختارات فى النثر أيضا ، غير أن الشعر كان له النصيب الأوفى ، ذلك لأن المؤلف قد أورد من الشعر مايقرب من أربعين ومئتى مقطوعة (٢٤٠) فيما يقرب من عشرين وأربعمائه وألف بيت من الشعر (١٤٢٠) لمجموعة من شعراء الأندلس من أبرزهم : الوزير أبو عامر ابن مسلمة والقاضى ذو الوزارتين أبو القاسم محمد بن عباد ، وابنه إسماعيل بن محمد ابن عباد الحاجب ، وذو الوزارتين أبو عمرو بن عباد ، وأبو الحسن بن على الفقيه ، وأبو بكر بن القوطية ، وأبو جعفر بن الأبار ، وأبو عمر بن يوسف بن هارون الرمادى ، وابن عبد ربه الأندلسى ، وأبو عامر المنصور بن أبى عامر ، وابن دراج القسطلى ، ويحيى بن هذيل ، وعبادة بن عبد الله بن ماء السماء ، وأحمد بن محمد ابن فرج الجيانى أبو عمر ، وعبد الملك بن سعيد المرادى ، وأبو مروان بن عبد الملك ابن إدريس الجزرى ، وأبو على إدريس بن اليمانى ، وعامر بن شهيد ، وعبد الملك بن شهير ، وأبو الأصبغ عيسى بن قزمان ، وابن هانئ الأندلسى ، ومن هؤلاء الشعراء من تردد ذكره كثيراً فى الكتاب حيث اختار لهم المؤلف مقطوعات متنوعة فى مواطن

---

(١) المصدر السابق ٥ .

متعددة من كتابه مثل الوزير أبى عامر بن مسلمة الذى تردد ذكره سبعاً وعشرين مره ، وتردد ذكر كل من أبى الحسن بن على الفقيه أربعاً وعشرين مرة ، وأبى بكر بن القوطية ثلاثا وعشرين مرة ، وأبى جعفر بن الأبار ثمان عشرة مرة ، وأبى عمر يوسف ابن هارون الرمادى عشر مرات ، ولا ننسى كل من القاضى ذى الوزارتين أبى القاسم محمد بن عباد الذى تردد ذكره سبعاً وعشرين مرة ، وابنه إسماعيل بن محمد بن عباد الحاجب تردد ذكره اثنتى عشرة مرة ، وأبى عمرو بن عباد تردد ذكره أربع عشرة مرة ، وهذه المواطن غالباً ما يرد فيها ذكر هؤلاء مع بعض المقطوعات التى قيلت من أجلهم ، أو فى مدحهم ، وأقل من ذلك يرد ذكرهم مقرونا بمقطوعات من إنشائهم .

وأما النثر فلم يكن له ما كان للشعر من حظ ونصيب وافر إذ لم نجد منه سوى أربع عشرة رسالة ، أو قطعة نثرية منها رسالة لذى الوزارتين القاضى ابن عباد ، وأخرى لأبى إسحاق بن الحمام ، ورسالتان لعمر بن هشام ، ومثلهما لأبى الوليد العثمانى ، ورسالتان أيضا لكل من أبى مروان عبد الملك بن إدريس الجزرى ، وأبى حفص أحمد ابن برد واحدة منهما رسالة خيالية بديعة مطولة فى المفاضلة بين الزهور شغلت نحواً من سبعة وثمانين سطراً ، وأربع رسائل للمؤلف أبى الوليد منها رسالة خيالية مطولة صاغها على غرار رسالة أبى حفص أحمد بن برد ردًّا على ماجاء فى رسالته فى تفضيل الورد على البهار وسائر الأزهار ، وهى تعد أطول رسالة فى الكتاب حيث شغلت منه ما يقرب من عشر صفحات ، ونحو خمسة وخمسين ومئة سطر [1] ، وقد جاءت المقطوعات الشعرية والنثرية التى اشتمل عليها الكتاب لتصف مدحاً – وهو الغالب – أو قدحاً – وهو القليل – مجموعةً من الزهور والأنوار وهى مرتبة على حروف الهجاء (الآس ، والأقحوان ، الباقلاء ، البهار ، الجلنار ، الحزم ، والخيرى الأصفر ، والخيرى النمام ، والسوسن أو السوسان ، والشقائق ، والشفيق ، والظيّان ، والورد ، والنرجس الأصفر ، والنسرين ، ونور الرمان ، ونور الغالية ، ونور

(١) سبق الحديث عن هذه الرسالة ودراستها فيما ذكر عن أبى الوليد الكاتب .

الكتان ، ونور اللوز ، والنيلوفر ، والورد والياسمين ، وأكثر هذه الأزهار والأنوار دورانا فى الكتاب هو البهار حيث تردد ذكره فى اثنين وعشرين موطنا ، ثم النرجس الأصفر فى واحد وعشرين موطنا ، ثم الخيرى الأصفر فى سبعة عشر موطنا ، ومثله البنفسج ، فالأقحوان فى ستة عشر موطنا ، فالسوسن فى أربعة عشر موطنا ، فالخيرى النمام فى ثلاثة عشر موطنا ، فالورد فى عشرة مواطن ، فالياسمين فى ثمانية مواطن ، فالنيلوفر فى خمسة مواطن ، وهذا يعكس لنا كثرة ماقيل فى هذه الأزهار من شعر ونثر ، ثم يفصح عن مدى الميل من الأدباء إليها والعناية بوصفها لما يتجلى فيها من محاسن وجمال يستوجب ذلك ، وربما كان لتوفر بعضها عن بعض دخل فى هذه العناية ، وذلك الاهتمام .

وفى خاتمة الكتاب نبه المؤلف إلى أنه لا يدعى الإحاطة بكل ماقيل فى موضوعه ، بل إنه اجتهد فى التقصى ، ولايزال الباب مفتوحاً للمستزيد ، وحسبه أنه أول من ولج هذا الباب ، وأورد منه كل بديع ورفيع ، وإذا كان فيما أورده ماينقص عن ذلك ، ويتوجه إليه النقد فهو يعلمه ولا يجهله ، وإنما تغاضى عنه لندرته وقد عبر عن ذلك كله فى نهاية كتابه بقوله : (هذا ما عثرت عليه وانتهيت البحث إليه ، وإن وقع إلىّ بعدُ وصف رائق ، أو معنى فائق ألحقته فى هذا الكتاب ، ووضعته بموضعه من كل باب ، والبشر غير معصوم ، ومن بذل جهدَ نفسه فليس بمذموم ، وحسبى أنى قد جمعت من غرائب الأندلسيين ونوادرهم ، وأوردت من فضائلهم ومآثرهم مايمكن أن يتغمد به ، ويصفح من أجله عما عرض من زلل ، أو وقع من خطل ، فربما أدخلت لأهل عصرى مايقرب فى البديع ، ولايبعد عن الرفيع فمن نقد ذلك فليعلم أنى لم أجهله ، وإنما تحفظتُ من ناظميه ، وأغضيت لهم على مافيه ، وليس ذلك إلا فى أبيات يسيرة ، وصفات غير كثيرة) .

ويبدو من هذا أن أبا الوليد لم يحاول محاولة جادة فى توجيه النقد لما يورده من نصوص شعرية ونثرية بإبراز الوجه الآخر الذى يفصح عن بعض العيوب والأخطاء الفنية ، بل اكتفى بجانب الإعجاب والاستحسان واستجلاء مظاهرها ، ولعله لجأ إلى

ذلك لاعتقاده أنه تخير من النصوص مايقرب من البديع ، ولا يبعد عن الرفيع ، وإذا كان هناك شيء من العيوب فهو يسير لا يستوجب التنويه فى تقديره .

على أن الكتاب حافل بمادة أدبية ثرة من شعر ونثر لفن من فنون الأدب برع فيه الأندلسيون براعة ظاهرة ، وهو فن الوصف ، وقد حوى الكتاب بين دفتيه نصوصاً قيمة فى هذا الجانب تفتح أمام الباحثين فى الأدب الأندلسى آفاقا فساحاً ، ومنافذ جديدة لدراسة هذا الأدب الذى لا يزال بحاجة إلى المزيد من التأمل والدرس .

٤ – منهج الكتاب وأبرز سماته وملامحه الأدبية :

الذى يتأمل الصفحات الأولى من الكتاب يحس أن أبا الوليد يتطلع منذ البداية إلى وضع المنهج السليم الذى ينبغى أن يسير عليه هو وغيره من المؤلفين حينما وجه بقوله : (قال أبو الوليد إسماعيل بن عامر من الصواب فى الدواوين ، والحذق فى التواليف أن يضاف المثل إلى مثله ، ويقرن الشكل بشكله ، فيقصد الطالب أى معنى شاء فيجد مقصده ، ويعتمد القارئ أى فصل أراد فيلقى معتمده) [١] فهو هنا يهدف إذاً إلى شيء من التنظيم ، والتنسيق لمادة الكتاب على أساس واضح بين يعتمد على تصنيف المادة فى فصول ينحصر كل واحد منها فى جانب معين تتماثل وتتجانس فى داخله المادة المعروضة تسهيلاً للباحثين ، ومن هذا المنطلق قسم كتابه إلى ثلاثة فصول أشار إليها بقوله : (وهذا الباب كثير الفصول غزير الفروع والأصول ، على قلة الوصف له ، والقول فيه ، لكنى رددته إلى ثلاثة فصول ، وقصرته عليها ، وقيدته بها ، فالفصل الأول : القطع فى الربيع التى لم يسم فيها نور ولا قصد بوصفها منه نوع ، الفصل الثانى : القطع التى لم تنفرد بوصف نور بل اشتملت على وصف نورين أو أنوار ، والفصل الثالث فى القطع المنفردة كل واحدة منها بنور على حدة) [٢] ، ويعد الفصل الأول أقل فصول الكتاب مادة حيث بدأ به وانتهى عند

---

(١) البديع ٦ .

(٢) المصدر السابق ٦ .

ص ٣٥ ، ويليه الفصل الثانى الذى جاء أكبر من سابقه بدأ من ص ٣٥ – ٨٩ ، أما الفصل الثالث فهو أكبر فصول الكتاب ، وأوفرها خطاً من صفحاته بدأ من ٨٩ – ١٦٣ ، ويبدو أن أبا الوليد أراد أن ينهج نهجاً محدداً فى ترتيب الأزهار داخل الفصل الذى خصصه لما قيل فى نوع بعينه من الزهور والأنوار ، غير أن ملامح هذا النهج لم تتحدد عنده تماماً فهو حينما يؤكد على ضرورة البدء بأول الأنوار ، وأبكر الأزهار ، وهو نور البهار نراه يتراجع فيرى تقديم غيره أو تأخيره لاعتبارات أخرى منها :

١ – استمرار بعض الأنوار وبقاؤها على مدار الفصل مما يستوجب تقديمها على الحقيقة كالآس ، والياسمين لذا بدأ بهما ، ووعد بالعودة إلى مبدأ التقديم على أساس زمنى من حيث التبكير فى الظهور ، وعبر عن ذلك فى مطلع هذا الفصل بقوله : (يجب أن نبدأ بأول الأنوار ، وأبكر الأزهار ، وهو من النواوير الربيعية نور البهار ، ولكن ماكان من النواوير باقيا فى كل وقت ، وثاوياً مع كل فصل هو أول على الحقيقة ، وصدر فى هذه الطريقة كالآس والياسمين ، فنبدأ بهما ، ثم نذكر النواوير على أزمنتها) (١) .

٢ – قلة ماقيل من الوصف لبعض النواوير المبكرة مما يستوجب تأخيرها وإن كان حقها التقديم على الاعتبار الأول بالنظر إلى زمن الظهور المبكر للأزهار لذلك أخر « نور اللوز » عن غيره ، وعلل ذلك بقوله : (كاد أن يكون أبكر النواوير ، وأول الأزاهير ، ولم أعامله بالتأخير إلا لقلة الوصف له) (٢) وفى بعض المواطن قد لا يضطرد هذان الاعتباران عند المؤلف – وأعنى بهما اعتبار بقاء الأنوار على مدار الفصل ، واعتبار قلة الوصف – إذ يجد نفسه أحيانا مدفوعاً إلى سلوك النهج العام الذى أفصح عنه فى مطلع الكتاب ، وهو أن يضاف المثل إلى مثله ، ويقرن الشكل بشكله ، كما حدث فى الياسمين البستانى الذى قدمه لاستمراره وبقائه على مدار

---

(١) المصدر السابق ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ١٥٠ .

الفصل غير أنه ألحق به الياسمين البرى ، وهو الظيّان ، فى حين أن من حقه التأخير لكونه ليس ممايبقى طوال العام ، أو ممن كثر وصفه ، وإنما لجأ إلى ذلك لما بين النوعين من تماثل وتشابه انطلاقا من اعتقاده بضرورة ضم كل مثل إلى مثله ، وصرح بذلك حين قال : (قال أبو الوليد : هذا ماوقع إلى فى الياسمين البستانى ، وعثرت على قطع من الياسمين البرى ، وهو الظيّان ، وليس يبقى مدة العام ، إنما هو ربيعى ، ولكن قدمته على الزبيعية لتسميته باسم المتقدم ، وانتسابه به ، فوصلت ذكره بذكره ، وماقيل فيه مما قيل فيه مع أن وصفه لم يكثر ، وذكره لم يتكرر ، فليس يحتمل إفراداً ، وإنما يجب أن يكون لهذا تبعاً ، وخلق شجره ، ونوره كخلق البستانى ، لأن نوره أصفر) [١] .

على أن هناك ملامح وسمات عامة تتعلق بمنهج الكتاب ، وطريقة المؤلف فى تناول مادته ومضمونه يمكن إلقاء الضوء عليها فيما يلى :

١ — أن المؤلف اعتمد كثيراً على التلقى المباشر لما أورده فى كتابه من مقطوعات شعرية إما عن طريق مايمكن تسميته بالإنشاد الشخصى من أفواه الشعراء أنفسهم حيث نجد بعض المقطوعات مصدرة بمثل قوله (وأنشدنى لنفسه أيضا أبو الحسن [٢] ، أو ومن المصنوع المطبوع فى وصف الربيع ما أنشدنيه لنفسه أبو القاسم البلميى ، أو وأنشدنى لنفسه فيه الفقيه أبو الحسن [٣] بن على ، وغير ذلك من العبارات التى تشعر بالتلقى المباشر عن طريق السماع بالإنشاد ، وهناك صورة أخرى لهذا التلقى صرح فيها بصيغة السماع حين عقب على أبيات لذى الوزارتين القاضى بن عباد بقوله : (قال أبو الوليد سمعت أبى وأبا الأصبغ يقولان : والله ما أكمل إملاء الأبيات بتلك التشبيهات الرائقة ، والصفات الرائعة إلا ونحن قد بهتنا من سرعة بديهته) [٤] ، وهذه الصورة تجرنا أيضا إلى صورة أخرى هى التلقى عما

---

(١) المصدر السابق ٩٧ .
(٢) المصدر السابق ٥٤ .
(٣) المصدر السابق ١١٠ .
(٤) المصدر السابق ٥٢ .

يلقى على البديهة سماعاً ، ويسجل إملاء عليه فى المجلس ، ويذكرنا هذا بما كان يحدث فى مجالس الإملاء والاستملاء المعهودة لدى العلماء المسلمين فى عصور العلم الزاهية حتى ألفوا فى آدابه الكتب كما صنع السمعانى حينما ألف كتابه أدب الإملاء والاستملاء ونجد من ذلك عند أبى الوليد فيما صدر به ثلاث مقطوعات لذى الوزارتين القاضى ابن عباد فى وصف الياسمين إذ قال فى الأولى : (أبدع ماقيل فيه وأبزغ ماشبه به ، وأرفع ما أملَّ علىّ لنفسه فيه ذو الوزارتين القاضى حرس الله حوباءه ، وصان ذكاءه) [(١)] ، وقال فى الثانية ، ومما يوازيه دقة ، ويضاهيه رقة قوله أمله على أبقاه الله ، وقال فى الثالثة : وأمل أعزه الله ، وأحسن ذكراه على فيه له قطعة قوية الوصف ، سرية الرصف وهى) [(٢)] وقد لايكون الإملاء مباشراً له ، وإنما بواسطة آخر هو والده ، ويظهر هذا مما مهد به لأبيات قالها القاضى بن عباد تعقيبا على أبيات أنشدها أبو الأصبغ ، وجاء فيه قوله : (ولما أكمل أبو الأصبغ إنشاد هذا الشعر أمر القاضى أعزه الله والدى عبده الناصح له دأبه الحسن فيه ظاهره وغيبه بالجلوس بين يديه ثم أملّ بديهة عليه) [(٣)] .

٢ – يتثبت مما يقال فلا يذكر غالباً إلا ماصح عنده كما يبدو فى تمهيده لأبيات ابن دراج القسطلى حين قال فى إثنائه : (صح عندى أن عبادة بن ماء السماء كان يقول : لم يخترع بالأندلس فى معنى من المعانى كاختراع القسطلى فى السوسان) [(٤)] .

٣ – يبدو أن أبا الوليد قد جعل من أسس الاختيار عنده الاقتصار على الجزء الذى يتعلق بموضوعه من القصيدة ، وحذف ماعداه مما لايتناسب مع غرضه وهدفه فى الكتاب ، فالقصيدة التى قالها ابن دراج القسطلى واشتملت على وصف للسوسن

---

(١) المصدر السابق ٩٣ .
(٢) المصدر السابق ٩٤ .
(٣) المصدر السابق ٥٢ .
(٤) المصدر السابق ١٣٦ .

لم يوردها كاملة ، وإنما اقتصر منها على مايتصل بهذا الغرض ، وأفصح عن ذلك فى التمهيد لها بقوله:(ولأبى عمر أيضا فيه وصف ثان معدوم المثال موسوم بالجمال ... ، وهو فى قطعة مطولة كتب بها إلى المظفر بن أبى عامر أنا ذاكر منها ماتشبث بذكر السوسن من المستحسن) [1] ، وكذلك الشأن فيما مهد به لأبيات أبى جعفر بن الأبار يصف الورد قائلا :(فأحسن إحسانا يقرب على متأمليه ، ويبعد عن متناوليه ، وصف الورد بعد صدر متقدم من الشعر) [2] وهذا يعنى أن هناك أبياتا سابقة لماذكره تغاضى عنها لعدم تعلقها بموضوعه وقد يضع ذلك فى النثر أيضا ، فقطعة ذى الوزارتين القاضى بن عباد جاء فى التمهيد لها مايوحى بحذف جزء منها ، والاكتفاء بما يتناسب مع غرضه حين أشار إلى ذلك بقوله (والقطعة بعد صدرها) ، وكذلك الشأن فى قطعة أخرى للوزير الكاتب أبى حفص بن برد [3] ، غير أن هذا المسلك قد لايضطرد فى كل حال إذ ربما أعوزته بعض النصوص إلى خلافه ، ولاسيما فى النثر ولا يترك الأمر دون أن يفصح عن الموقف الطارئ ، ومادفعه إليه ، فحينما أورد رسالة لعمر بن هشام لاحظ خروج ماجاء فى آخر الرسالة عن غرضه بما اشتملت عليه من وصف الكؤوس ، وسرور النفوس ، ولكنه لايجد مناصاً من ذلك إذ لو فصل هذا الجزء عن الرسالة لاختل سياقها ، بل يرى أن بعض الأشياء يزداد حسنها بما وصلت به ، جاء ذلك فى تعقيبه على الرسالة المذكورة بقوله (قال أبو الوليد فى آخر هذه الرسالة من وصف الكؤوس ، وسرور النفوس بمن خوطب فيها ، وكتب بها مالم أعد به ، ولا قصدت قصد ذكره لكنى لوفصلته منها لأخللت بها ، فمن الأشياء أشياء يزداد حسنها بما وصلت به ، وقرنت معه ، وربما أن فى كتابى مثل هذا ، فمن رآه فليعلم أنى إنما أسعى فى استكمال الحديث ، واستيعاب الخبر لئلا أخل بما ابتدئ به بالنقص منه) [4] وفى ذلك ملحظ دقيق من المؤلف يشير به إلى أن بعض النصوص

---

(١) البديع ١٣٦ .

(٢) وانظر أيضا المصدر السابق ١٣٠ .

(٣) وانظر أيضاً المصدر السابق ص ٣٤ حيث أشار إلى الاستغناء عن صدر رسالة له .

(٤) المصدر السابق ٩ .

عند الاختيار لا تقبل التجزئة ، بل هى كل متكامل ، ولا يبرز جمالها إلا بإيرادها على هذا النحو الذى لا يخل بتناسقها ، وانسجام معانيها التى يأخذ بعضها بحجر بعض ومن هنا نجد أن أبا الوليد لم يتمكن بشكل دقيق وكامل من تطبيق مبدأ الاختيار لما يناسب غرضه من القصائد والمقطوعات الشعرية كما نوّه فى بعض المواطن ، وإن تمكن من ذلك أحيانا ، فقد يغفل عنه حينا ، وها هو يذكر لصاحب الشرطة أبى بكر بن القوطية قصيدة كاملة موصولة بمدح ذى الوزارتين القاضى ، وينص على ذكرها من أولها إلى آخرها [1] ، ويشيع عند أبى الوليد فى معظم كتابه مايقرب من ذلك حينما يذكر بعض المقطوعات موصولة بمدح بعض الوجهاء ، وأصحاب الحكم والرياسة [2] ، ولعله بمثل هذا الصنيع لا يبتعد كثيراً عن غرضه إذ أن ماجاء به من المدح موصولاً بالأبيات التى يذكرها فى وصف الربيع وأزهاره ، إنما هى وثيقة الصلة بهذا الوصف ، وتمثل براعة بعض الشعراء فى الانتقال من الوصف إلى المدح ، وتجديدهم فى نمط القصيدة حيث اتجهوا إلى بدء قصائدهم بمقدمات وصفية ، يصفون فيها مظاهر الطبيعة من ربيع وأزهار ونحوها ، ثم ينتقلون إلى غرضهم بشكل محكم يربط السابق باللاحق خروجاً على ماكان مألوفاً لدى بعض الشعراء ، ولاسيما فى المشرق من الالتزام بالمقدمات الطللية ، كما سبق أن عرفنا فى الحديث عن جانب النقد لدى أبى الوليد ، ولا ننسى أن نذكر فى هذا المقام أن أبا الوليد قد جعل نصب عينه فى مجال الاختيار أن يختار من النصوص شعراً ونثراً مايبدو فيه الاختراع الفائق ، والابتداع الرائق ، وحسن التمثيل والتشبيه ، وماهو من أغرب التشبيهات ، وأعجب الصفات ، وأبرع الأبيات ، وأبدع الكلمات على حد قوله فى مقدمة الكتاب .

٤ - درج على أن يصدر كل مقطوعة بتمهيد لها يذكر فيه غالباً اسم القائل ، والغرض الذى قيلت من أجله ، مع بعض العبارات التى تحمل الإعجاب

---

(١) البديع ٧٦ .

(٢) انظر مثلا كتاب البديع ١٩ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ٥٦ .

والاستحسان ، كما يعقب على بعض المقطوعات موضحاً بعض الجوانب التى تحتاج إلى إيضاح من مثل الإفصاح عن معانى بعض الأبيات كما نرى فى تعقيبه على أبيات ابن القوطية فى وصف السوسن ، ومنها قوله :

وفوقهــا رقيبــة منها لها محترسةْ
نابلـــة رامحة سائفه متــرّسةْ
كان اسمها نَسُوس لا كِنْ قرئت منكّسةْ

ومثل هذه الأبيات تشتمل فى تقدير المؤلف على معان تحتاج إلى إيضاح لذلك أخذ فى إيضاحها وشرحها بقوله : (قوله : وفوقها رقيبة . يعنى القائمة وسط السوسنة ، نابلة : ذات نبل ، جعل التى تحدق بالرقيبة فى أسفلها نبلاً ، وجعل أيضاً منها رمحاً فى قوله : رامحة ، وسائفه يحتمل أن يجعل الوشائع الصفر التى حول الرقيبة سيوفاً ، ويحتمل أن تكون السيوف الأوراق البيض ، ومترّسة : ذات تُرس ، ولاشك أنه من الأوراق البيض ، وقوله : نَسُوس : أراد مستقبل فعل الساسة وهو مليح فيه معنى التنويه) [1] وفى بعض المواطن يعقب مبديا رأيه ، أو ذكراً بعض مايتعلق بالمقطوعة مما يستوجبه المقام من لمحات أدبية ، أو نقدية تشتمل على تقويم لبعض الأبيات ، أو موازنة ومقارنة بين بعضها مما سبق بيانه فى الحديث عن جانب النقد عند أبى الوليد ، وقد يكون التعقيب لتفسير بعض الألفاظ اللغوية التى تحتاج إلى تفسير وشرح لمعناها على نحو ماصنع فى تعقيبه على أبيات أبى بكر بن القوطية فى وصف الورد والسوسن حيث عقب عليها قائلا : (قوله : على الورد الذى فغما : أى الذى سدت ريحه الخياشيم ، وقوله : الذى نجم : أى الذى طلع ، والطُلْية : صفحة العنق وهى واحدة الطلى ، ولغة ثانية فى الطُلْية : طُلاة ، ونُصّتْ : رُفِعَتْ ، وجرى على هذا النهج فى مواطن عديدة من كتابه) [2].

---

(١) المصدر السابق ١٣٨ .

(٢) انظر مثلاً ص ١٢ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٥٠ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ١٣٨ ، ١٥٩ .

٥ - أهمية الكتاب وقيمته فى دراسة الأدب الأندلسى :

يمكن أن نتلمس أهمية كتاب البديع وقيمته فى دراسة الأدب الأندلسى فيمايلى :

١ - أن الكتاب ضم بين دفتيه مجموعة قيمة من الشعر الأندلسى فى أزهى عصوره عصر ملوك الطوائف لأبرز الشعراء الأندلسيين عموماً ، وشعراء إشبيلية على وجه الخصوص ، وبعضهم لم تصل إلينا دواوينهم سوى ماتناثر لهم من شعر فى المصادر الأندلسية ، ومنها كتاب البديع الذى اشتمل لبعض الشعراء على مجموعة كبيرة من الشعر قلّ أن توجد فى غيره من مثل أبى بكر بن القوطية الذى لم يصل إلينا ديوانه ، وحفظ له صاحب البديع مايقرب من ٢٣ قطعة ، ومن مثل أبى جعفر ابن الأبار ، وأبى الحسن بن على الفقيه وغيرهم .

٢ - فى الكتاب نصوص للون بديع من ألوان الكتابة فى الأندلس يتمثل فى الكتابة الوصفية التى برع فيها الأندلسيون مما قد لا يتوفر فى غيره من المصادر ، ومن أبرز ماجاء فيه من هذا القبيل رسالة أبى حفص بن برد فى المفاضلة بين الزهور ، وتفضيل الورد [١] عليها ، ورسالة المؤلف أبى الوليد التى رد فيها على رسالة أبى حفص ، ومال فيها إلى تفضيل البهار على الورد وسواه من الأزهار ، وقد تناولنا هذه الرسالة بالدراسة فى الحديث عن أبى الوليد كاتبا .

٣ - أن الكتاب اشتمل على نصوص ومقطوعات ، وقف عليها المؤلف عن طريق التلقى المباشر من السماع لها بواسطة الإنشاد ، أو القول على البديهة ، وتسجيلها إملاء من أفواه قائليها ، كما أن منها ماقيل فى مناسبات وقتية تخص المؤلف ، أو فى مراسلات بينه وبين أدباء عصره ، من ذلك مثلاً ماكان بينه وبين أبى الوليد بن العثمانى الذى بعث له بخيرى ، ومعه قطعة نثر ، فأجابه بمثلها [٢] ، ومثل هذه النصوص والمقطوعات قد تكون مما انفرد به المؤلف .

---

(١) انظر البديع ٥٧ .

(٢) انظر البديع ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ .

٤ – يعد الكتاب مصدراً أساسيا لدارسى الأدب الأندلسى بصورة عامة ، وما يتعلق منه بوصف الطبيعة بصورة خاصة حيث يعد أحفل مصدر ، وأوفى مورد ، بل منبع ثر لمثل هذا اللون فى الأدب .

٥ – يعد الكتاب من أهم المصادر لدراسة مؤلفه أبى الوليد إسماعيل بن محمد ابن عامر ، وهو أحد علماء الأندلس وأدبائها ونقادها المرموقين ، بل يكاد يكون المصدر الوحيد الذى حوى أكبر قدر من المعلومات التى تلقى الضوء على جوانب من حياته الشخصية ، والعلمية ، والأدبية ، إلى جانب ماحفل به من مقطوعات شعريه ونثرية للمؤلف نفسه الذى لم يصل إلينا عنه سوى ماذكره فى كتابه ، وتناقلته عنه بعض المصادر الأندلسية الأخرى .

٦ – طرح المؤلف فى كتابه بعض القضايا والآراء والأقوال ، واللمحات التى تدخل فى نطاق النقد الأدبى [١] ، ولاشك أنه يعد بذلك من المصادر اللازمة للباحثين فى هذا المضمار ، حيث يقفون فيه على مادة تعينهم على تحديد ملامح وتيارات النقد الأدبى فى الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف ، أو فى القرن الخامس على وجه التحديد .

* * *

---

(١) انظر حول ذلك ماسبق أن تحدثنا به عن أبى الوليد ناقداً .

فهـــرس المصادر والمـــراجع

١ – الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة : للدكتور أحمد هيكل ، الطبعة السادسة – دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

٢ – إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى . دراسة أدبية تاريخية : للدكتور صلاح خالص – دار الثقافة بيروت ١٩٦٥ م .

٣ – أعمال الأعلام – للسان الدين بن الخطيب : بتحقيق ليفى بروفنسال ، طبع بيروت دار المكشوف ١٩٦٥ ، وتحقيق الدكتور أحمد مختار – طبع الدار البيضاء المغرب ١٩٦٤ .

٤ – إنباه الرواة على أنباه النحاة – لجمال الدين القفطى (ت ٦٤٦ هـ) : تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم – مطبعة دار الكتب المصرية – ١٩٥٢ – ١٩٥٥ م .

٥ – بدائع البدائه – لعلى بن ظافر (ت ٦١٣ هـ) : تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم – القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٩٠ هـ .

٦ – البديع فى وصف الربيع – لأبى الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميرى (ت ٤٤٠) بتحقيق الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان – الطبعة الثانية ، مطبعة المدنى ١٤٠٧ هـ .

٧ – بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس : لأحمد بن يحيى الضبى (ت ٥٩٩ هـ) الطبعة الأوربية الأولى ١٨٨٤ م .

٨ – بغية الوعاة – جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، القاهرة – طبع عيسى البابى الحلبى ١٣٨٤ هـ .

٩ – بنو عباد بإشبيلية : للأستاذ عبد السلام أحمد الطود – الطبعة الأولى تطوان المغرب ١٣٦٥ هـ .

١٠ – البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب – لابن عذارى المراكشى . تحقيق ليفى بروفنسال – دار الثقافة ، بيروت .

١١ – تاريخ الأدب الأندلسى عصر الطوائف والمرابطين : الدكتور إحسان عباس بيروت دار الثقافة ١٩٦٩ م .

١٢ – تاريخ علماء الأندلس : لأبى الوليد عبد الله بن محمد الفرضى (ت ٤٠٣ هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م

١٣ – تاريخ النقد الأدبى عند العرب : للدكتور إحسان عباس – دار الأمانة ، ومؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩١ هـ

١٤ – تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس – للدكتور محمد رضوان الداية بيروت دار الأنوار – الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ

١٥ – التكملة لكتاب الصلة – لأبى عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٩ هـ) عنى بنشره وصححه : السيد عزت العطار – مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ .

١٦ – جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس : لأبى عبد الله محمد ين أبى نصر الحميدى (ت ٤٨٨ هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م .

١٧ – الحلة السيراء – لأبى عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) تحقيق الدكتور حسين مؤنس – الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣ م .

١٨ – حماسة أبى تمام وشروحها – دراسة وتحليل : للدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان – الطبعة الأولى بمطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر ١٣٩٨ هـ

١٩ – دول الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطى : محمد عبد الله عفان مكتبة الخانجى بالقاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ

٢٠ – ديوان ابن الرومى : تحقيق الدكتور حسين نصار – القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٩٣ هـ .

٢١ – ديوان الشافعى : جمعه نعيم زرزور – دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٤ هـ .

٢٢ – الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة – لأبى الحسن على بن بسام الشنترينى (ت ٥٤٢ هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس – بيروت دار الثقافة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .

٢٣ – رايات المبرزين وغايات المميزين – لعلى بن موسى بن محمد بن سعيد الأندلسى (ت ٦٨٥ هـ) تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضى القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٣ هـ .
٢٤ – الروض المعطار فى خبر الأقطار – لمحمد بن عبد المنعم الحميرى : تحقيق الدكتور إحسان عباس : بيروت دار القلم ١٩٧٥ م .
٢٥ – الصلة – لأبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٤٩٤ هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م .
٢٦ – طوق الحمامة – على بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق حسن كامل الصيرفى القاهرة – المكتبة التجارية .
٢٧ – العمدة فى صناعة الشعر ونقده – لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى (ت ٤٦٣ هـ) بتصحيح محمد بدر الدين النعسانى – الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ
٢٨ – فضائل الأندلس – ضمن رسائل ابن حزم الأندلسى : تحقيق الدكتور إحسان عباس – القاهرة مكتبة الخانجى ، ومكتبة المثنى ببغداد .
٢٩ – مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد – الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .
٣٠ – معجم الأدباء – لياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ) الطبعة الأولى .
٣١ – المفضليات – للمفضل بن سلمة الضبى الكوفى (ت ١٧٨ هـ) تحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون – الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر .
٣٢ – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – أحمد بن محمد المقرى التلمسانى : تحقيق الدكتور إحسان عباس – بيروت ، دار صادر ١٣٨٨ هـ .
٣٣ – نهاية الأرب فى فنون الأدب – أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣ هـ) النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .
٣٤ – هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين – لإسماعيل بن محمد بن أمين البغدادى (ت ١٣٣٩ هـ) تصوير مكتبة المثنى بغداد .

* * *

الدراسة حول أبى الوليد ومواهبه الأدبية وكتابه البديع

الموضوع	الصفحة

* * *

القسم الثاني

تحقيق كتاب

البديع في وصف الربيع

مخطوطة الكتاب

لا يوجد لمخطوطة كتاب « البديع فى وصف الربيع » حسب علمى سوى نسخة واحدة فريدة محفوظة فى مكتبة الأسكوريال بأسبانيا ، وقد جاءت النسخة خلواً من صفحة العنوان ، وهى ماعدا ذلك تامة ، وليس فيها خرم سوى بعض الكلمات القليلة التى سقطت وبقى مكانها فارغاً ، واستهلت الورقة الأولى بمقدمة المؤلف التى جاء فى صدرها : (بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما ، قال أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر رحمه الله ، أما بعد حمد الله على فضله المتناهى ، والصلاة على خاتم رسله ، وناهج سبله ، فإن أحق الأشياء بالتأليف ..) وختمت النسخة بقول المؤلف : (هذا ماعثرت عليه وانتهيت البحث إليه ، وإن وقع إلى بعد وصف رائق أو معنى فائق ألحقته فى هذا الكتاب) وتلى ذلك عبارات التختيم وهى : (تم كتاب البديع فى وصف الربيع بحمد الله وعونه ، وصلى الله على محمد خيرته من خلقه ، وعلى أهله وسلم تسليما) وفى هذه العبارات نلاحظ النص على عنوان الكتاب الذى لم نقف عليه فى صفحة العنوان أو فى مقدمة الكتاب ، وأثبت ماجاء فى الخاتمة عنوانا للكتاب لاعتبارات سبق الحديث عنها ، وقد كتبت النسخة بخط أندلسى جلى واضح ، وبحرف كبير نوعاً ما ، وميزت العناوين وعبارات البدء بخط عريض ، وعدد أوراقها حوالى تسع وثلاثين ورقة ، وكل وجه من وجوه الورقة يشتمل على ثمانية عشر سطراً ، وفى كل سطر مايتراوح بين ثمان أو تسع أو عشر كلمات فى الغالب ، تميزت النسخة بميزة ظاهرة وهى ضبط أبيات الشعر بالشكل الذى يكاد يكون تاماً مع ضبط كثير من كلمات النثر ، كما تميزت بالاتقان والضبط ، وقلة التصحيف والتحريف ، ولا ندرى على وجه التحديد متى نسخت ، ومن قام بنسخها إذ لم نجد إشارة إلى ذلك فى خاتمة النسخة ، ويبدو من خطها أنه قديم ، وربما تكون منسوخة فى القرن السابع أو الثامن تقديراً .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما

قال أبو الوليد إسماعيل بن
محمد بن عامر رحمه الله: الحمد
لله على فضله المتنامي والصلاة على خاتم رسله وسلم
[illegible] بالتصنيف
عن [illegible] المصيفية [illegible]
[illegible]
[illegible] من أزاهير [illegible]
[illegible] صفاته ووصف [illegible]
[illegible]
[illegible] والآداب [illegible]
[illegible]

قال أبو الوليد [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] الإمام [illegible]
[illegible] المعنى [illegible] على الأسماع [illegible]
[illegible] وترو [illegible]
[illegible] أهل [illegible] عن [illegible]
[illegible]

فقوله: حتى لا تحرون الأقل لا تعيب بعد كثيرها ويزاد
فيه بعض نحوها ونعرض لها هذه العلة بما يحتمل استغرابها
وأخرت استقصاءها واستغنيت بما ... وأما استعار أهل الشام
بمعرفة الوقوف عليها والنظر النهاية حتى ما تميل نحوها الانفس
ولا يرد منها العلل تعليل مع أني استغني عنها ولا أحوج
الناس أحد، لأن تستبين من النثر المسترسل والنظم المحكم
وأكثر ... أهل ... الذين ... نوادرهم عند ... و ...
من تعرض ... وفيهم من جليل قدره فقلما أوردت فيه شيئا
للعلة التي تقدم ذكرها من أن ألفاظها تصعبها ولا أغرب و
... شعر ... ويروي أخبار علماء أهل العصر
علينا والتبست لنا حتى لم تجمعوا حسنها مع حسنها وتصير
لحنها ... لا ... بما لم يخرجها عن ... ولو جرى أمثال
الأندلس على ... التعريف لأوردت على خمسين ... إما أوز
وأضعاف ما اختلفت لأن أهل المشرق على ... لا ...
وتشبيهه لأخبارهم ما تكلمت العرب بكلامهم
بشرهم ونظامهم أن ... لا ... ولا ... من ... [illegible]
... الموصوف ... وجرنه لا ... [illegible]
عن ... العلة التي ذكرتها ... وفيه ... [illegible]

عن الاتزان منتهيا الا انتظام وكيف يتخلى الكلام و...

... عن ذوائب المنبر ... وعرض ...

... وهم في حلبة ... لكانوا أحق ...

... فكيف يرى فضائله وقد ... أحسن ...

... وهو ... تضمنه ...

... فيه من الاختراع ... والابتداع ...

... المتنبه ...

... صنعه ...

...

...

...

... ومن ... الى ...

الى ... وتأمل

الناظر في كتابي تأمل النبعة المثمر والشجر المتمر ترى

ترى غرر التشبيهات وأعجب الصفات وأبدع الابيات و

أبدع ...

عليه ...

ذلك ... وتعاقب ...

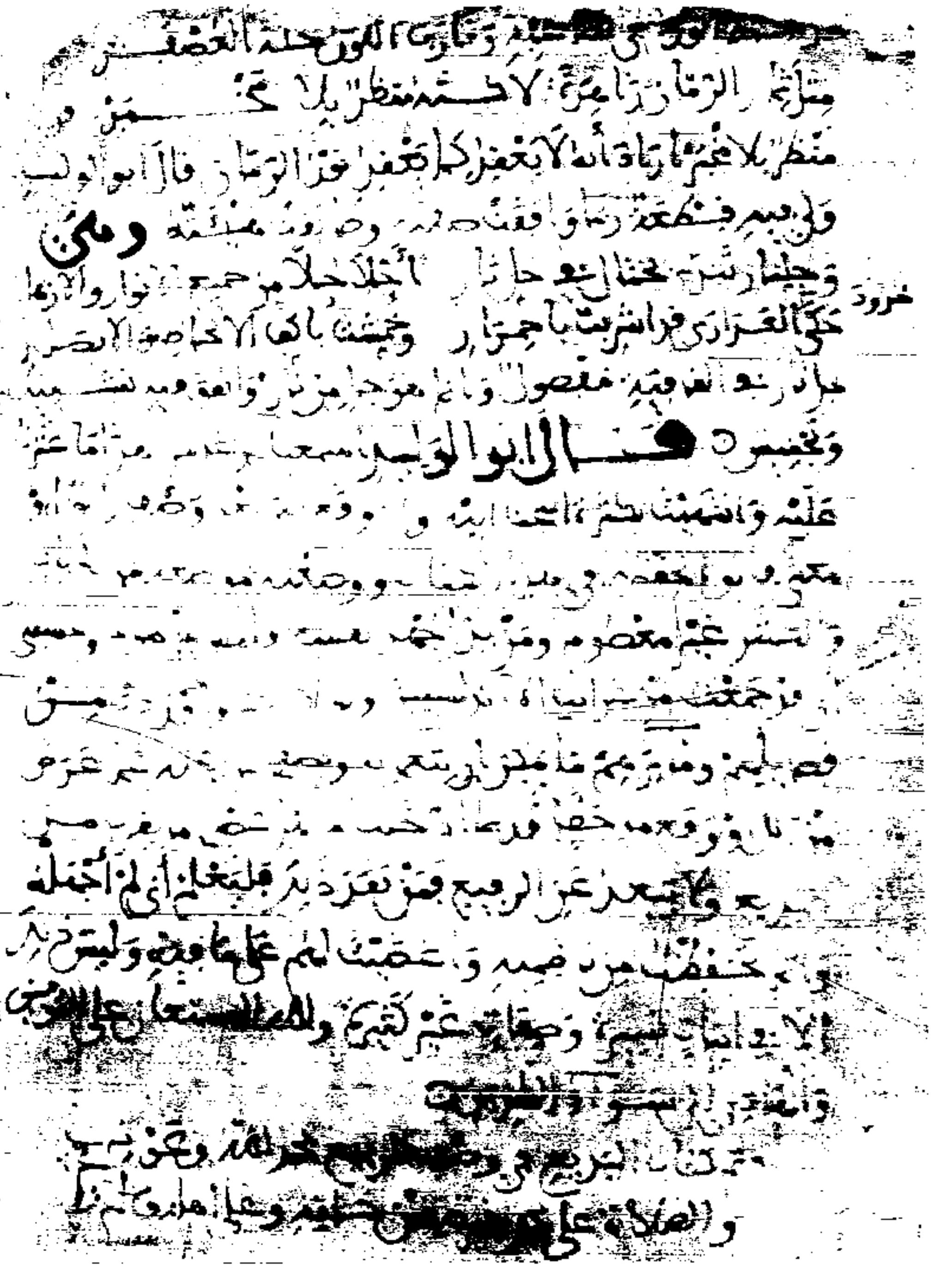
الوجه الأول من الورقة الثانية

اللذان تمنح الاسماع ونمد ذلك العقول الفكر وانعمو النظر
وتحصلوا وجود بها دررا من الكلام لا تنسلك على سلكها غير
الالباب وكسوا احسن فعلمها اجملا من الحال تبقى بعد ذا المبادرة
دررهما من ملكين نفقا سوق الادب الكاسدة واضحا حال
العلم البائرة وحث المتحلين له والمتحلين به ولولا انهما اطال
الله بقاءهما واذاما اعتلاءهما ما انعودت لهذا التاليف ولا
شغلت فكري بهذا التصنيف فمن تمنى نفسه ولا
بها في ترتيبه لاكن بفضلهما اكتبه وبعلمهما اسميه لانه
الشمس علمت لتقا اقول لحفظ الله عليه بوابة من
الادب دون عصر نمي تاسيه وقد بلغت القلوب حناجرها
وتغرب كطلوب حتى لها وتعري الثوب عن ابنائه وانالت
الايام اعد لهم بهما حرفة تجوز رجمه بن يحيى منهم
وبغر تحى عن استيعاب جميل اوصالهم واستعمال جميل
اجمالهم فنعود الى ما وعدنا به ونخليك متبينا على اجمالك
وبالله ذي الجلال والاكرام العون على البدء والتمام

باب ما جاء في الربيع والانوار

من المربع المختار

قال ابو الوليد اسمعيل بن
عامر من الصواب في الزوا وبرق اعز في التوالية ان يطرب



[illegible] وتارة كلون حلة العصفر

مثل [illegible] الرمان [illegible] لا [illegible] منظر بلا مخــبر و

منظر بلا مخبر [illegible] أنه لا يغني كما يغني عن الرمان قال أبو الوليد

ولو [illegible] فقطعة [illegible] **ومن**

وجلنار [illegible] الأجلا حلا من جميع الأنوار والأزهار خرود

حكى العذارى قد أشربت باحمرار [illegible] الأكمام [illegible]

[illegible] منفصول [illegible]

وتحبير **قال أبو الوليد** [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] مخصوص [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ولا يبعد عن الربيع فمن تعرد به فليعلم أني لم أجمله

[illegible] خففت من [illegible] وقصدت [illegible] على ما فيه وليعترف

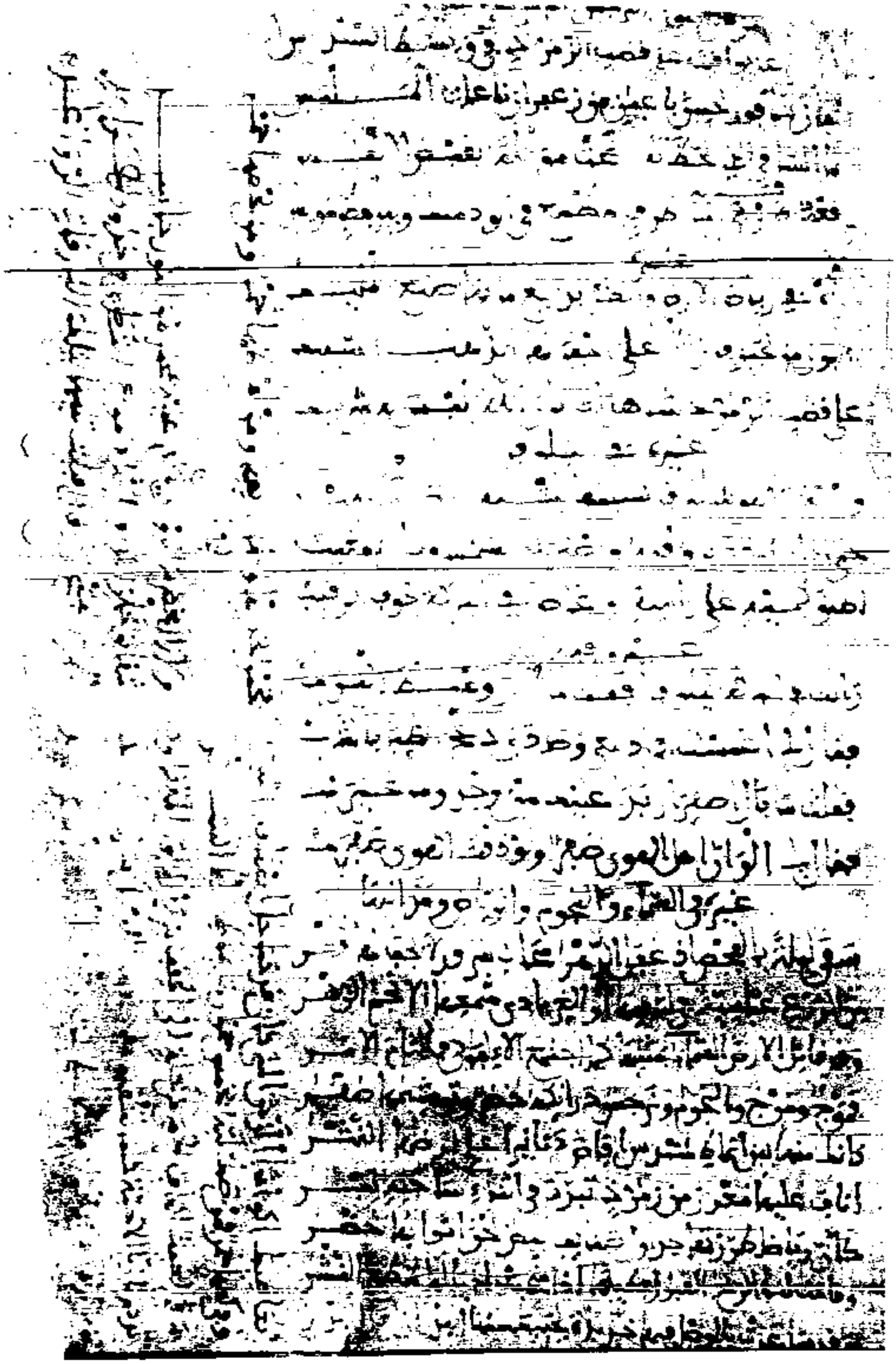
إلا بأبيات يسيرة وصفات غير كثيرة والله المستعان على الأمور

و[illegible] التيسير والرحمة

تم [illegible] الربيع [illegible] بحمد الله وعونه

والصلاة على [illegible] وعلى [illegible]

الوجه الأول من الورقة الأخيرة



الوجه الثاني من الورقة الأخيرة

النسخة المطبوعة

طبع كتاب البديع فى وصف الربيع أول ماطبع عام ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م فى مدينة الرباط بالمغرب ضمن مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية وعنى بنشره وتصحيحه عن النسخة الوحيدة الموجودة بمكتبة الأسكوريال الأستاذ هنرى بيريس المدرس بجامعة الجزائر ، وخرج الكتاب فى ثمان وتسعين ومائة صفحة مع الفهارس التى وضعها للكتاب وهى فهرس الموضوعات ، وفهرست أسماء الرجال ، فهرست أسماء الأماكن ، وفهرست أسماء الأنوار ، وفهرست القوافى ، استغرقت الفهارس من صفحات الكتاب مايقرب من سبع وثلاثين صفحة .

غير أن ناشره لم يبذل فيه أى جهد يذكر سوى بعض الفهارس التى لم يلتزم فيها الدقة وحسن التبويب والترتيب والتنسيق ، وهى أوضح شيء بذل فيها جهده كما يبدو ومع ذلك فاته فيها قدر لابأس به مما يجب ذكره فى هذه الفهارس مما هو واضح نحو « إشبيلية » التى لم يرد لها ذكر فى فهرس الأماكن ، ونحو « حبيب بن عامر - أبو المؤلف » الذى لم يرد له ذكر فى فهرست الرجال وغير ذلك ، ولا نجد مع هذا الجهد فى الفهارس سوى بعض التعليقات النادرة جداً التى لو جمعت من الكتاب كله لا تُكَوّن أكثر من صفحة واحدة ، ولم يعمد إلى تخريج مافيه من نصوص شعرية ونثرية إلا فى القليل النادر جداً ، ولم يترجم لأحد من الأعلام ، كما لم يقم بتحرير النص وتصحيحه تصحيحا دقيقا إذ تناثرت فى الكتاب أخطاء وتصحيفات وتحريفات كثيرة إلى جانب التصرف فى النص بإضافة كلمات ، أو عبارات فى صلب النص دون الإشارة ، أو التنبيه على أنها إضافة منه حتى لا يتوهم متوهم أنها موجودة فى الأصل ، مما يتنافى مع أصول التحقيق ، ويمكن أن نورد نماذج من ذلك لبعض التصحيفات والأخطاء والإضافات التى لم ترد فى النص على النحو التالى :

أولاً : التصحيفات والأخطاء :

المسلسل	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	٢٥	١	اشتبشر	استبشر بالسين المهملة
٢	٢٦	١٤	اختلال الوزن في قول الشاعر	والصواب نقل كلمة « بها » إلى صدر البيت ليكون هكذا « فأجل جفونك فيه تجل صداً بها »

فأجل جفونك فيه تجل صداً
بها لولا انبراء جماله لم تبره

المسلسل	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	٣٦	٦	الأزهير	الأزاهر : ليستقيم وزن البيت
٤	٣٦	٦	بِسوسى : بكسر الباء	بَسوسى : بفتح الباء
٥	٥١	٢	أمّا لها أشفار	ماالها أشفار : بدون ألف وبدون تشديد
٦	٥٦	٥	يمنى	يمينى
٧	٦١	١٦	تأنيبها	تأنيبنا
٨	٦٧	١٥	الجذاله	الجزالة
٩	٦٨	١٥	ضمّنت بالمسك	ضُمّخت بالمسك
١٠	٨٩	٥	مكتشفا	منكشفا
١١	٨٩	١١	الغذائر بالذال المعجمة	الغدائر بالدال المهملة
١٢	٩٠	٢	من جزل بالزاى	من جذل : بالذال المعجمة
١٣	٩٣	٤	لا يَخاف	لا يُخاف بالبناء للمجهول حيث إن القافية مرفوعة

المسلسل	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤	٩٦	١٤	أهوى : بالواو	أهدى : بالدال المهملة
١٥	١٠٠	١١	لراعى الطرب	لداعى الطرب
١٦	١٠٠	١٥	حبال الحديد	حبال الحرير
١٧	١٠٨	١١	بيتين أنيقتى التشبيه	بيتين أنيقى التشبيه
١٨	١٢٩	١١	المعشُوقَيْنِ : بصيغة المثنى	المعشُوقِينَ : بصيغة الجمع
١٩	١٣٠	٢	سُوسن : بضم السين	سَوسن : بفتح السين
٢٠	١٤٠	٨	أنا بِهَيْئته	فى الأصل (دهراً بهيئته) وكتب فوقها « آنا » وقرأها الناشر خطأً « أنا » والصواب إذا أثبتنا القراءة الثانية « آنا » بالمد من الآن .
٢١	١٤٣	١٥	لا أعدمنا الله جاهُهُ : بالضم	جَاهَهُ : بالفتح إذ لا يجوز أن تكون فاعلًا لا عرفاً ولا شرعاً
٢٢	١٥٢	١٣	وبالنَّأْى والقدح	بالناى : بدون همزة إذ أن النأى بالهمزة البعد ، ولا مناسبة فى ذلك من حيث المعنى .
٢٣	١٥٤	٦	بيض غُلِّقت : بالقاف	غُلِّفت بالفاء إذ هو المناسب للمعنى ففى اللغة يقال غلف لحيته بالطيب والحناء والغالية : لطخها .

* * *

ثانيا : التصرف بالإضافات فى الأصل دون التنبيه أو الإشارة :

١ – تكملة بعض الأسماء على نحو ماجاء فى الصفحة السابقة حيث قال المؤلف (ولأبى عمر) فأكمل الناشر الاسم (أحمد بن فرج الجيانى) ومثل ذلك ماجاء فى ص ٩ ، ١٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٩ .

٢ – ص ٥٣ س ٤ أضاف (أنا) بين « من » « وأفديه » فى رسالة الوزير أبى حفص .

٣ – ص ٥٣ س ١٣ – أضاف (الله تعالى) فى رسالة أبى خفص نفسها .

٤ – ص ٥٨ س ١٥ – أضاف (والنرجس) .

٥ – ص ٥٨ س ١٨ – أضاف (ذلك) .

٦ – ص ٧٢ س ٥ – أضاف تكملة صدر بيت ابن الرومى (شتان بين اثنين) .

٧ – ص ١٠٤ س ٧ ، أشار المؤلف إلى بيتين ذكر بأنهما سبقا ، فجاء الناشر وأورد البيتين دون الإشارة إلى ذلك فى الهامش .

* * *

البديع في وصف الربيع

تأليف

أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري الإشبيلي

المتوفى قريبًا من سنة ٤٤٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما

قال أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر رحمه الله . أما بعد حَمد الله على فضله المتناهي ، والصلاة على خاتم رسله ، وناهج سبله فإنّ أحق الأشياء بالتأليف ، وأولاها بالتصنيف ما غفل عنه المؤلفون ، ولم يُعْنَ به المصنفون مما تأنس النفوس إليه وتلقاه بالحرص عليه ، وفصل الربيع آرج وأبهج وآنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أحُدّ حسن ذاته وأعدّ بديع صفاته . وحسبي بما يعلم الكل منها ، ويخبر به الجميع عنها شهيداً لما نقلته ودليلاً على ما قلته ، وهو مع هذه الصفات الرائقة والسمات الشائقة والآلات الفائقة لم يُعْنَ بتأليفه أحد ولا انفرد لتصنيفه منفرد .

قال أبو الوليد :

فلما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب مضمناً ذلك الباب ، ولست أودعه إلا ما أذكر لأهل الأندلس خاصة في هذا المعنى إذ أوصافُهم لم تتكرّر على الأسماع ، ولا كثر امتزاجها بالطباع فترِدها شيّقة وتَرودُها تيّقة وإنما ذلك لتضييع أهل بلدهم لأكثرهم وغفلتهم عن جُلّها إنكاراً لفضلها مدة بقاء أهلها فإذا إنقرضوا تأسفوا بقدر ما كانوا تنسَّفوا وحينئذ لا يجدون إلا قليلا يغيب في كثيرها ، وثماداً يفيض عند بحورها ، ولعمري إن هذه العلة مما صحّحت استغرابها وأكّدت استحسانها واستعذابها .

وأما أشعار أهل المشرق فقد كثر الوقوف عليها ، والنظر إليها حتى ما تميل نحوها النفوس ، ولا يروقها منها العِلْق النفيس مع أني أستغني عنها ، ولا أُحوج إليها بما أذكره للأندلسيين من النثر المبتَدع ، والنظم المخترَع ، وأكثر ذلك لأهل عصري إذ لم تغب نوادرهم عن ذكري .

وأما من بعُد عصره ، وكَم فيهم من جليل قدْرُه فقلما أوردت لهم شيئاً للعلة التي تقدم ذكري لها من إهمالها وتضييعها . ولأهل المشرق في تأليف أشعار شعرائهم ، وتدوينَ أخبار علمائهم الفضلُ علينا ، والسبق لنا حتى لقد يجمعون خشينها مع حسنها ، ويضيفون لحنها إلى لَحنها لا قلة مَيْزٍ بها بل تحرُّجا عن تركها ، ولو جرى أهل الأندلس على تلك الطريقة لأوردت على الحقيقة أمثال ما أوردت وأضعاف ما اجتلبت لكن أهل المشرق على تأليفهم لأشعارهم ، وتثقيفهم لأخبارهم مذ تكلمت العرب بكلامها ، وشغلت بنثرها ونظامها إلى هلمّ جرّا ، لا يجدون لأنفهسم من التشبيهات في هذه الموصوفات ما وجدته لأهل بلدي على كثرة ما سقط منها عن يدي بالغفلة التي ذكرتها عنها ، وقلة التهمُّم بها ، وعلى قرب عهد الأندلس بمنتحلى الإسلام فكيف بمنتخلي الكلام ، ولو تأخروا عن إدراك المشرقيين في كل نحو وغرض ، وتقهقروا عن لحاقهم في كل جوهر وعَرَض لكانوا أحِقّاء بالتأخُّر ، وأحرياء بالتقهقر . فكيف يُرَى فضلهم وقد سبقوا فى أحسن المعاني مجتلًى وأطيبها مُجتَنًى ، وهو الباب الذي تضمَّنه هذا الكتاب فلهم فيه من الاختراع الفائق ، والابتداع الرائق ، وحسن التمثيل والتشبيه ما لا يقوم أولئك مقامَهم فيه ، والفضل في هذا الصُّنع الجميل لذي الوزارتين القاضي الجليل المنقطع المثيل ، ولابنه الحاجب الشهاب الثاقب نثرة عبّاد ، ورحمة الله على العِباد مولىّ وسيدَيّ أبقاهما الله ستراً علَيّ . فهما اللذان أقامت مُقعَد الهمم يدُ اهتبالهما ،

وأمطرت أرض الفطن سماءُ أفضالهما ، فدرّت الدرر من تلك الفِكَر التي يَسْعَيَان لتحصين مُرادهما وتحسين مَرادهما .

وتأمّلْ أيها الناظر في كتابي تأمُّل اليقظ المنتقد والمميّز تَرَ أغرب التشبيهات ، وأعجب الصفات ، وأبرع الأبيات ، وأبدع الكلمات لمن كام حواليهما من مُسْنِد إليهما مُعَوِّل عليهما ، ومتصرِّف بين أيديهما ، ومتورط على أياديهما . وإنما ذلك لترادف إحسانهما وتعاقب امتنانهما وقديماً قيل اللُّها تفتح اللَّها ، وبقدر ذلك أعملوا الفكر وأنعموا النظر فنظموا في جودهما درراً من الكلام ، لا تسلك على سلكها غِيَرُ الأيام ، وكسوْا جميل فعلهما جُملا من الجمال تبقى بقاء الليال . فلله درّهما من مَلكين نفّقا سوق الأدب الكاسدة وأصلحا حال العلم الفاسدة فكثر المنتحلون لها ، والمُتَحَلُّون بها ولولاهما – أطال الله بقاءهما وأدام اعتلاءهما – ما انفردت لهذا التأليف ، ولا شغلت فكري بهذا التصنيف ، ولا منيتُ نفسي به ، ولا وثقتُ بها في ترتيبه . لكن بفضلهما الجزيل ، وفعلهما الجميل لاح السبيل وعلمت كيف أقول فجزاهما الله عما يُولِيان من الأيادي الحسان التي تداركَتْنا وقد بلغتِ القلوبُ حناجرَها ، وشحذت الخطوب خناجرها ، وكشَّرت النُّوَبُ عن أنيابها ، وأدالت الأيام إعتابها بعِتابها جزاءً يجوز رضاهما بل يجوز مُناهما ، وبعد العَجْز عن استيعاب جزيل أفضالهما واستكمال جميل أفعالهما فنعود إلى ما وعدنا به ، ونجتلب ما بنينا على اجتلابه وبالله ذي الجلال والإكرام العونُ على البَدْء والتمام .

★ ★ ★

باب ما جاء في الربيع والأنوار من البديع المختار

قال أبو الوليد إسماعيل بن عامر : من الصواب في الدواوين والحِذْق في التواليف أن يُضاف المِثْلُ إلى مثله ويُقرن الشكل بشكله فيقصد الطالب أيَّ معنى شاء فيجد مقصده ويعتمد القاريء أيَّ فصل أراد فيَلقي مُعتَمدَه .

وهذا الباب كثير الفصول غزير الفروع ، والأصول على قلة الوصف له والقول فيه لكني رددته إلى ثلاثة فصول وقصرْته عليها وقيدته بها .

فالفصل الأول – القِطَع في الربيع التي لم يُسمَّ فيها نَوْر ولا قصد بوصفها منه نوع .

والفصل الثاني – القطع التي لم تتفرّد بوصف نُوّار بل اشتملت على وصف نورين أو أنوار .

والفصل الثالث – في القطع المنفردة كل واحدة منها بنور على حِدَةٍ ممن طلب شيئاً قرُب عليه وِجْدانُه ولم يعزب عنه مكانُه .

وبعد الرَغبة في التسديد ، والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق نبدأُ بالفصل الأول .

الفصل الأول

القطع في الربيع التي لم يسمَّ فيها نَوْر ، ولا قصد بوصفها منه نوع .

قال أبو الوليد : من المستحسن في هذا الباب قول أبي عمر أحمد ابن عبد رَبّه (١) :

وروضةٍ عَقَدتْ أيْدي الربيع بِها نَوراً بنَور وتزويجاً بتزويج (٢)
بمُلْقِح من سَوارِيها ومُلْقَحةٍ وناتج من غواديها ومنتوج
توشّحتْ بمُلاة غير مُلْحمة من نَوْرِها ورداءٍ غير منسوج

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير بن سالم مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، ويكنى أبا عمر علم مشهور من أقطاب العلم والأدب فى بلاد الأندلس ولد سنة ست وأربعين ومائتين لعشر خلون من شهر رمضان ونشأ فى مدينة قرطبة تلك المدينة الزاهية بجمال الطبيعة وثراء العلم والثقافة ، واشتهر ابن عبد ربه بكتاب العقد الفريد الذي له نصيب من اسمه حيث حوى جواهر ثمينة من أدب المغرب والمشرق ، كان عالماً ثبتا له بالعلم جلالة وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانته وصيانته كما وصفه الحميدى وتوفى بسنة ثمان وعشرين وثلاثمائة لاثنتى عشر ليلة بقيت من جمادى الأولى عن إحدى وثمانين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام وانظر ترجمته فى جذوة المقتبس ص ١٠١ رقم ١٧٢ ، وبغية الملمّس ص ١٣٧ رقم ٣٢٧ وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ص ٣٨ رقم ١١٨ ، ومعجم الأدباء (٢١١/٤) ووفيات الأعيان (١١٠/١) .

(٢) الأبيات فى ديوانه ٨٤ ، وفى كتابه العقد الفريد (٤٢٣/٥) .

فألبستْ حلل المْوشيِّ زهْرتَها وجلّلتْها بأنماط الديابيج (١)

سَوارِيها : سحائبها الآتية ليلاً من السُّرى وهو سير الليل . وغواديها : الآتية فى الغداة .

ومن غريب الوصف في عجيب الرصف قول أبي عمر أحمد بن فَرَج الجيّاني (٢) :

أما الربيعُ فقد أراكَ حدائقاً لبِستْ بها الأيامُ وشياً رَائِقا
فكأنما تجترّ أذيالَ الصَّبا فيها البُروقُ أزاهراً وشَقَائِقا
متقسِّمات .... وسمَ الهوى تحْكي المشوق تارة والشائقا (٣)
من قانئٍ خجِلٍ وأصفر مُظْهرٍ للوجْد كالمعشُوقِ فَاجا العَاشِقا
وكأنّما نثرتْ على أجفانها غُرَّ السَّحائبِ لؤلؤاً مُتَناسِقا
فإذا الصَّبا لعِبتْ به في روضة ذُكِر الفراقُ بها بكاً وتعانقا

شبه اضطرابَ النوار بالرياح ، وقرْبَ بعضها من بعض ، وسقوط الندى منها بذلك الاضطراب بالتعانق عند الفراق ، والبكى من أجله .

ولأبي عمر أيضا فيه قطعة غريبة التشبيه وهي :

يا غيْم أكبرُ حاجتي سُقْيِ الحمى إن كنت تُسعِفْ (٤)

---

(١) الديابيج : جمع ديباج وهو الحرير الغليظ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن فرج الجيانى أبو عمر من أدباء الأندلس وافر الأدب كثير الشعر ، واشتهر بكتابه الحدائق الذي ألفه للحكم المستنصر وعارض فيه كتاب الزهرة لأبى بكر الأصبهانى ، وكان الحكم قد سجنه لامر نقمه عليه وقيل مات فى سجنه وانظر فى ترجمته جذوة المقتبس ١٠٤ رقم ١٧٦ ، وبغية الملتمس ١٤٠ رقم ٣٣١ والمغرب (٥٦/١) ومعجم الأدباء (٢٣٦/٤) ونفح الطيب (١٧٣/٣ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٩٦/١٨٢) ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ٥ ، ٦ .

(٣) كذا فى الأصل وربما كانت الكلمة الساقطة « نورها ، أو حسنها » .

(٤) الأبيات فى كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ٣٩ .

رشّفْ صداه فطال ما	رَوَّى الصَّدى فيه الترشُّفْ
واخلعْ عليه من الرّبيـ	ـع ووشْيه بُرداً مصنَّفْ
حتـــى تُرَى أنـــواره	وكأنها أعشار مُصْحَفْ (١)
وتخال مرفضّ النـــدى	في روضه شكلا وأحْرُف

وكتب عمر بن هشام إلى صديق له يستدعيه في رأس الربيع من جنّة له فأحسن إحساناً يقرب على من تأمله ، ويبعد على من رامه :

كتبت والأرض تستطير باستطارة شوقنا إليك ، وتهُمّ أن تستقلّ بنا نحوك إذ صرنا بروضة استعارت لون السماء بخضرتها ، وزُهر نجومها بأنوارها ، وبُدور تمّها بأقمارها . فقد افترشنا ثوب السماء ، وحوينا زَهْرة الدنيا ، وبيننا متطلِّعة إليك بأعناق الغزلان ولسمع حِسّك مُصيخة الآذان فإن عجّلْتَ قهقهت طرباً وتبودرَتْ نُخَباً ، وإن أَبطأتَ أظلم في أعيننا النُّور ، وكادت الأرض بنا تمور . والسلام .

قال أبو الوليد : في آخر هذه الرسالة من وصف الكؤوس ، وسرور النفوس بمن خوطب فيها وكوتب بها ما لم أَعدْ به ، ولا قصدت قصد ذكره لكني لو فَصلته منها لأَخللْت بها ، فمن الأشياء أشياءُ يزداد حسنها بما وُصِلت به ، وقرنت معه ، وربما أن في كتابي مثل هذا . فمن رآه فليعلمْ أني إنما أسعى في استكمال الحديث ، واستيعاب الخبر لئلا أُخِلّ بما أبتدئ به بالنقص منه ، ولست أفعل هذا إلا فيما يكون تبعاً لما أَقصِدُ إلى جمعه وأُشغَل بتأليفه .

---

(١) فى التشبيهات (أنهاءه) . عواشر القرآن : الآى التى يتم بها العشْرُ .

ولذي الوزارتين القاضي [١] – أدام الله عزّه ووصل حرزه – قطعةُ نثر بل نفثةُ سحر جاوب بها أبا عامر بن أبي عامر – رحمه الله – وقت كونه بإشبيلية ، وقد كتب إليه يسأله إباحة الخروج له إلى بعض ضياعه للتنزُّه في فصل الربيع .

والقطعة بعد صدرها :

وقفتُ على كتابك – أكرمْ به – وفهمت ما تضمَّنه ، وهي أوقات التنزه وأحيان التفرُّج . فقد أشرقَتِ الأرض ، وزهي الروض ، وأقبل فصل الربيع بكل حسن بديع ، وأفصحتِ الطيرُ بعد عُجمتها وأبدت النواوير [٢] غرائب زَهرتها ، وكست الورقُ شجرها ، وغطت الزروع مَدَرها فلستَ ترى إلا خضرة تسطع ، وثماراً تينع تجلو الصدى [٣] من الكبد الحرَّى ، وتريح الأسى عن النفوس المرضى ، وقد قال – عليه السلام – روِّحوا هذه الأنفس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد ، وهذا كله بما منَّ الله به من الغيث المغيث فله الشكر واصباً والحمد دائباً على آلائه التي تَتْرَى ، ونعمه التي لا تحصى ، وهذا فيضُ بديهته ، وعفوُ سجيته

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد مؤسس دولة بنى عباد فى أشبيلية وله فى العلم والأدب باع ولذوى المعارف عنده بها سوق وارتفاع وكان يشارك الشعراء والبلغاء فى صنعة الشعر وحوك البلاغة وأخباره كثيرة متناثره فى كتب التاريخ وانظر حول مصادر ترجمته وبعض أخباره كتاب بنو عباد بأشبيلية للأستاذ عبد السلام أحمد الطود وانظر أيضاً الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٣ ، والبيان المغرب (١٩٣/٣) والحلة السيراء (٣٩/٢) ومطمح الأنفس ١٦٩ .

(٢) الجمع الصحيح أنوار مفرد النور أو النورة وهو الزهر وقيل الأبيض منه وانظر اللسان (١٠٢/٧) .

(٣) الصدى : العطش الشديد ، وفى هامش الأصل : خضرة ساطعة وثماراً يانعة وأزاهير رائعة .

ولو روَّى لكان أرفع على أن لا أرفع ، وأبدع على أن لا أبدع – حرس الله حوباءَه وصان ذكاءَه .

ومن البديع في وصف الربيع ما جاء به أبو عمر يوسف بن هَارُون الرَّمادي [١] في قصيد يمدح به الوزير ابن بلَشّر فقال بعد صدر منه :

« على روضة قامت لنا ..... »

على روضةٍ قامت لنا بدَرانك وقام لنا فيها الذبابُ بمُسْمِع[٢]
إذا ما شربنا كأسنا صُبَّ فضلُها على فصصنا للمُسْمِع[٣] المتخلع[٤]
كأن السّحابَ الجوْن أعرسَ بالثرى فلاح شوار الأرض في كل موضع[٥]

---

(١) هو يوسف بن هارون الكندى أبو عمر ويعرف بالرمادى نسبة إلى موضع ف المغرب شاعر قرطبى كثير الشعر سريع القول مشهور عند العامة والخاصة لسلوكه ف فنون من المنظوم ، وذكر الحميدى أن كثيراً من شيوخ الأدب فى وقته يقولون :

فتح الشعر بكندة ، وختم بكندة ، يعنون امرئ القيس والمتنبى ويوسف بن هارون مدح بشعره بعض الملوك والرؤساء ومنهم الحكم المستنصر ، وكان قد سجن وألف ف سجنه كتابا سماه (كتاب الطير) وصف فيه كل طائر معروف أطلع عليه الحميدى وأثنى عليه وتوف سنة ٤٠٣ ، وانظر فى ترجمته جذوة المقتبس ٣٦٩ رقم ٨٧٨ ، وبغية المتلمس ٤٧٨ ، ومطمع الأنفس ٣١١ ، والمغرب (٣٩٢/١) والصلة لابن بشكوال (٦٣٧/٢) ونفح الطيب (٣٥/٤) والمطرب ٣ ووفيات الأعيان (٢٢٥/٧) والحلة السراء (٢١١/١) .

(٢) البيت الثالث ، والخامس والسادس من هذه الأبيات فى التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ٤٣ .

(٣) كذا فى الأصل ، لم أتبين الكلمة ، ولعلها فضلنا .

(٤) يقال تخلع فى الشراب : أى انهمك فيه .

(٥) الشّوْر ، والشّيَار ، والشَّوَار : الحسن والجمال ، والهيئة واللباس .

رياضٌ يُضاحِكن الغزالة بعد ما بكت فوقها عينُ السماءِ بأربع
كأن سرورَ الأرضِ حُزْنُ سحابِها إذا ما بَكتْ لاحتْ لنا في تصنُّع
حبائب لا يسمحْن إلا بلحظةٍ وشمَّة أنْفِ للمحِبّ الممتَّع
بدائع ما أهدى الوزيرُ بنانَهُ إلى صَكِّه إلا أتانا بأبدَع

شبه خط ممدوحه بالربيع في حسن منظره ، وجمال مخبره ، ودخوله إلى المدح في هذا الموضع مفضَّل له مستحسن منه . والغزالة الشمس . يقال طلعت الغزالةُ ، ولا يقال غابت الغزالة . وقال الأصمعي : الغزالة وقتُ طلوع الشمس وليست الشمس . والجون من الأضداد يكون الأبيض والأسود . وهو هاهنا الأسود ، والتصنُّع التحسُّن والتزيُّن .

ومن حَسَنِ ما له في هذا المعنى قوله في قصيدة يمدح بها العارض أحمد بن سعد بعد وصف سحابة ورعد وبرق وهو :

كستِ الأرضَ بساطاً رائقاً بطنُها سدَّاه والأرضُ نَسَجْ
أخرجتْ أسرارَها إذ أُحرجتْ رُبَّ سرٍّ أخْرجَ الصدرَ حرجْ
كمحِبّ ضاقَ وجْداً صدْرُه فبدا ما كان في الصّدر اعتلجْ (١)
صَاحِ إن يُبْهِجْك وجهٌ حسنٌ فليكن وجهَ الرَّبيعِ المُبْتَهِجْ (٢)
أعرسَ الروضُ وَمِنْ قيناته أُمُّ مَنْ خالف في الاسم السمِجْ
تتغنَّى أولاً في رَجــزٍ فإذا امتدّت تُغنّي في الهزَجْ

ثم دخل إلى المدح كدخوله المتقدم فقال :

وكأن الروضَ من خط أبي بكر العارض وشْيٌ ودُبجْ

---

(١) اعتلج : مأخوذ من اعتلجت الأمواج : أى تلاطمت .

(٢) سَمُجَ ككرُم سماجة : قبح فهو سَمْج وسَمِج .

قيناته : مغنّياته واحدتهم قينة . ومن خالف في الاسم السمج : أراد أُمَّ الحسن لأن الحسن ضد السمج .

ولأبي عمر أيضا قطعة حسنة يصف فيها الربيع من قصيد مطوَّل بديع التشبيهات بديع الصفات يمدح به أبا علي البغدادي – رحمه الله – والقطعة بعد صدر من القصيد :

في إثرها وقعتْ ملاحمُ تُجْتَلي ... التأريخَ بين سحائبٍ ومُحُولِ
فكأنّها جيشٌ بدُهْم خيولٍ ... غازٍ إلى جيش بشُهْبِ خيولِ
قامت رواعِدُها بطبـــول ... في حَرْبِها وبروقُها بنُصولِ [1]
ولَّت جنود المحل ثم تحصَّنت ... في قلْبِ كلّ مُتيَّم معذولِ
بكتِ السّحابُ على الرياض فحسنت ... منها عَروساً من دموعِ ثكولِ [2]
فكأنها والطَّلُّ يُشْرِق فوقَها ... وشيٌ يُحاك بلؤلؤ مفْصولِ
غلَبتْ على شمس النهار فألبست ... منها ظهيرَتَها ثِيابَ أصيل
فنزلْتُ في فرش الرياضِ ولم يكنْ ... ليحوزَها مثلي بغير نُزُولِ
سُلِبَ العِمامةَ بيننا مُتعمِّم ... لطَمَتْ سوالفَه يدا مَغْلولِ
فوضعْت في فَمه فَمي فعْلَ الذي ... يهوى بريق حبيبه المعسولِ
غنَّى الطراةُ من الذُّباب لنا بها ... طرَباً فهِجْنَ شمائلاً بشَمُولِ
روْضٌ تَعاهده السحابُ كأنه ... مُتعاهَدٌ من عِلم إسماعيل [3]

---

(١) يبدو أن صدر هذا البيت فيه خلل من حيث الوزن ، ولابد من تقدير كلمة بين رواعدها وبطبول .

(٢) هذا البيت والذى يليه فى كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ٤٢ .

(٣) المقصود بإسماعيل هنا هو أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى صاحب كتاب الأمالى والذى قيلت الأبيات فى مدحه كما ذكر أبو الوليد فى التقدمة لها .

قوله : فكأنها جيش بدهم خيول البيت . شبّه السحاب في اسْوِدادها بالخيل الدهم ، والأرض في ابْيِضاضها قبل النبات بالخيل الشهب . وهذا من أبدع ما استُعير لهذا الموضع ومما حسَّنه ذكر الغزو بينهما . وقوله : سُلِب العمامة بيننا متعمم البيْتَ . أراد ظرف الخمر الذي تسمِّيه العامّة الكُوزَ شبَّه مَقْبِضه في عنقه بيدي مغلول . وعمامته فِدامه [١] وهو من مخترعاته الطريفة ومبتدعاته الشريفة .

ومما حسُن له – رحمه الله – في هذا المعنى قطعة من قصيدة شأى فيها مَنْ تقدَّم يمدح بها ابن القُرَشيّة ، وهو عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله [٢] بعد أبيات غريبة في صفات عجيبة وهي أعني القطعة :

تأمَّلْ بإثرِ الغيمِ من زهرةِ الثَّرى حياةَ عيونٍ مُتْنَ قبل التنعُّمِ [٣]
كأنّ الرّبيع الطَّلْق أقبل مُهْدِياً بطَلْعةِ معشوقٍ إلى عين مُغْرَمِ
تعجبت من غوصِ الحيَا في حَشَا الثرى فأفشَى الذي فيه ولم يتكلّمِ
كأنّ الذي يسقى الثرى صِرْفَ قهوةٍ تنِمُّ عليه بالضميرِ المكتَّمِ
أرى حَسناً في صفْحةٍ قد تغيّرَتْ كَبِشْرٍ بدا في الوجهِ بعد التجهُّمِ
أَلا يا سماء الأرضِ أُعطِيتِ بهجةً تطالِعُنا منها بوجهٍ مُقسَّمِ

---

(١) الفدامة : شيء تشده العجم والمجوس على أفواهها عند السّقْي .

(٢) ذكره صاحب الحلة السيراء وأشار إلى أنه من ذوى القعدد فى بنى مروان ، وأبوه أبو الحكم المنذر هو الذى اشتهرت معرفته بـ « أبى القرشية » لأن أمه فاطمة بنت الأمير أبى الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن حظيت بنكاح الناصر عبد الرحمن بن محمد وولدت له المنذر فسمته باسم أبيها ، فولد عبد العزيز هذا ، وكان له حظ وافر من الأدب وحسن الشعر الحلة السيراء (١/٢١٠) .

(٣) الأبيات فى الحلة السيراء (١/٢١١ ، ٢١٢) لأبى عمر يوسف بن هارون الرمادى .

وإن قالتِ الأرضُ المنعَّم أرضها لي الفضلُ في فخري عليك فسلِّمِي
فخضرةُ ما فيها يفوقك خضرةً ونوّارها فيها ثواقبُ أنجُمِ
وإن جئتها بالشمس والبدرِ والحَيا مُفاخرةً جاءت بأسنى وأكرمِ
بعبد العزيز بن الخلائف والذي جميعُ المعالي ينتمي حيثُ ينتمي

ودخوله في هذا الموضع إلى المدح ، ومفاخرته بين السماء والأرض من المعاني التي سبق فيها ، واستولى على الأمد بها . وقوله : كأن الذي يسقي الثرى صرف قهوة البيت . شبه فيه إفشاء الأرض نوارها وخضرتها بالمطر بإفشاء المرء أسرارَهُ المكتومة بالقهوة . وقوله : ينم مستقبل من النميمة . يقال ينِمّ بكسر النون وضمها والكسر أفصح . وقوله : بوجه مقسم أي محسَّن من القَسام وهو الحُسْن . وقوله : فسلمي أراد : فأذعني لها وأقِرّي بفضلها .

ولعبد الملك بن نُفَيْل قطعة مُحْكَمة في هذا المعنى كتب بها إلى المنصور أبي عامر بن أبي عامر [١] – رحمه الله – بأرْمِلَّاط :

انظُرْ إلى حُسْنِ الزمان كأنّما يلقاك عن بِشْرٍ لوجهك مُبْشرِ
بكتِ السَماءُ على الرُّبى فتبسّمت منها ثغورٌ عن عقائِلِ جوْهرِ
أهدى الربيعُ إليه سَكْبَ سَمائِه فكسَا الثّرى من كل لونٍ أزهرِ

---

(١) هو المنصور عبد العزيز بن الناصر بن المنصور بن أبى عامر تولى شئون بلنسية سنة ٤١٧ ، وقيل سنة ٤١٢ ، وكان باراً بأهل بيته وبالرعية ، وخاطب لأول حينه الخليفة بقرطبة القاسم بن حمود ، وقد توطد سلطانه وطالت أمارته إلى سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ، وتوفى فى ذى الحجة منها .

انظر المغرب (٢ / ٣٠٠) والبيان المغرب (٣ / ١٦٤) والذخيرة القسم الثالث المجلد الأول ٢٤٩ .

ضحكت متون الأرض عند بكائه ... عن أبيضٍ يَقَقٍ يروق وأصفرِ(١)
وكذاك لم تكْشَف سريرةُ روضةٍ ... يوماً بأفصحَ مِن غَمامٍ مُمْطِرِ
غيْثٌ أرانا كلَّ نَوْرضاحكًا ... مُتطلِّعاً منها بنَوْرٍ أنْوَرِ
مُتبخترٌ في مَشْيه فكأنّه ... ثانٍ لها عِطْفاً وكاسِر مَحْجِرِ
وكأنّما زَهْرُ الرياض كواكبٌ ... حسَرَتْ لنا عن كلِ أزهر مُقْمِرِ
فصِلِ السرورَ بقهوةٍ مشمولةٍ ... تُغْنيك عن قَبسٍ ومِسْك أذفرِ(٢)

شبَّه بِشْر الزمان ببشر وجْهِ ممدوحه في أول بيت ، وشبّه ضياء الخمر بالقبس ، وريحها بالمسك إذا أقامها مقامها في آخر بيت .

وللكاتب أبي الإصبغ عيسى بن عبد الملك بن قُزْمان (٣) من جملة قصيدٍ مطوَّل قطعة في هذا المعنى وهي أثر وصْف البرق :

كم ذا أكَن ضميرَه من روضةٍ ... والغيثُ ملآنٌ بنَوْر زاهرِ
يُخْفي ويُضْمِره الحيا فكأنه ... بحرٌ تستَّر فيه نُورُ جواهرِ
حتى إذا ما عانقَ الروضُ الثّرى ... طلعَتْ أوائل نبْتِهِ المتظاهِرِ
مُتخالفاتٍ في الرّبى فنظائرٌ ... حُسْناً وفي الألْوانِ غير نظائرِ
ترنُو إليك جفونُها عن أعينٍ ... أجْلَى وأملح من عيونِ جآذِرِ
لا شيْءَ أحسنُ منظراً إن قسْتَه ... أو مخبراً من حُسن روض ناضرِ(٤)

---

(١) يقال أبيض يقق : أى شديد البياض .

(٢) الذفر والذفرة : شدة الرائحة .

(٣) شاعر وأديب معدود فى علماء الحديث والأدب ، وكان المنصور بن أبى عامر قد جعله يؤدب هشاماً المؤيد ، انظر جذوة المقتبس ٢٩٩ ، وبغية الملتمس ٣٩١ ، والمغرب (١/٢١٠) ويتيمة الدهر (٢/٣٤) .

(٤) هذا البيت والذى يليه فى المغرب (١/٢١٠) ورواية صدره (لا شىء أحسن منظراً إن زرته) .

إن جئتَه أعطاك أجملَ منظرٍ   أو غبْتَ زادك في النسيمِ الحاضرِ

وقال أبو أيوب سليمان بن بَطَّال المتلمِّس [١] في هذا المعنى فأحسن :

تبدَّتْ لنا الأرضُ مزْهُوَّةً   علينا ببهجةِ أثوابِها [٢]
كأنّ أزاهرَها أكؤُسٌ   حَدتْها أناملُ شُرّابِها
كأنّ الغصونَ لها أذْرُعٌ   تُناوِلها بعْضَ أصحابِها
وقد أعجب النَّوْر فيها الذُّباب   فيهزجُ من فرْط إعجابِها
كأنّ تعانُقها في الجَنُوب   تعانُق خوْدٍ وأترابِها
كأنّ تَرقُرق أجفانِها   بُكاها لِفُرْقةِ أحبابِها

مزهرة : مفعولة من الزهو ومعناه متعجِّبة من حالها متكبِّرة لجمالها . وتَرقْرُق الأجفان : امتلاؤها بالدمع ، واستعارَ للنَّوْر أجفاناً .

وقال محمد بن مسعود البَجّانيّ [٣] فأحسن في الوصف كل الإحسان :

---

(١) هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البَطَلْيَوْسي المعروف بالمتلمس فقيه مقدم وشاعر محسن كثير الشعر كان قريبا من الأربعمائة وهو صاحب كتاب الأحكام فيما لايستغنى عنه الحكام . انظر جذوة المقتبس ٢٢٢ – رقم ٤٤٨ ، وبغية الملتمس ٢٨٢ رقم ٧٦٢ ، ونفح الطيب (٣/٢٩٢) .

(٢) الأبيات ما عدا الرابع منها فى التشبيهات ٤١ ، ٤٢ ، وزاد بيتا هو :

ترى خمرها من رضاب الهوى   لآلئ في عين مرتابها

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن مسعود الغسانى البجانى ، أصله من بجانة وسكن قرطبة فنسب إليها ، وكان شاعراً مشهوراً منتجعاً للملوك كثير الشعر مليح الغزل ، طيب الهزل ، كان فى حدود الأربعمائة ، جذوة المقتبس ٩٢ رقم ١٤٨ ونفح الطيب (٣/٣٨٨) .

أما ترى الأرضَ أُلْبِسَتْ حُللاً ‌ ‌ ‌ من نسْج أيدي السحائبِ الصُّوَّبْ (١)
كأنّ أشجارها وقد كُسِيَتْ ‌ ‌ ‌ بدائعاً من حُلِيِّها المعْجِبْ
من أحمرٍ كالعقيق منظرُهُ ‌ ‌ ‌ وأصفرٍ كالفريد لم يُثْقَبْ
وأبيضٍ فوقَه سقيطُ ندًى ‌ ‌ ‌ كماءِ وردٍ في عنبرٍ أشهبْ
وثَمَر في الغصون تحسبُه ‌ ‌ ‌ جامِدَ خمر في الجوّ لم يُسْكَبْ
أو أنجمِ الشّرق بانَ مَطْلعُها ‌ ‌ ‌ فَسِرْنَ من مشرقٍ إلى مَغْرِبْ
خرائدٌ يلتقِينَ في عُرُسٍ ‌ ‌ ‌ تسكُنَّ حيناً وتارة تَلْعَبْ
والماء يجري خِلالَ ساحتِها ‌ ‌ ‌ كأنّه جِسْمُ فِضّةٍ ذُوِّبْ
وللصَّبـا نفحـة تُذكِّرنـا ‌ ‌ ‌ طِيبَ نسيم الصِبا فما أطيَبْ
والطيرُ في أيكها مغرِّدة ‌ ‌ ‌ كأنّها في منابرٍ تخطُبْ
أعجِبْ بها من نواطق خُرُس ‌ ‌ ‌ تُوجِزُ حيناً وتارة تُسْهِبْ
تُفْهِمُني عُجْمةٌ بألسُنها ‌ ‌ ‌ معنى الكلام المبيِّن المعْرِبْ

وللوزير أبى عامر بن شُهَيْد (٢) – رحمه الله – في الربيع قطعة

---

(١) يقال صاب صوبا ومصاباً : المطر : انصب ونزل ، والشيء جاء ونزل من عل .

(٢) هو أحمد بن أبى مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد بن عيسى بن وضاح الأشجعى شاعر وأديب مشهور من أدباء الأندلس يعود إلى أسرة شامية كانت قد استقرت فى أسبانيا فى حكم عبد الرحمن الأول ، ولد فى قرطبة سنة ٣٨٢ ، وبلغ مكانة كبيرة فى الأدب واستوزره المستظهر ثم المعتمد بالله وهو صاحب الكتاب المشهور « رسالة التوابع والزوابع » وتوفى سنة ٤٢٦ وانظر فى ترجمته مطمح الأنفس ١٨٩ ، وجذوة المقتبس ١٣١ رقم ٢٢٩ وبغية الملتمس ١٧٧ رقم ٤٣٧ ، والذخيرة القسم الأول المجلد الأول ١٩١ والمغرب (١/٧٧) والمطرب ١٥٨ ، ووفيات الأعيان (١/١١٦) ومعجم الأدباء (١/٢١٨) ومقدمة ديوانه جمع يعقوب زكى .

عجيبة من قصيدة طويلة مشتمِلة على أوصاف سواها مستغربة ، ومعان غيرها مستعذبة . والقطعة :

سَهِر الحيا برياضِها فأسالها والنَّوْرُ نائمْ[١]
حتى اغْتَدْت زَهَراتُها كالغِيدِ باللُّجَج العوائمْ[٢]
من ثيِّبَاتٍ لم تُبَل كشْفَ الخدود ولا المعاصمْ
وصِغار أبكارٍ شكتْ خجَلاً فعاذت بالكمائمْ
حَيِيَتْ بطوفان الحيا فَتَضَاحكتْ والجوُّ واجِمْ[٣]
أصنافُ زَهْرٍ طُوِّقَتْ دُرَراً تذوب بكفّ ناظمْ
مِن باسمٍ باك إليـ ـك نِدٍ وباك وهو باسمْ

وقال الوزير أبو عامر بن مَسْلَمة [٤] يصفه بوصف أبدع فيه وأغرب وأنبأ عن حذْقه وأعرب . أنشدنيه موصولا بوصف الحاجب – أدام الله عزَّه ووصل حِرْزَه – وهو :

---

(١) الأبيات فى ديوانه المجموع ١٥٥ ، وهى من قصيدة طويلة فى مدح عبد العزيز المؤتمن والحيا : المطر لإحيائه الأرض .

(٢) جمع لُجَّة : معظم الماء ، ويقال بحر لجاج أى واسع .

(٣) الحيا : المراد به المطر لأنه يحيى الأرض .

(٤) هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة وزير وأديب عالم شاعر من بيت أدب ورياسة سكن إشبيلية وله كتاب سماه « الارتياح بوصف الراح » أطلع عليه الحميدى وذكر أنه اشتمل على ما قيل فى الراح والرياض والبساتين والنواوير ، وقد انتجع المعتضد بن عباد وقيل هو الذى أذاقه حتفه ، والمعتضد هو صاحب إشبيلية من سنة ٤٣٤ – ٤٦٤ ، وانظر الجذوة ٦٥ رقم ٨٩ ، وبغية الملتمس ٨٠ رقم ١٦٠ ، والمغرب (٩٦/١) ومطمح الأنفس ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٠٥ .

أهلاً وسهلاً بوفود الربيعْ ... وثغْرِه البسَّام عند الطلوعْ[١]
كأنّمـا أنـواره حُلّـةٌ ... من وشي صنعاءَ السَّرِيِّ الرفيعْ
أحْبِبْ به من زائرٍ زاهرٍ ... دعا إلى اللهوِ فكنْتُ السميعْ
بثَّ على الأرضِ دَرَانيكَه ... فكُل ما تُبْصِر منها بديعْ[٢]
كأنّما الحاجب ذو المَنّ والـ ... إحسان إسماعيل مولى الجميعْ
أهدى إليه طِيبَ أخلاقه ... فنحْنُ منها دَهْرَنا في ربيعْ
لا زال يبقى سالماً ما دعت ... قُمْرِيَّة في فَنَنٍ ذي فروعْ

وقال أبو بكر عُبادة بن ماء السماء [٣] يصفه بأوصاف بديعة وتشبيهات رفيعة وبدأ بذكر سحابة :

وَلَعُوبٍ عشِقَتْ روْضَ الثّرى ... فَهْي تأتيه على طُول البَعَدْ
فَيَرى الروضُ إذا ما وصلت ... أرِجَ العَرْف من الطيب الجسدْ[٤]
عطِراً مُلْتبِساً مُلتحِفاً ... في سرابيلَ من الحسْنِ جُدُدْ
كمحِبٍّ زارَ محبوباً له ... فتحلَّى لِلِقاه واستعدْ
وإذا ما ودَّعَتْ أبصرْتَها ... في نحول العاشقِ الصّبِّ الكَمِدْ
تلحظ النَّوْرَ بلحظٍ فاترٍ ... مثل جفنٍ حائرٍ فيه رَمَدْ

(١) الأبيات ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ فى الذخيرة القسم الثانى المجد الأول ١١١ .
(٢) الدرانيك : البسط .
(٣) هو عبادة بن عبد الله بن محمد بن عباد الأنصارى الخزرجي ويعرف بابن ماء السماء شاعر وأديب وعالم عاش فى الفترة العامرية وأو لها دولة بنى حمود ومدح أمراءها ، أوله كتاب فى أخبار شعراء الأندلس توفى سنة ٤١٩ وقيل كان حيا عام ٤٢١ ، وانظر جذوة المقتبس ٢٩٣ رقم ٦٦٢ ، وبغية الملتمس ٣٨٣ رقم ١١٢٣ ، والذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٤٦٨ ومطمح الأنفس ٣٤٤ .
(٤) أرج العرف : أرج أرجا وأريجا وتأرّج : فاحت منه رائحة طيبة والعرف بفتح العين وسكون الراء : الرائحه مطلقا وأكثر استعماله فى الطيبة .

وجفونُ النَّوْرِ تَهْمي بالبكا ... كجفونِ الصّبِّ من فَقْدِ الجلَدْ
فهما في حَيْرةٍ عند النَّوى ... كمحِبَّيْن أحسَّا بالبَعَدْ

ولأبى بكر أيضاً قطعة بديهية وهي :

أما ترى باكرَ النّور الذي نجما ... كأنّه آيبٌ من غيبة قَدِما [1]
والقَطْر ساق له والبرق يُعْجبه ... سُقْياه فعْلة داعي الشَّرب بالنُّدما
كأنّه سِلْكُ دُرٍّ حُلَّ أو كَلِفٌ ... بكَى فلمّا دَنَا محبوبُه ابتسما
كأن مُبْدِئه في الأُفْق مُنتثِراً ... أعاده في أنيق الروضِ مُنتظِما
فلا تَرُدَّ على السّاقي حكومَتَهُ ... فإنّ دينَ الهوى راضٍ بما حَكَما

أشار إلى حسن الساقي في آخر بيت .

وأحْسَنُ منها مجتلى ، وأطيبُ مجتنى في هذا المعنى ما أنشدنيه لنفسه الفقيه أبو الحسن بن عليّ [2] ممتوجاً يمدح الوزير أبا بكر عبد الله ابن ذي الوزارتين القاضي – أعزهما الله – وهو :

قد قلت للروض ونُوّاره ... نوعانِ تبْريٌّ وفِضّي [3]
وعَرفه مختلِفٌ طِيبُه ... صِنْفانِ خَمرِيّ ومِسكِيّ
ووَجْه عبد الله قد لاح لي ... وهْو من البهجة دُرِّيّ

---

(١) نجم نجوما : ظهر وطلع .

(٢) هو على بن عبد الله بن على المعروف بالاستبحى من أهل الأدب والفضل وكان فقيها نحويا من أهل قرطبة وسكن إشبيلية . جدوة المقتبس ٣١٤ وبغية الملتمس ٥٠٥ رقم ١٥٢٢ ، والذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢٠٠ .

(٣) الأبيات فى بغية الملتمس ٥٠٦ ، وماعدا الأخير منها فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢٠٠ .

شِمْ غَرسَكَ الأرضي إن الذي ... أبصرْتــــه غَرسٌ سماوِيّ
حسنُكَ نَوْري بلا مِرْيَةٍ ... وحُسْنُ عبد الله نُورِيّ
أضحى صغيراً وهْو في قَدرِهِ ... نيلاً كبير الشأن عُلْوِيّ

قوله : شِمْ أمر من شام يَشِيم إذا سلَّ ، وأغمد من الأضداد وهو ها هنا الإغماد . ومعنى القطعة أنيق ومغزاها دقيق .

ومن الصفات المطبوعة في الكلمات المصنوعة قطعة لأبي الحسن أيضاً أنشدنيها وهي :

وقفتُ على الروضِ في يوم طَشْ ... وللدَّجْنِ ظِلٌّ كظلِّ الغَبَشْ(١)
وقد صَقل الطلُّ نُوارَه ... وأذهبَ ما فوقَه مِنْ نَمَشْ
فما غُصُنٌ يَشْتَكي عُطْلةً ... ولا شجَرٌ يتشكَّى عَطَشْ
ترى النبتَ صِنفينِ مِنْ بهجةٍ ... فمن مستقلٍ ومِنْ مُنعرِشْ(٢)
ومِنْ لابسٍ ثوْبَ طاؤوسة ... ومِنْ متردٍّ بوَشْيِ الحَنَشْ(٣)
وفصٍّ من النَّوْر لم ينتقِشْ ... وثانٍ لطبع المنى قد نُقِشْ
جمالٌ يُحَيِّر لُبَّ الفتى ... ويُكْسِبه من سرور دَهَشْ

ومن النهاية في الحسن والإحسان قول أبي عبد الله محمد بن سليمان المعروف بابن الحنَّاط (٤) في قصيد أوله :

---

(١) الطش : المطر الضعيف ، والغبش : بقية الليل أو ظلمة آخره .
(٢) يقال عرّش الكرم : ارتفعت دواليه على الخشب .
(٣) الحنش : نوع من الحيات .
(٤) هو محمد بن سليمان الرعينى أبو عبد الله البصير يعرف بابن الحناط لأن أباه كان يبيع الحنطة فى قرطبة كان متقدماً فى الأدب والبلاغة والشعر ، وشعره كثير مجموع مدح الملوك والوزراء وكانت بينه وبين ابن شهيد مناوشات ومعارضات ، واتصل بدولة بنى حمود ومدح أمراءها وتوفى سنه ٤٣٧ ، وانظر جذوة الملتبس ٥٧ رقم ٦٠ ، وبغية الملتمس ٦٧ رقم ١٢٤ والذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٤٣٧ ، نفح الطيب (٤٨٣/١) والتكملة (٣٨٧/١) والذيل والتكملة (٢٢١/٦) والمغرب (١٢١/١) .

راحت تذكّر بالنّسيم الراحا وَطفاءُ تَكْسِر للجنُوحِ جَناحا (١)

يعني السحاب . ثم خرج من وصفها بعد أبيات إلى وصف الروض .

فقال :

جادتْ على التَّلعاتِ فاكتست الرُّبى حُللاً أقام لها الربيع وِشاحا (٢)
فانظر إلى الروض الأريض وقد غدا لبُكا الغوادي ضاحكاً مُرتاحا
والنَّور يَبسُط نحو دِيمتها يداً أهدى لها ساقي الندى أقْداحا
وتخالُه حَيًّا الحيا من فَوْحِهِ بِذَكِيّه فإذا سقاه فاحا

وأخبرني الفقيه أبو الحسن بن علي قال : كان في داري بقُرْطُبة حائر صُنع فيه مَرجٌ بديع ، وظُلِّل بالياسمين . فنزَّهْتُ إليه أبا حفص التَّدْمُريّ في زمن الربيع . فقال : ينبغي أن تُسمّيَ هذا المرجَ السُّنْدُسةَ ، وصنع على البديهة أبياتاً تشاكل هذا الباب وتطابق غرض الكتاب وهي :

نهارُ نعيـمِك ما أنـفسَهْ وربْـعُ سرورِك ما آنَسهْ
تأمَّلْ وُقِيتَ ملِمَّ الخطو ب فِعلَ الرّبيع وما أسَّسَهْ
بِحائرِ قصرِكَ من صَوغِه دنانيرُ قد قارنتْ أفلُسهْ (٣)
وأسطارُ نورٍ قد استوسقت وسطْرٌ على الغمر قد طلَّسهْ (٤)

---

(١) البيتان الأول والثانى فى الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٤٤٥ ، والبيت الأول منها فى نفح الطيب (٤٨٣/١) والأبيات فى المغرب (١٢٢/١) وهى من قصيدة فى مدح على بن حمود العلوى وفى البغية ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(٢) التلعات : ما علا من الأرض .

(٣) بحائر : لعله من الحور : وهو شجر يشبه الصفصاف .

(٤) استوسقت : اجتمعت وانقادت ، والغمر : الماء الكثير ، ومعظم البحر ، وطلّسه : محاه .

ونبْتٌ له مِدرَع أخضرٌ بصفرةِ أصْباغِـه وَرَّسَهْ (١)
فأبدع ما صاغ لاكفّه أجَلّ بدائِعِه السُّنْدُسهْ
مَدارِعُهـــا خضرة غَضَّةٌ أعادَ النعيمُ لها مَلْبَسَهْ
كأنّ الظِلال علينا بها أواخِرُ ليل على مُغْلِسَهْ
كأنّ النواوير في أُفقها نجوم تطلَّعنَ في حِندسَهْ
ومهْمـا تأمَّـلْتُ تحسينها فعينـي بِقُرَّتِهـا مُعْـرِسَهْ
محلٌّ لَعَمرُكَ قد طيَّبَ الـــ ـإلاهُ ثراه وقد قدَّسَهْ

المغلسة : جمع مغلس وهو الداخل في الغلس .

ولصاحب الشُّرْطة أبي بكر بن القُوطِيَّة (٢) في هذا المعنى الذي غرَّضتُ اليه في كتابي ، وقصدتُهُ بتأليفي نوادرُ مبتدَعةٌ ومعانٍ مختَرَعة ، وقِطَعٌ من السحر مقتطعة ستقع في أبوابها وتوضعُ مع أشكالها .

فمن بديع ما أنشدنيه قوله :

ضحِك الثّرى وبدا لك استبشارهُ واخضر شارِبُه وَطَرَّ عِذارُهُ (٣)

(١) مدرع : الدراعة والمدرعة : نوع من اللباس أو الثياب أو الجبة المشقوقة المقدم .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية أصله من إشبيلية وسكن قرطبة كان أديبا وشاعراً وعالماً بالنحو واللغة وأخبار الأندلس وأحوال فقائها وشعرائها وكان هو صاحب الشرطة ، وله كتاب الأفعال ، وكتاب المقصود والممدود ، وكانت وفاته سنة ٣٦٧ ، وانظر بغية الملتمس ٥٠٤ رقم ١٥١٨ ، وإنباه الرواه (١٧٨/٣) ومعجم الادباء (٢٧٢/١٨) ووفيات الأعيان (٣٦٨/٤) ويتيمة الدهر (٧٣/٢) والذخيره القسم الثانى المجلد الأول ٢١٥ .

(٣) الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ف بغية الملتمس ٥٠٤ والأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ف نفح الطيب (٢٥/٤) ومعجم الأدباء (٢٧٦/١٨) وطر عذاره : طر : طلع ، والعذار : ما سال من اللجام على خد الفرس ، وجانب اللحية أى الشعر الذي يحاذى الأذن .

وربتْ حدائقُه وآزرَ نبتُه وتفطَّرت أنــوارُهُ وثمارُهُ
واهتزَّ ذابلُ نبتِ كلِّ قرارةٍ لمَّا أتى مُتطَلِّعاً آذارُهُ
وتعمَّمت صُلْع الربا بنباتِها وترنَّمت من عُجْمة أطيارُهُ
وكأنَّما الروضُ الأنيقُ وقد بدت مُتلوِّنـاتٌ غَضَّةٌ أنـوارُهُ
بِيضاً وصُفْراً فاقعاتٍ صائغٌ لم يَنْأَ درهمُهُ ولا دينارُهُ
سَبَك الخميلةَ عسجداً ووذيلةً لما غدتْ شمسُ الظهيرةِ نارهُ
فتوسَّد الديباجَ وافترِشن له الـ ـوشْيَ الذي من غير صنْعا دارهُ (١)
وتضوَّعت ريحُ الرياضِ كأنَّما فتَّ العبيرَ بأرضها عَطَّارهُ
فاشربْ إذا اعتدل الزمانُ ووزنه وإذا استوى بالليل منه نهارهُ

شبه الروض بالصائغ ، وأبيض نوره وأصفره بدراهمه ودنانيره . والخميلة مُسترقُّ الرملة . والوذيلة الصفيحة من الفضة وجمعُها على فعائل .

وأبدعُ من هذا وأطبعُ ما أنشدنيه أيضا لنفسه :

لما رأى العامُ زمانَ الرّبيـ ـع الطَّلق قد نشَّر عرف الكِبا (٢)
أجرى إلى غايتِه مُجْهَداً فكلما رَامَ لَحاقاً كَبَا
والنّور قد بثَّ دنانيرَهُ مُفضَّضاً إن شئتَ أو مذهَبا
اِستعمل الحيلة لما وَنى وَلَمْ يجدْ عن قصدِه مَذهبا
فقال أسلِفْني يوماً بشَهـ ـر فأَجَابَتْهُ رياضُ الرُّبا
هذا الرّبا واللّٰه في وَحْيِهِ الـ ـمُنزِلِ قد حَرَّم فِعل الرِّبا

ومما يوازي هذه القطعة رقَّةً ويشاكلها دقّةً قوله :

---

(١) هكذا فى الأصل ، ولعل الصواب (وافترشت) مما يناسب سياق المعنى فى البيت .

(٢) الكِبَا : بكسر الكاف عود البخور .

قد أخذ الأُفْق في البُكاءِ   واغرورقت مُقْلة السماءِ
فالأرض إن أظهرت جفاءً   أرسل عينيه بالبكاءِ
كأنّه عاشقٌ مَشُوقٌ   يشكو هواه إلى الهواءِ
مُرجّياً أن يُلينَ منها   ما أظهرته من الجفاءِ
حتى إذا راضها سَفيراً   حدَّثْ بوَجهٍ من الحياءِ
وانتقبتْ بالنبات عنه   والتحفتْ منه في رداءِ

وللوزير الكاتب أبي حَفْصٍ بْنِ بُرد (١) في هذا المعنى قطعة نثر مقطعة من السِّحْر في رسالة كتب بها عند صَدَرِهِ من دانِيَةَ إلى الوزير الكاتب أبي إسحاق بن حُمام ، وقد خرجا مُتنزّهين في ما يقرب من مدينة قُرطُبة في زمن الربيع يصف حسن شمائلها ويُورد شَرَف فضائلها .

وهي أعني القطعة بعد صدر :

كيف شاهدتَّ أنهارها ، وقد درَّت عليها أخلافُ الأنوار فَأَتْأَقَتْها ، وأنوارَها ، وقد سرتْ اليها خَيالات الأنداءِ فأرقَّتها ، وكيف تأمّلت الربيع وقد صاغ لمفارِقها تيجانا ، وفتق لمعاصمها أردانا ، فكأنما راسلت الأرض زهرُ النجوم ، مع كُدرِ الغيوم أن تُبدِيَها عند جِلائها ،

---

(١) هو أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن الأصغر كاتب بليغ الكتابة وشاعر مليح الشعر من أهل بيت أدب ورياسة له رسالة فى المفاخرة بين السيف والقلم ، ويعد بهذه الرسالة أول من كتب فى هذا اللون من الأدب فى الأندلس كما أفاد الحميدى وأشار إلى أنه رأى ابن برد فى المرِيّة بعد الأربعين وأربعمائة وانظر جذوة المقتبس ١١٥ رقم ١٩٢ ، وبغية الملتمس ١٥٣ رقم ٣٥٤ ، والمغرب (٨٦/١) والذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٤٨٦ ، ومطمح الأنفس ٢٠٧ ، والمطرب ١٢٧ ونفح الطيب (٥٤٦/٣) .

فى هيئة سمائها ، وكيف عانيت انشقاق تلك الأباطح ، عن نهرها السابح ، كأنه فضة تحتها نار ، فليس لها أبداً قرار ، يلبس للريح لأْمَهْ ، ويُسلُّ على الشمس صَمْصامهْ .

قوله : أخلاف الأنواءِ من حسن الاستعارة . وأتأقتها ملأتها . وبعد هذا وقبله من المعاني الطريفة والنوادر الظريفة ما يحُلُّ من الأسماع محلَّ السماع ويجري على الأفواه مجرى الأمواه ولكنها ليست مما قصدتُ إلى جمعه ولا عُنيتُ بذكره .

قال أبو الوليد : فجاوبه الوزير الكاتب أبو إسحاق بن حُمام عن تلك المعاني بشكلها براعةً وبزاعة ، وعلى تلك الفصول بمثلها صياغةً وصناعة . وفي آخر جوابه أوصاف في أصناف النواوير ، وتشبيهات لأنواعه الأزاهير تُعْجِب متأمِّليها ، وتعجِز متتبعيها . وهي إثر ذكر الأنواءِ :

قد نسجت لها من زَهر الربيع حللاً ، وسقتها من مجاجتها (١) عذباً غللاً ، وأطلعتْ فيها آثارَ الغيوم ، أشباه النجوم ، فازدانتْ بأبهج لَبوس ، وبرزت للناظرين في حلي العَروس ، كأنّما اختلست لفظَك فلبسته أو أمكْنها كلامك فتوشحته ، فمن قانئ صبغ الهواءُ غلائله ، وغذت السماءُ خمائله لا يشتكي من نداها بشَرَق ، ولا يبيت من ظماءٍ على فَرَق ، حتى بدا في لون شَفق ، فكأنما شرب رحيقاً ، أو لبس عقيقاً ، أو كأنما خاف عذلا فاحمر خجلاً يحمل من طلّه فرائد ، كأنها أدمع خرائد ، أو فاقع يجنيك تبراً ، ويريك من لونه سحراً ، يلقاك من حسنه في أجمل منظر ، ويختال من جلابيبه في معصفر ، كأنّما خافت

---

(١) مُجاج المزن : المطر ، ومجاج النحل : العسل .

هجراً ، واستشعرت ذعرا ، ترنو اليك بمقل حِسان ، لا تنطبق منها الأجفان ، فكأنما تشكو سهراً ، أضعف منها نظراً ، إلى تحاسين [١] قد لبست ثوب بهائها ، وضحكت عن بكاء سمائها ، تروقك من حسنها فنون ، وترنو نحوك منها عيون ، فمن بصير وأكمه وكحيل وأمره .

قوله عذباً غللاً الغَلل الماء الجاري بين الأشجار عن الأصمعي . أبو عُبَيْدة : الغَلل الماء الظاهر الجاري وهو الغَيْل أيضاً . والقانئ الأحمر . والفاقع الأصفر ويقال في الأسود : حالِكٌ وحانِكٌ . وفي الأبيض يَقَقٌ . والأكمه المولود أعمى . والأمرهُ الذي لا يكتحل .

ومن السنيّ البديع ، والسّريّ الرفيع ، في فصل الربيع ، ما أنشدنيه لنفسه أبو جعفر بن الأبّار [٢] موصولا بمدح الحاجب وهو :

لَبِسَ الرّبيعُ الطَّلق بُردَ شبابِه ... وافترَّ عن عُتباه بعدَ عِتابِهِ[٣]
مِلِكُ الفصول حَبا الثّرى بثرائِه ... مُتبرّجاً لِوِهادِه وهِضابِهِ
فأراك بالأنوارِ وَشْيَ برودِه ... وأراك بالأشجارِ خُضر قِبابِهِ

---

(١) التّحاسين : جمع التَّحْسين اسم بنى على تَفْعيل .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد الخولانى الأندلسى الأشبيلى المعروف بابن الأبار الشاعر المشهور كان من شعراء المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية كان عالماً جمع وصنف وله فى صناعة النظم فضل لا يرد وإحسان لا يعد توفى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وانظر جذرة المقتبس ١١٥ رقم ١٩٠ ، المغرب (٢٦٤/١) والذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٣٥ ، ونفح الطيب (٤٧٧/٣) ووفيات الأعيان (١٤١/١) .

(٣) افترّ : ضحك ضحكا حسنا .

أمسى يُذهّبها بشمسٍ أصيلِه   وغدا يُفضّضها بدمعِ جنابهِ
عقل العقولَ فما تكيّف حسنه   وثنى العيونَ جنائباً بجنابهِ
بالحاجب المأمولِ أُضحك ثغره   فرَحاً وأُنطِقَ جهرُنا بصوابهِ
بعماد هذا الدين والمِلكِ الذي   تتبادرُ الأملاكُ لَثمَ رِكابهِ
هزّ الصّعاد فأُرْعِدتْ من خوفِه   وعلا الجيادَ فأصبحت تُزهى بهِ

عُتباه رضاه . وعِتابهُ سخطه . ووهاده المواضع المنخفضة . ونجاده المرتفعة . جنائباً مقودة إليه موقوفة النظر عليه . وقوله : هزّ الصِعاد جمع صَعد وهي القناة الثابتة مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف وتقويم .

وله أيضاً في هذا المعنى قطعة بديعة الغرض موصولة بمدح أبي — وقاه الله بي — وهي :

إستبشرَ الدهرُ بعد ما استبصَرْ   فَراقَ منه الرواءُ والمخبرْ
وجرَّد الجوُّ ثوبَ دُكنَته   واكتَسَت الأرضُ ثوبَها الأخضرْ[1]
وأَضحكتْ عن بديع زهْرتها   لما بكى الغيثُ قبلُ واستعبرْ
ما دَرّ درُّ الغمام منتثراً   إلّا انتحى الروض نظمَ ما ينثُرْ
ولا انتضى البرقُ فيه أنصُلَهُ   إلا دمُ المحلِ بينها يُهدَرْ
لولا عقيقُ البروقِ حين سَرى   لم يكنِ الروضُ يُثمِرُ الجوهرْ
حدائقٌ بل كأنّها حَدَقٌ   تهجعُ طوراً وتارة تسهرْ
إذا صَبَتْ نحوها الصَّبا فتقتْ   للأنفِ مسكاً مِنْ رَدْعها أذفرْ[2]
أرضٌ تباهي السماءَ مُشرِقةٌ   بكل نجمٍ مِنْ زَهرِها أزهَرْ
وقبلُ ما فاخرَتْ كواكِبَها   بالغُرِّ والصيدِ من بنى حِميَرْ

---

(١) الدُّكنة : لون يميل إلى السواد .

(٢) الرَّدْع : العنق ، والذّفر : شدّة ذكاء الريح ومسك أذفر جيد إلى الغاية .

بكلِّ غيثٍ إذا السَّماءُ صَحَتْ ... وكلّ ليثٍ إذا القَنَا كُسّرْ
وكلّ سَهمٍ إذا انتحى غَرضاً ... وكلّ شَهم إذا علا مِنبرْ
بحارُ جُود تفيضُ من كرم ... . ذا المجد بينها الكوثرْ (١)

قوله : وكل شهم الشهم الذكيُّ القَلبِ .

وقال صاحب الشُّرطة أبو بكر بن القُوطِيَّةِ (٢) يصف الربيع ويمدح ذا الوزارتين أبا عمرو أحمدَ بْنَ إسماعيل بْنِ عبّادٍ :

أما ترى الروضَ جوهَرِيًّا ... يَنظِم دُرَّ السّما مَلِيًّا
والنَّور من فضّةٍ وتبرٍ ... متى غذا النبتُ صيرفيًّا
حتى كأن الربيع مَلْكٌ ... يُحيي له نورَها البهيًّا
ترى نواويـــرهُ كتِبر ... محضٍ وآذارُ قِسطِريًّـــا (٣)
قد مدَّ نطعاً على رُباها ... ينتقـد المحضَ والرديًّـــا (٤)
مثلَ انتقاد العُلا أبا عمـ ... ـرو نجلَ عبّاد السَّرِيا
الراجِـحَ الـواضحَ المحيَّـا ... والحُوَّلَ القُلَّبَ الكمِيَّـا
والمنجِبَ المعجبَ افتناناً ... والمنبِـه المِـدرَهَ الذكيَّـا

قال أبو الوليد (٥) : ومما قلته في هذا المعنى قطعة موصولة بمدح الحاجب – أطال الله بقاءه وحرس حوباءه – وهي :

---

(١) بياض فى الأصل ولعل الكلمة الساقطة (تخال) .

(٢) مضت ترجمته .

(٣) القسْطرِيّ : الجسيم والجهبذ ومنتقد الدراهم .

(٤) النطع بالكسر والفتح والتحريك : بساط من الأديم .

(٥) لعل الكلمة مأخوذة من المدرية وهى رماح كانت تركب فيها القرون المحددة ومكان الأسنة .

أبشِر فقد سفَر الثرى عن بشره ... وأتاك ينشُرُ ما طوى من نشرِهِ (١)
متحصّناً من حسنه في معقِلٍ ... عقلَ العيون علي رِعايةِ زهرهِ
فضَّ الربيعِ ختامهُ فبدلنا ... ما كان من سَرَّائه في سِرّهِ
من بعد ما سحب السحابُ ذيوله ... فيه ودرَّ عليه أنفَس دُرّهِ
فأجِل جفونكَ فيه تجُل صَدَأً بها ... لولا انبراءُ جماله لم تَبرهِ
واشكُرْ لآذارٍ بدائعَ ما ترى ... من حسن مَنظَره النضير وخُبرهِ
شهرٌ كأن الحاجب بنَ محمد ... ألقى عليه مَسحةً من بشرهِ (٢)
مَلِكٌ تملَّكَ رِقَّنا بمكارمٍ ... جعلتْ له غفر النجوم كَعفرِهِ
لا زال خَطْبُ زمانه في أسره ... فلقد رأيتُ به هوايَ بأسرِهِ

الغَفْر نجْمٌ . والعفر التراب . يقال عَفْرٌ وعَفَر . فكأنه لعلوّ منزلته وسموّ درجته قد استويا في بُعْدهما منه وتبايُنْهما عنه . وأسره في شطر البيت : في ملكه وتحْت حُكْمه من الأسر المعروف . وبأسره في القافية بمعنى كله وجميعه . يقال أخذت الشيء بأسره أي جميعه .

ولي أيضاً في مثل ذلك :

بكت السماء فأضحكت سِنَّ الثرى ... بمدامعٍ نظمَتْ عليه جوهرا
فكأنَّها خَرْقاءُ تنثر عِقْدَها ... وكأنّه مُسْتَغْنِم أن يُنْثَرا
عكفَتْ يداه علي نظامِ فريده ... وجُمانه فَرْداً لذاك مُشمِّرا
وأعاده أبهى لطَرْفٍ منظراً ... وأعدَّه أذكى لأنفٍ مَخْبَرا
فانظُرْ محاسنَ للرّبيع تبرَّجتْ ... لولا الرّبيعُ لَما تجلَّتْ للوَرى

---

(١) هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب مؤلف هذا الكتاب .

(٢) الأبيات ما عدا الخامس منها فى جذوة المقتبس ١٦٢ وبغية الملتمس ٢١٣ .

ومن المستحسن المستغرب ، والمستطاب المستعذب في هذا المعنى قطعة لأبي بكر بْنِ نصْرٍ كتب بها إليَّ في زمن الربيع يسألني الخروج إلى حيث يبدو كماله ويظهر جماله . والقطعة :

أُنظُرْ نسيم الروض رقَّ فوجهه لك عن أسِرَّتهِ السرِيّة يَسْفِرُ
خَضِلٌ بريْعان الربيع وقد غدا للعين وهْو من النَّضارة مَنْظَرُ[1]
قد طُرِّزتْ منه البرودُ وطررت بالوَشْي فهْو مُطرَّز ومُطرَّرُ
وكأنّما تلك الرياضُ عرائسٌ ملبوسهُنَّ مُعَصْفرٌ ومزعْفَرُ[2]
أو كالقِيانِ لبسْن مَوْشِيَّ الحُلى فلهن من وَشْي اللباس تبختُرُ
أرضٍ مُدبَّجة الروابي غَضّة الـ ـتلعات فهْي عن العبيرِ تُعَبِّرُ
يتعطَّل المسكُ الذكيُّ لعَرْفها وبه الزمانُ وحُسْنه يتعطَّرُ
مصفوفة أنماطُها [3] ممدودةٌ حِبَراتُها تبدو إليك وتظهَرُ[4]
فكأنما صَنْعاءُ أهدتْ وشيَها ورمتْ مطارفها الطريفة عَبْقَرُ
حُسنٌ يُقدَّر في الرّبيع ولا ترى ذا الحسْنِ إلّا في الرّبيع يُقدَّرُ
أنوارُ أشجارٍ غدت أوراقُها وَرِقاً تَرقْرَق بالحَباب فتقطُرُ
فاسْمَح لصَحْبك أن ترودَ رياضَها معهم فإن عيونَهم بك تنظُرُ
مَهِّدْ لهم نحْو البطاح نَزاهةً غَرّاءَ تُزْهى بالسماح وتفْخَرُ

فلما وصلت هذه القطعة إليَّ ووردَتْ عليَّ أثارت منّي كامناً ، وحرّكت ساكناً في ما ندبَ إليه وحضَّ عليه . فخاطبْتُ أبي – وقاه الله لي – برسالة فيها بعض أصناف هذه الأوصاف أسأله إباحة الخروج لي فبلّغني أملي .

---

(١) الخَضِل : كل شيء نَدٍ يُتَرشّف نداه .
(٢) هذا البيت والذى يليه لأبى بكر محمد بن نصر الإشبيلى فى نفح الطيب (٣/٤٨٤) .
(٣) الأنماط : ضرب من البسط .
(٤) الحبرة : ضرب من برود اليمن ، أو البرد الموشى والثوب الجديد .

والرسالة بعد صدرها (١) :

لما خُلِقَ الربيع من أخلاقك الغُرّ ، وسُرِق زهرُه من شيمك الزُّهر حسُن لكل عين منظره ، وطاب في كل سمع خَبَرُه ، وتاقت النفوس إلى الراحة فيه ومالت إلى الإشراف على بعض ما تحتويه من النَّوْر الذي كسا الأرض حُللاً ، لا يرى الناظرُ في أثنائها خللاً ، فكأنها نجوم نثرت على الثّرى وقد مُلئَتْ مسكاً وعنبراً ، إن تنسَّمْتها فأَرِجة ، أو توسَّمتها فبهجة ، تروق العيونَ أجناسُها وتحْيي النفوس أنفاسُها :

فالأرضُ في بردةٍ من يانع الزَّهَرِ   تُزْري إذا قسْتها بالوشي والحِبَرِ (٢)
قد أحكمتْها أكف المزن واكِفةً   وطرَّزتْها بما تُهْمي من الدّرَرِ
تبرَّجت فسبَت منا العيونَ هوى   وفِتْنةً بعد طول السِتْر والخفَرِ

فأوْجِدني بمعاليك سبيلاً إلى إعمال بصَري فيها لأجْلُو بصيرتي بمحاسن نواحيها . فالفصل على أن يكمُلَ أوانُه ، وينصرمَ وقته وزمانُه ، فلا تُخلني من بعض التشفّي منه لأُصدِرَ نفسي متيقِّظةً عنه فعهدي بمثل ما سألتُهُ بعيد ، وشوقي إليه شديد ، والنفوس تصدأُ كما يصدأ الحديد ومَنْ أجمَّها فهو السديد الرشيد .

واكفة في الشعر هاطلةٌ غزيرةٌ .

ومن المصنوع المطبوع في وصف الربيع ما أنشدنيه لنفسه أبو القاسم البَلِمِيّ وهو (٣) :

أُنظُرْ ونزِّهْ ناظرَيْك بروضةٍ   غنّاءَ ما زالت تُرَاح وتمْطَرُ (٤)

---

(١) أورد هذه الرسالة صاحب الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ١٢٦ .

(٢) الأبيات فى الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ١٢٧ .

(٣) هو أحمد بن محمد البلمى الإشبيلى ذكره صاحب الذخيرة فى القسم الثانى المجلد الأول ٢١٣ ، والمغرب (٢٥٩/١) ونفح الطيب (٤٨٤/٣) .

(٤) الأبيات فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢١٤ .

لتريك من صنعاء صنعة وشيها   بمَطارِفٍ من تُسْتَرٍ لا تُسْتَرُ
ألوانها شتى وطيبُ نسيمها   يُقْصَى العبير به ويُنْسى العنبرُ[١]

تُراح من الريح مثل تُمطَر من المطر .

قال أبو الوليد : وخرجْتُ متنزّهاً في زمن الربيع إلى بعض ضياعي فكتبت منها إلى صاحب الشرطة أبي الوليد بن العثمانيّ قطعة نثر تحتمل أن تدخل في هذا الباب . وهي بعد صدرها [٢] :

قد علم سيدي أن بمرآه يكمل جَذَلي ، ويدنو أملي ، وقد حللْتُ محلا عُنِيَ الجوُّ بتحسينه وانفرد الرّبيع لتحصينه فكساه حُللاً من الأنوار بها ينجلي صدأُ البصائر ، والأبصار . فمن مكْموم [٣] يَعْبَق مِسْكه ، ولا يمنعه مَسْكه ، ومن بادٍ يروق مُجتلاه ، ويفوق مُجتناه ، في مرآه وريّاه ، فتفضَّلْ بالخفوف نحْوي ، وتعجيل اللحاق بي لنجدّد للأُنْس مغاني . قد درسَتْ ، ونفُكَّ من السرور معاني قد أشكلتْ ، ونشكرَ للربيع ما أرانا من البديع إن شاء الله .

المكموم هو الذي في كِمامته لم يبدُ . ومَسْكه جِلْده أعني الكمامة .

---

(١) فى الذخيرة : مثنى .

(٢) الرسالة فى الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) فى الذخيرة : مكتوم .

الفصل الثاني

في القطع التي لم تنفرد بنوّار وإنما اشتملت على نَوْرَيْن ، أو أنوار .

قال أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد الخير ابن الإمام الحَكَم [(١)] – رضي الله عنهم – يصف النرجس [(٢)] والورد من جملة قصيد مطوّل :

أُنظُرْ إلى الروضِ في جوانبِه　　أحمرُهُ ضاحكٌ وأصفـرُهُ [(٣)]
إذا هفَتْ فوقَه الرياحُ سَرَى　　بهَفْوها مسْكـه وعنبـرُهُ
نَرْجِسُهُ تستجِدّ صُفْرته　　حتى كأنّ الحبيبَ يَهْجُرُهُ
والوَرْد يختال في منابتِهِ　　تطويـه أكمامُـهُ وتـنشُرُهُ

وقال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد رَبِّه [(٤)] :

باكِرِ الروْضَ في رياضِ السرورِ　　بين نظْمِ الرّبيع والمنثورِ [(٥)]
في رياضٍ من البَنفْسِجِ يحكي　　أثَرَ العضّ في بياض الصدورِ
وترى السوسَنَ المنعَّم يحكي　　ذَهباً نابتاً على كافورِ

---

(١) هو أبو عمر أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن محمد بن سعيد الخير بن الأمير الحكم أديب شاعر مشهور . بغية الملتمس ١٩٦ رقم ٤٧٥ والمطرب ١٥٧ .

(٢) سيأتى الحديث عنه ص ١١٩ وانظر حوله هامش الصفحة نفسها .

(٣) الأبيات فى المطرب ١٥٧ ، وفى بغية الملتمس ١٩٦ .

(٤) مضت ترجمته .

(٥) الأبيات فى ديوانه المجموع جمع رضوان الداية ص ٨٦ .

وكتب عمر بن هشام بن قَلَبِيل إلى صديق له يستدعيه في زمن الربيع ويصف ما عنده من النواوير بوصف بديع :

نحن – أكرمك الله – على بُسْطِ الرياحين ، ودرانِكِ الورد والياسمين ووَشْي رياض مونِقة حاكَتْها أيدي الربيع المغْدِقة ، تُلاحِظنا عن أعين النرجس والسوسان بأحلى مَحاجِرَ وأجفان ، وتبسم عن نوْر الأقحوان بمثل الدرّ والمرجان ، فهي متضوِّعة عن لطائم المسك متنفّسة بأرَج الورد جَذِلة بَهِجة فائحة أرِجة ، فإن تَقارنَ حُسْنها بحسْن وجهك فهي حالية مُشْرِقة ، وإن عُطِّلتْ من صناء غُرّتك فهي باكية مُطْرِقة .

ولعبد الزكيّ بْن عثمان الأَصَمّ قطعة حسنة في الورد والأقاح وهي :

وغضيضٍ من جَنَى الور ... دِ حكى الصُّبْحَ انفجارا
وأكاليـــــل أقاحِـــــــي ... يخالسْن حِذارا
مُشْرَئِبّـات إلى الشمـــ ... ـس بأحْـداقٍ حَيـارى
إن سقاها الطَّلُّ في السـ ... ـرّ تَضاحكْنَ جِهـــارا

ولأبي مروان عبد الملك بن سعيدٍ المُراديّ (١) قصيدٌ سرِيٌّ يمدح به الناصر لدين الله (٢) – رحمه الله – وفيه أوصاف لنواوير وتشبيهات في أزاهير .

---

(١) هو عبد الملك بن سعيد المرادى الخازن رئيس أديب شاعر كثير الشعر موصوف بالفضل ، جذوة المقتبس ٢٨٥ رقم ٦٣١ وبغية الملتمس ٣٦٧ رقم ١٠٦٧ ، والمغرب (٢٣٢/١) ويتيمة الدهر (١٠/٢) ونفح الطيب (١٧٨/٣) .

(٢) هو الناصر لدين الله أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وانظر ترجمته فى الحلة السيراء (٣٦٦/٢) والمغرب (١٨١/١) .

. فمنها قوله :

كأنّ جنيَّ الوردِ أحْدق حوله جنى سوسنٍ مستطرِفِ اللونِ أزهرِ
خدود العذارى المُخْجَلات تحفّها عوارضُها مُبْيضّة لم تُخَفَّرِ (١)
وأعين عِقْيان بأجفانِ لؤلؤٍ على كل فَرْع كالزمرُّدِ أخضرِ

وللحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المصْحَفي (٢) – رحمه الله – في هذا المعنى أبيات بارعة فيها تشبيهات رائعة . وهي :

أُنظرْ إلى الروضِ الأريضِ تَخالُه كالوشْيِ نُمّقَ أحسن التنميقِ (٣)
وكأنّما السوسان صَبٌّ مُدْنَفٌ لعِبتْ يداه بجَيْبه المشقوقِ
يومَ الوَداعِ ومُزّقت أثوابه جَزَعاً عليه أيَّما تمزيقِ
والنرجس الغضّ الذكيّ مَحاجِرٌ تعِبَتْ من التسهيدِ والتأريقِ
يحكي لنا لونَ المحِبّ بلونِه وإذا تُنُسِّم نكْهةَ المعشوقِ
وكأنّ دائرةَ الحديقةِ عندما جاد الغمامُ لها بِرَشْف الريق
فَلَكٌ من الياقوت تسْطَعُ نوره فيه كواكبُ جوْهرٍ وعقيقِ

---

(١) الخفر ، محركة : شدة الحياء .

(٢) هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كُسيلة الحاجب المصحفى من بربر بلنسية أديب شاعر عمل كاتبا زمن الناصر ، وفى زمن الحكم تولى خطة الوزارة ، واستطاع المنصور بن أبى عامر أن يصرفه عن الحجابة ويلقى به فى السجن وتوفى سنة ٣٧٢ – الحلة السيراء (٢٥٧/١) ومطمح الأنفس ١٥٣ ، والمغرب (٢٠٠/١) والبيان المغرب (٢٦٥/٢) ورايات المبرزين ٦٩ ، والذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٥٨ .

(٣) يقال أُرِضَت الأرض – ككرُم – فهى أرض أريضة : أى زكية معجبة للعين .

شبَّه أوراق السوسن في افتراقها بجيب مشقوق وهو معنى دقيق أنيق وقد تداوله جماعة وأظنه من اختراعه . وتشبيهه الأخير في الحديقة من التشبيهات العُقْم على الحقيقة .

ولأبي القاسم بن هانئ الأندلسي (١) قطعةٌ بديهيةٌ سَرِيّة كلها سنِيّة يصف فيها الورد والياسمين والنرجس صنعها في مجلس جعفر بن الأندلسيّة وقيل في مجلس جعفر بن فَلَاح . وهي :

وثلاثةٍ لم تَجتمِعْ في مجلسٍ ... إلا لمثلك والأديبُ أريبُ (٢)
الورد في شَمَّامةٍ من فِضّةٍ ... والياسمين وكلُّ ذاكِ عجيبُ (٣)
والنرجس الغَضُّ الذكيّ ولونُه ... لونُ المحِبّ إذا جفاه حبيبُ
فاحمرَّ ذا وابيضَّ ذا واصفرّ ذا ... فبدت دلائلُ كُلُّهنَّ غريبُ (٤)
فكأنّ هذا عاشق وكأنّ ذا ... ك مُعشَّق وكأنّ ذاك رقيبُ

وقال أبو عبد الملك الطَّلِيقُ وهو مروان بن عبد الرحمن بن مروان

---

(١) هو محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأندلسى شاعر وأديب يعد من أبرز شعراء الأندلس وألمعهم وأكثرهم شهرة بل أطلق عليه متنبى المغرب ولد بقرية تكون من قرى إشبيلية سنة ٣٢٠ أو ٣٢٦ كما فى الرواية الأخرى ، ومات مقتولا سنة ٣٦٢ ، وله ديوان مطبوع بتحقيق الدكتور زاهد على – مطمح الأنفس ٣٢٢ ، وبغية الملتمس ١٣٠ ، والمغرب (٩٧/٢) والمطرب ١٩٢ ، والإحاطة (٢٨٨/٢) ، ومعجم الأدباء (٩٢/١٩) ورايات المبرزين ٨٦ ، ووفيات الأعيان (٤٢١/٤) .

(٢) الأبيات ما عدا الثالث فى ديوان ابن هانئ ١١٩ .

(٣) روايته فى الديوان :
والورد فى رَامِشْنَةٍ من نرجس ... والياسمين وكلهن غريب

(٤) روايته فى الديوان :
فاحمر ذا وأصفر ذا وأبيض ذا ... فبدت دلائل أمرهن عجيب

ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله (١) يصف الورد والبهار في قصيد مشهور له لم يُصنَع بعده ولا قبله على عَروضه وقافيته ما يُوازيه جمالا ولا يضاهيه كمالا . والوصف بعد صدرٍ في سواه :

وكأنّ الوردَ يعلوه النَّدَى وجْنةُ المعشوقِ تَنْدَى عَرَقا (٢)
يتفقَّى عن بَهارٍ فاقعٍ خِلْتَه بالوردِ يَطْوي وَمَقا (٣)
كالمحِبَّيْن الوَصولَيْن غَدا خَجِلاً هذا وهذا فَرِقا
يالها من أنجُمٍ في روضةٍ قد ترقت من رباها أُفقا
ودنتْ منها إلى شمس الضُّحى حَدَقٌ للنَّوْر تُصبي الحدقا (٤)

تشبيه الورد بوجنة المعشوق كثير إلا أنه أعرب بزيادة الندى ومقابلته بالعَرَق . وقوله : يتفقَّأ أراد ينشقُّ وينجاب ومنه حديث أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – « نحن عترة رسول الله ﷺ وبيْضَتُه التي تفقأت عنه » أراد انشقَّت وانجابتْ . ودلّ على أن البهار بين الورد .

وقال أبو عمر يوسف بن هَارُون الرَّمادِيّ (٥) يصف الورد والأقاحيّ :

---

(١) هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر يعرف بالطليق كان شاعراً مكثراً سجن وقال جل شعره فى السجن ، ويشبه بابن المعتز من شعراء بنى العباس مات قريبا من الأربعمائة . جذوة المقتبس ٣٤٢ ، رقم ٧٩٩ ، وبغية الملتمس رقم ١٣٤٣ ، والذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٥٦٣ ونفح الطيب (٥٨٦/٣) والمغرب (١٩١/١) والحلة السيراء (٢٢٠/١) ورايات المرزرين ٦٧ .

(٢) الأبيات ما عدا الرابع فى الحلة السيراء (٢٢٤/١) ضمن قصيدة طويلة ، والبيت الأول مع أبيات فى الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٥٦٦ .

(٣) يتفقى : أى يتشقق ، والمتفقئة الأودية تشق الأرض .

(٤) فى الحلة السيراء : ورنت منه .

(٥) مضت ترجمته .

وفي الوردِ غضًّا والأقاحي محاسنٌ   سُرِقْن من الأحباب للمتشوِّقِ
خدودُ عَذارى لو تقصَّى حيَاؤُها   وأفواهُ حورٍ لو سمحْنَ بمنطِقِ

هذان التشبيهان معروفان لا سِيّما قلبُهما ولكن لو فُهِّما حسّنتهما معا وأبدعت فيهما بِدَعاً .

وللمُتَوكِّل بن أبي الحسين قطعة بديعة يصف فيها نواوير وهي :

في رياضٍ بُسْطُها زَهْرٌ   مُظْهِرٌ من أيْكِها قُبَبَا
نرجس يَرْنو بلَحْظَتِه   نحْوَ وَرْدٍ طَالَ ما انتقبا
فترى ذَا سافراً خجِلاً   وَتَرى ذَا عَاشِقاً نَصِبا
وترى الخيرِيّ مُكْتَتِما   مثْلَ لِصٍّ كادَ أن يَثِبَا
فإذا ما الليل ستَّره   أظهرَ الفِتْكة واستلبا

ولأبي بكر بن هُذَيْل [١] قطعة رفيعة الصفات بديعة التشبيهات في نواوير عِدّة . وهي :

حديقةُ نَفْسٍ تملأُ النفسَ بهجةً   وتثنى عيونُ الناظرين بها حَسْرَى
كأنّ جَنِيَّ الجُلَّنارِ ووَرْدَها   عشيقان لما استجمعا أظهرا خَفْرا

---

(١) هو أبو بكر يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن هذيل من أهل العلم والأدب والشعر فى الأندلس غلب عليه الشعر ، وسمع الحديث من أحمد بن غالب وغيره مات سنة خمس أو ست وثمانين وثلاثمائة وهو ابن ست وثمانين وكان قد بلغ من الأدب والشعر مبلغا مشهورا — جذوة المقتبس ٣٨١ رقم ٩٠٨ ، وبغية الملتمس رقم ١٩٤٥ ، ويتيمة الدهر (١٤/٢) ونكت الهيمان ٣٠٧ .

كأنّ جنى سوسانِها في سنا الضُّحى ... كؤوس من البلّور قد حُشيت تِبرا
كأنّ عيونَ النرجسِ الغضّ بالنّدى ... عيونٌ تداري الدمع خيفةَ أن يدرى
كأن جَنى الخيري في غبشِ الدُّجى ... نسيمُ حبيبٍ زَارَ عاشقَه سِرّا
كأنّ ينابيعَ المياه مراجِلٌ ... تفور وقد أذكت لهن الحصى جمْرا

شبه المياه في آخر بيت بالمراجل وهي القدور واحدها مِرْجَل .

وللوزير أبي عامر بن شُهَيْد [١] – رحمه الله – قصيد يمدح به سليمان المستعين [٢] بالله – نضّر الله وجهه – في فصل النَّيروز وفيه قطعة عجيبة فى نواوير عِدّة :

وأتاك بالنَّيْروزِ شوْقٌ حافزٌ ... وتطلُّعٌ للزَّوْر غِبَّ تطلُّعِ[٣]
وافاك في زمنٍ عجيبٍ مُونقٍ ... وأتاك في زَهْرٍ كريمٍ مُمتّعِ
فانظر إلى حسْن الرّبيع وقد جلَت ... عن ثوْب نَوْر للربيع مُجزَّعِ[٤]
فكأن نرجسها وقد حشدت به ... زُهرُ النجوم تقاربَت في مَطْلعِ
أو أعينُ الأحبابِ حين تراسلت ... باللَّحْظِ تحتَ تخوُّفٍ وتوقُّعِ
وبها البنَفْسج قد حكى بخضوعِه ... وقُنُوِّ لوْنٍ في سوادٍ مُشْبَعِ[٥]
خدَّ الحبيبِ وقد عضضْتَ بحَنَّةٍ ... فشكا إليك بأنَّةٍ وتوجُّعِ

---

(١) مضت ترجمته .

(٢) هو المستعين بالله سليمان بن الحكم بن سليمان الناصر ، وانظر فى ترجمته نفح الطيب (٤٢٨/١) والحلة السيراء (٥/٢) .

(٣) الأبيات فى ديوانه المجموع ١٢٥ – والنيروز : أول يوم من السنة الشمسية ، وعند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل فارسيته نوروز ، ومعناه يوم جديد ، وانظر الألفاظ الفارسية المعربة ١٥١ .

(٤) المجزّع : الشىء الذى يحمل أكثر من لون أو كل ما فيه سواد وبياض .

(٥) يريد شدة اللون ، والمعروف وصف الحمرة بقولهم (أحمر قانى) أى شديد الحمرة .

وكأنما خيريُّها تحت الدُّجى ... بين الأزاهر قام كالمتطلّعِ
يرجو زيارة مَنْ يُحِبّ لوَعْده ... كَلَفاً فبات مُراقباً لم يَهْجَعِ

وكتب الوزير أبو عامر بْنُ مَسْلَمة (١) وبين يديه ورد وسُوسان ونَيْلوفر إلى صاحب الشُّرطة أبي بكر بن القُوطِيّة (٢) يسأله وصْفَها وشَرَط في رغبته أن يكون أوّلُ الشعر :

وثلاثةٍ لما اجتمعن بمجلس ... نبَّهن منِّى همّة لم تَنْعُسِ(٣)

فأضاف أبو بكر إليه بديهةً أبياتاً سرية تعجز من رامها روية وبعث بها إليه . وهي :

وثلاثةٍ لمّا اجتمعْن بمجلس ... نَبّهن منّي هِمةً لم تَنْعُسِ
ودعوْنَ حيَّ على الصَّبوح فسُقنني ... بِدُعَائِهنّ إلى لقاء الأَكؤسِ
ورْدٌ كمثل دم الوَريد وسوسنٌ ... غضٌّ بَسوسِيّ الغلائل مكتَسٍ(٤)
ويَزِيُنــه نَيْلوفــرٌ أوراقُــه ... ورِق جرى من فوِق أخضر أملسِ
فإذا سرَتْ أنفاسُها لك أبرأَتْ ... بلطيِف ريّاها عليلَ الأنفُسِ
الوردُ والسوسانُ والنيلوفرُ الـ ... ـأرِجُ المُشمّ محرّكي ومُوَسْوِسِي(٥)
فاقتْ بحسن رُوائها وأريجها ... فيها من النُّوّار أعْمُرُ مَجْلِسي

---

(١) مضت ترجمته .
(٢) مضت ترجمته .
(٣) صدر هذا البيت سبق أن ورد مع أبيات لابن هانئ الأندلسى ص ٣٨ .
(٤) من الانبساس بمعنى الانسياب .
(٥) من الوسوسة : بمعنى الهمس ، أو حديث النفس .

وأنشدني أيضاً لنفسه صاحب الشرطة أبو بكر أبياتاً يصف فيها الورد والسوسان قَصَرَ على جميع تشبيهاتها وبديع صفاتها الحُسْنَ والإحسانَ . وهي :

قم فاسقنيها على الوردِ الذي فَغَما ... وباكِرِ السّوسنَ الغضّ الذي نَجما
كأنّما ارتضعا خِلْفَيْ سمائهما ... فأرضعَتْ لَبَناً هذا وذاك دَما
جسْمان قد كفر الكافورَ ذاك وقد ... عقَّ العقيقَ احمراراً ذا وما احتشما
كأنّ ذا طُلْية نُصَّتْ لمُعْتَرِضٍ ... وذاك خدّ غداةَ البيْنِ قد لُطِما
أو لا فذاك أنابيبُ اللُّجَيْن وذا ... جمْر الغضا حرّكته النار فاضطَرما

قوله : على الورد الذى فغما : أى الذي سدَّت ريحُه الخياشيم . وقوله : الذي نجم أي الذي طلع . والطلْية صفحة العُنُق وهي واحدة الطُّلَى . ولغة ثانية في الطُّلْية : طُلاة . ونُصّتْ رُفِعَتْ .

وأنشدني لنفسه الوزير أبو عامر بن مَسْلَمة قطعة يصف فيها البهار والبنفسج بأوصاف غريبة ويشبهها بتشبيهات عجيبة :

قدِم البهارُ مع البنفسج فاشْرَبَـ ... ـنَّ عليهما بين الرياضِ الغضّهْ
هذا كمعشوقٍ وعاشقه وذا ... مثل الحزينِ دموعُه مُرْفَضّه (١)
وترى البهارَ (٢) كأنّه ياقوتةٌ ... صفراءُ تحملها أُكُفٌّ بَضّهْ (٣)
قد سَتَّرت حَذَرَ الرقيبِ مَعاصماً ... بمطارِفٍ خُضْرٍ وأبدت فِضَّهْ
وجرى النُّضارُ بها فحسن خلقَها ... كمثال معشوقٍ تشكّى مَرْضه (٤)
وكأن ذاك بخدّها وبنحرِها ... عند العيانِ لنا بقايا عَضَّهْ

---

(١) إرفضاض الدموع : ترشُّشُها ، ومن الشيء : تفرق وذهابه .
(٢) البهار : نبت طيب الريح .
(٣) البضّ : الجسد الرقيق الجلد الممتلئ .
(٤) النّضار : الذهب أو الفضة .

قوله : كأن ذاك أشار إلى البَنَفْسَج إذْ بعُد ذِكْرُه لاشتغاله بوصف البهار .

وللوزير أبي عامر أيضاً قطعة في جملة من النواوير وعدة من الأزاهير أبدعُ من المتقدِّمة على أن لا أبدعَ ، وأرفعُ منها على أن لا أرفعَ ، تضمَّنت من التشبيهات غريبها ومن الصفات عجيبها أنشدنيها موصولةً بمدح ذي الوزارتين القاضي – وصل الله حُرْمتَهُ وأدام عِزّته –وهي :

وروضةٍ مُشْرِقــــــةٍ بكـلّ نَوْرٍ مُجْتنى
فيها بهارٌ باهِـــــرٌ ونرجس يشكو الضَّنى
ويـــــــاسمين أرْضُه ونَــــوْره تلوَّنـــــا
كالَّليْـل مُخْضرًّا ولـ ـكن بالنجوم زُيِّنـا
فاجتـــنِ ورداً وارداً وسوسَنـــاً مُلسَّنـــا
وحولـــــه نَيْلُوفـــــرٌ فِتْنَـهُ ران إن رَنـا
تخالُـــــهُ مَضارِبـــــاً من المَهَـا تَروقُنـــا
والآسُ آسٍ كاسِمِـهِ بنَــوْره قد حُسِّنـــا
تنْويـــــرُهُ جواهِـــــرٌ من غير بَحْرٍ تُقْتَنى
وحَبُّـــه من سَبَـــجٍ أو سُنْدُس قد لُوِّنا(١)
وقد بدا فيها البنفســ ـج الندي الغض الجنى
وأرضُه مَطَـــــارِف خُضرٌ أَتَتْنـا بالمُنَـى(٢)
طابت بطيبِ ماجِدٍ فاق سَنَـــاءً وسَنَـــا
ذاك ابن عبّاد عما دي وسِراجي في الدُّناَ
فهْو يُثير الحقَّ والـ ـعَدْلَ ويُحْيي السُّنَنا

---

(١) السَّبج : الخرز الأسود .
(٢) المطارف : جمع مُطْرَف – كمُكْرَم – رداء من خز مربع ذو أعلام .

ونَـوْره مِسْك فَتِيــ ـتٌ حُسْنه يفْتِنُنَـا
قاضٍ بنَشْرِ عَدْلــه طابت لنـا أزْمُنُنـا
لا زال يبْقى ما علا قُمْـرِيُّ أيْكٍ فَنَنـا

وللوزير أبي عامر أيضاً قطعة بديهيّة سرِيّة كلها سنية قالها وبين يديه ثلاثة أنوار : خيريّ وبنفسج وبهار وأنشد :

وثلاثةٍ لما اجتمعن بمجلسي أقررْن عَيْنَ تَنزُّهي وتأنُّسي
نمّامُ طِيبٍ في بهارٍ باهرٍ وبنفسجٍ أضحى حبيب الأنفُسِ
فالسَّبْقُ منها للبهارِ لأنه يأتي ونَوْرُ الرَّوْض لم يتحسَّسِ
ثُمَّ البنفسجُ فهْوَ يتْلوه لنا راقَتْ مَلاحتُه فأصبح مُؤْنِسي
يحكي لنا المِسْكَ الفتيتَ بلوْنِه في أرضِ عَنْبرةٍ كلونِ السُّندسِ
والخيرُ في الخَيْريّ إلّا أنه يُخْفي النسيمَ نهاره بالمجلسِ
ويُذيعه بالليلِ فهْو بِفعْله وبصُنْعِهِ هذا صديقُ الحِنْدِسِ (١)
فاقت نواويرُ الرياضِ تلوُّناً فغدتْ لها مثلَ النجومِ الكُنَّسِ (٢)

وقال يونُس بْنُ مسعود الرُّصافيُّ (٣) يصف الورد والخيري :

يتطلَّعْن أنجماً بعيــونٍ كالخواتم زانها التـفصيصُ
في رياضٍ كأنما الورْد فيهـ ـنَّ عَذارى تجنُّهن خصوصُ
هبَّ خيريُّها بليل وقد نا مَ نْهاراً كما تهُبُّ اللُّصوصُ

أظنُّ البيتَ الأولَ في البهار إذ هي صفته . وله أيضاً :

---

(١) الحندس بالكسر : الليل المظلم .

(٢) النجوم الكنس : من كنس الظّبى يكنس دخل فى كناسه أى اختفى واستتر فيه ، والنجوم كذلك لأنها تبدو ليلاً وتختفى نهاراً .

(٣) يونس بن مسعود الرّصافى منسوب إلى رصافة قرطبة أديب شاعر وانظر جذوة المقتبس ٣٨٥ رقم ٩١١ ، وبغية الملتمس ٤٩٨ رقم ١٤٩٩ .

وكأنَّ سوسنَه مداهنُ فضّةٍ تحوي خَلوقاً بالعَبيرُ مطَيَّبا (١)
وتخالُ نرجسه بها تِبْراً على قُضُب الزُّمرُّد حين قام مركّبا
وكأنّ أعينَه عيونُ حَبائبٍ قد أبصرَت يوم النَّدى مُترقّبا
والورد تحْسبُه خدود كواعبٍ كادتْ من التوْريد أن تتلهَّبا
وكأنّما الخيريُّ خدٌّ عضَّه لحْظُ الحبيبِ صَبابةً وتحبُّبا

وصنع الفقيه أبو الحسن بن علي قصيدة ضادية يصف فيها نواوير الربيع بوصف حسن بديع . ويمدح بها ذا الوزارتين القاضي – أدام الله عِزَّه ووصل حِرْزَه – وأنا أذكر منها قطعة تُشاكِل هذا الباب . وهي بعد صدر من القصيد :

كأنّما الروْضُ لمَّا وشتْ يَدُ المُزن أرضه (٢)
بكلّ حمراءَ صِرْفٍ وكلّ بيضاءَ بَضَّةْ (٣)
كواكبٌ في سماء من الزَّبَرْجَدِ مَحْضَهْ
كأنّ طَلَّ الأقاحي مدامعٌ مُرْفَضّهْ
أو لُؤلُؤٌ فوق أرض من المَها مُبْيَضَّهْ
كأنّما الورد صدْرٌ أبقَى به اللَّثْمُ عضَّهْ
أو خدُّ أَغْيَدَ قد أخـ ـجلتْه حالٌ مُمِضَّهْ
كأنّما النهْرُ نَصْلٌ جلا الصياقِلُ عُرْضَهْ (٤)
كأنّما غُدُرُ الما ء في المروج الغَضَّهْ
إذا الْتقَيْن مَرَاءٍ أو أكؤسٌ من فِضَّهْ

---

(١) الخلوق : كصبور ضرب من الطيب .

(٢) الأبيات ما عدا (٢ ، ٧ ، ٩ ، ١٠) فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢٠٢ ورواية صدر البيت الأول فى الذخيرة (كأنما الورد لما) .

(٣) بضّ الماء يبض بضا ، وبضوضا وبضيضا : سال قليلاً قليلا ، والبضيضة : المطر القليل .

(٤) عرضه : العرض بالضم : من السيف صَفْحُه .

. كأنّما الشمس في الجـ ـوِّ حين يقْطعُ عَرضَهْ
وجْهُ ابن عبّاد النـدْ ب حين تأمُل قَرضَهْ
حوى بطَـوْل يدَيْـه طُوَلَ الثنـاءِ وعَـرْضَهْ

المراءي جمع مرآة مثل مكْواة ومكاوي وهو تشبيه قويّ سريّ جدًّا .

قال أبو الوليد : فلما بلغنِي ذلك صنعْتُ قصيداً على ذلك النحو وأنا ذاكر أيضاً منه قطعة تليق بهذا الباب وهي من أوله :

انظُرْ إلى النهر واعجَبْ لحسْن مَرآه وارضَهْ (١)
قد حلَّ بين رياضٍ من النواويـرِ غَضَّهْ
فيها بهارٌ بَهِـيٌّ بَدا فزيَّـن أرضَهْ
كأنّـه جِيـدُ تِبْـر يلوح في طَوْق فِضَّهْ
ونرجس مثْل لون الـ ـمَهْجورِ فارَق غمضَهْ
وأُقحـوانٌ أنيـق برودُهُ مُبْـيَضَّهْ
قد طرَّزَتْهـا بتبر عينُ النـدى المرْفَضَّهْ
وباقِلاءٌ قد أبـدى بنَوْره الحسْنَ مَحْضَهْ
كأنّمـا هو خالٌ بخدٍّ بيضاءَ بَضَّهْ
كأنّما النهْر أُفْق السـ ـماء عانَـقَ أرْضَهْ
وقـد كَسا عُدْوَتَيْـهِ من الأزاهـر مَحْضَهْ
كما ابن عبّاد النَّدْ ب قد كسا الصون عرضهْ
سَمْحٌ على المال فَظٌّ دَأْبـاً يجدِّد فَضَّهْ
له من الجاهِ حَظٌّ على التـواضُع عَضَّهْ

---

(١) الأبيات ماعدا (٣ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤) فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

فلما أنشدته القاضيَ - أبقاه الله - سرَّ سرور متشيّعٍ في غَذِيّ إنعامه ورَبِيّ أيامه، وأمرني باستحضار صاحب الشرطة أبي بكر بن القُوطيّة والأديبَيْن أبي جعفر بن الأبّار [١]، وأبي بكر بن نَصْر، وأمرِهِمْ عنه لا زال ماضي الأمر بالعمل في ذلك المعنى على العروض، والقافية فلم أُقدِّمْ شيئاً على استحضارهم، وإيراد ما أمرني به عليهم. فصنعوا في ذلك من ليلتهم أشعاراً رائعة السِّمات فائقة الصِّفات.

فمن ذلك شعر أبي بكر بن القُوطيّة وهو من أوله:

بشاطئِ الواد نهرٌ كَسَا الدرانِكُ أَرْضَهْ [٢]
خُضراً وصُفراً وحُمراً وبعضهـــا مُبْــيَضَّهْ
نمارقٌ وزرابٍ من النواوير غَضَّهْ [٣]
فالورْدُ وَجْنةُ خَوْدٍ بيضاءَ غَرّاءَ بضَّهْ
كما البنَـفْسج خدٌّ أبقى به الهشْمُ عضَّهْ
واليـــاسمين نجومٌ حازتْ من الحُسن محضَهْ
رَوْضٌ بَديعٌ مَتى ما تُجِلْ به الطَّرفَ تَرْضَهْ
تُقيّدُ اللَّحْظَ حُسْناً فليس يَسْطيعُ نَهْضَهْ
حَكَى سجايا ابنَ عَبَّا دٍ الكريم وعِرضَهْ
قاضٍ على الحقِّ ماضٍ راضٍ بِهِ لو أَمَضَّهْ
اِسْمُ ابتداءٍ تعالَى أن يُحسِنَ الدَّهرُ خَفضَهْ

أراد أنه رفيعُ القدْرِ لم تَقدِرْ على خَفضِهِ نوبُ الدَّهرِ وهو معنًى كالسِّحرِ.

---

(١) مضت ترجمته.

(٢) الأبيات ما عدا (٢، ٧، ٨، ١٠، ١١) فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢٠٣ والدرانك: ضرب من الثياب أو البسط، وتكون ستوراً وفرشا فيها صفرة وخضرة.

(٣) النمارق والزرابى: البسط أو كل ما بسط واتكئ عليه.

ومن شعر أبي جَعْفَرٍ بن الأبّار وهو من أوَّلِه :

لا تُرضَ للَّحْظِ غَضَّهْ ... والْمَحْ من النَّوْر غَضَّهْ(١)
خَدّ الرَّبيعِ تَبـدَّى ... فَصِلْ بِلحظِكَ عَضَّهْ
شَقائـقٌ شَقَّ قَلْبي ... رُوَاؤُهـا واقْـتَضَّهْ(٢)
كأنّمـا الأرضُ منها ... خريـدةٌ مُفْـتضَّهْ
ونـرجس مُتَغـاضٍ ... كأنّما الحُـزنُ مَضَّهْ(٣)
يَرنو بِطرْفٍ كحِيلٍ ... كمن يُحاوِل غُمْضَهْ(٤)
وسوسَنٌ إن تُشِمْـهُ ... فكالوَذائِـلِ بَضَّهْ(٥)
أو ألْسُنُ الدّرّ صِيغَتْ ... أوِ الطّـلا المُبْـيَضَّهْ
والأُقْحُـوانُ نجومٌ ... لَيْستْ تُرى منْقَضَّهْ
كانتْ خِتامـاً عليْهِ ... منـه كمائِـمُ غَضَّهْ
فَحـاوَلَ الجوّ رِفْضاً ... بِفضَّة الطَّـلِ فَضَّهْ
لم يُضحِك الرَّوْضَ إلّا ... دموعُـهُ المُـرْفَضَّهْ
ما زال يُولَى فيُولي ... مِن كُلِّ وُدٍّ مَحضَهْ
حتّى إذا الوَرْدُ حَيَّى ... وعارَضَ المِسكُ عِرْضَهْ
أَبْدى غَلائِلَ حُمْـراً ... إزارُهـا مُنـفَضَّهْ
كأنّما المُـزْنُ جيْشٌ ... يُحاوِلُ الأُفْقُ عَرْضَهْ

(١) الأبيات ما عدا الأول ، وما بعد البيت الثامن فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢) فى الذخيرة (وافتضّه) .

(٣) مضه الشيء مضّا ومضيضا : بلغ من قلبه الحزن به فأمضّه .

(٤) فى الذخيرة : كليل .

(٥) الوذيلة ، والجمع وذائل : القطعة من الفضة المجلوة ، وبضة بمعنى رقيقة أو ناعمة .

ثمَّ دَخلَ إلى المدْح من هنا دخولاً مُستَحسناً فقال مخاطِباً لِمَمدوحِه :

كأنّما البَرقُ فيه على اجتِدائكَ حَضَّهْ
كأنّما الرَّعدُ قَصْفاً بكُم يُهَدّدُ وَمْضَهْ
كأنّما الرّيحُ تَبْغي لِبعْضِ شأْوِكَ نَهضَهْ
كأنَّمَا البَحْرُ عافٍ إلَيْكَ قدْ شَدَّ غَرْضَهْ
ومَدَّ بالنَّهرِ كَفًّا لِكيْ تُعَجِّلَ قَرْضَهْ

قوله : ما زال يُولَى أرادَ يُتَعاهَدُ بالوَلِيّ وهو مَطَرُ الربيع ، ويُولِي الثاني هو المعروفُ يُسْدَى إليه . وقوله : عارَضَ المسْكُ عِرْضه ، العِرْضُ الريحُ يُقالُ فُلانٌ طَيِّبُ العرْضِ ومُنْتَنُ العِرْضِ أي الريح . والعِرْض أيضاً وادي اليمَامَةِ وكُلُّ وادٍ عرْضٌ . والعِرْضُ أيضاً ما ذُمَّ بِهِ الإنسانُ أو مُدِحَ وقولُهُ : قد شَدَّ غَرْضَهُ الغَرْضُ حِزام الفَرَسِ ومنه الغَرْضَة .

ومِن شِعْرِ أبي بَكْرِ بن نَصْرٍ وهو من أوَّلِهِ أيضاً :

أما تَرَى الأرْضَ خضرَا ءَ بالأَزَاهِرِ غَضَّهْ
كأنَّهــا في مُلَاءٍ مِن الزَّبَرْجَدِ مَحْضَهْ
وفَوْقَ ذلِكَ نَوْرٌ يُعَانِقُ البَعْضُ بَعضَهْ
مِن نَرجِسٍ ذي جُفُونٍ دُمُوعُهَــا مُرْفَضَّهْ
مُصْفَرٌ لَوْنٍ كَصَبٍّ بِهِ غَرامٌ أَمَضَّهْ
لَحْظُ لُجَيْنٍ ولكن عَلَى صَفَا التِّبْرِ عَضَّهْ
والسُّوسَنُ الغَضُّ نَوْرٌ حَمَى عنِ الذَّمِّ عِرْضَهْ
كأنَّهُ ضاحِكٌ عنْ عَوارِضٍ مُبْــيَضَّهْ
مُفَلَّجَــاتٍ طِوَالٍ تَلَبَّسَتْ بالْــفِضَّهْ (١)

---

(١) الفلج بالتحريك : تباعد ما بين القدمين ، وتباعد ما بين الأسنان .

وِلِلنَّوَائِـــــرِ عِرْضٌ والوَرْدُ أَخَّرَ عِرْضَهْ
غَضٌّ وبَضٌّ ولكنْ لَمْ يُنْصِفِ الدَّهْرُ غَضَّهْ
آلآسُ أَدْوَمُ بُرْءًا والوَرْدُ أَسْرَعُ مَرْضَهْ

ومن المَدْحِ :

جاوِرْ نَدَاهُ تُصَادِفْ مِن طَيِّبِ العَيْشِ خَفْضَهْ
مَا أَضْمَرَ الكُفْرَ إِلَّا مَنْ باتَ يُضْمِرُ بُغْضَهْ
وإن عَصَاهُ مُناوٍ فما ينِى أَنْ يَفُضَّهْ
وَلَوْ تحَصَّنَ مِنْهُ بِرَأْسِ رَضْوَى لَرَضَّهْ (١)

ثُمَّ إن الوزير الكاتب أَبَا الأَصبغ عرف ذلك فصنع شِعْراً على هَيْئَتِها في المَعْنَى والغَرَضِ . ومنه :

يَا مَنْ تأَمَّلَ رَوْضاً بِهِ النَّوَاوِيـرُ غَضَّهْ
وَعايَنَ الحُسْنَ مِنها قَدْ زَيَّنَ البَعْضُ بَعْضَهْ
فالأُقْحُوَانُ بَيَــاضٌ كأَنَّه سِمْطُ فِضَّهْ (٢)
والنَّرْجِسُ الغَضُّ تِبْرٌ في صُفْرَةٍ منه مَحْضَهْ
والـوَرْدُ ماءٌ وَنَـارٌ سالَا على وجْهِ بَضَّهْ
ضِدَّانِ في صَحْنِ خَدٍّ قد أَلِّفَا بَعْدَ بُغْضَهْ
والنهر سبْكُ لُجينٍ جَرَى فَزَيَّنَ أَرْضَهْ

ومن المدح :

قاضٍ يكافِحُ عَنَّا العِدَى ويَهْجُرُ غُمْضَهْ

---

(١) رضوى : بفتح أوله وسكون ثانيه اسم جبل بالمدينة وانظر معجم البلدان (٥١/٣) .

(٢) السِّمط بالكسر خيط النظم أو القلادة .

أَسْدَى وأَوْلَى جَميلاً فأَجْمَـلَ اللهُ قَرْضَهْ
أَيّامُـهُ الغُـرُّ مَاءٌ صَفَا لِمَن رَامَ خَوْضَهْ
فالعُمْـرُ فيها قصيرٌ والدَّهْرُ فيها كغَمْضَهْ

وهذا البيتُ غايةٌ ووصْفُ الورْدِ نهاية وإن كان معروفاً في وصْف الخُدودِ فَقَلْبُهُ إلى وصْف الوَردِ مما أَحْسَنَ فيه وأَغْرَبَ بِهِ .

ولمَّا أَكمل أبو الأصبغ إنشادَ هذا الشِّعْرِ أَمَرَ القاضي – أعزّه الله – والِدِي عَبْدَه الناصِحَ له دأْبه الحَسَن فيه ظاهِرُه وغَيْبُه بالجلوس بيْن يديْه ثم أَمَّلَ بديهةً عليه :

أَبْلِـغْ شَقيقِـيَ عَنِّـى مَقالَـةً لِتُـمِضَّهْ (١)
بأَنَّ وصْفَ الأَقاحِـ ـى الذي وصَفْتَهُ لم أَرْضَهْ
هَلَّا وصفْتَ الأَقاحِـ ـى بِأَكْؤُسٍ مِن فضَّهْ
قِيعانُهـا مُلْـبَساتٌ صِرفَ النُّضارِ ومَحضَهْ
أَوْ لَا فَصُفْرُ اليَوَاقِيـ ـتِ في خَواتِمِ فِضَّهْ
أَوِ النَّجُـومُ تَساقَطْـ ـنَ في المَهَى المُبْيَضَّهْ
أَوْ لَا فَجَامُ مَهَاةٍ بالخَمْرِ في كَفِّ بَضَّهْ
قد باكرتْـه وأَبـقتْ مِن فَضْلِها فيه بعْضَهْ

قال أبو الوليد : سمعت أَبي وأَبا الأَصبَغ يقولان : والله ما أَكمَل إمْلاءَ الأبيات بتلك التشبيهاتِ الرائقةِ والصفاتِ الرائعةِ إلَّا ونحنُ قد بُهِتْنا من سُرعة بديهتِهِ ، وقدْرةِ فكْرِهِ على تهذيب قوافيها وتذهيبِ معانيها في أَسْرع مِن لا في اللَّفْظِ ، وأَعْجَلَ من رَجْعِ اللَّحْظِ والمَعْنِيُّ فيها والمردودُ عليه بها هو الوزير أَبو الأَصبغ في وصفِهِ المتقدّمِ للأَقاحي حين قال :

---

(١) الأبيات ماعدا (٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢٠٥ .
تمضّه : أى لتحزنه حزنا شديداً .

فالأُقحُوان بَيَــاضاً كأَنَّهُ سِمْطُ فِضَّهْ

لأنه وصفَ بياضَهُ ولم يصف صُفْرَتَه . فجمعهُما القاضي – أَعزَّه الله وأَحسن ذِكرَاه – بتشبيهاتٍ كُلُّها مُسْتَوْلٍ على غايةِ الكمالِ ، مُسْتَوْفٍ نهايةَ الجمال ، ولو وقعَ تشبيهٌ من تلك التشبيهاتِ لمَوْسومٍ بهذه الصناعة متّخذ لها كالبضاعة بعد إِعمال فكْرِهِ فيه وإِشغالِ ذهْنِهِ به لكان مُستَنْدَراً مُستغرَباً فكيف باجتماعِها على حُسْنِها وانطباعِها له – أَعزَّه الله – بديهةً مع كَثْرَةِ اشتغالِه بالفرائض عن هذه النوافِل التي لا يتحلَّى بها ولا يَتَجَلْبَبَ بجلبابِها .

قال أَبو الوليد : وهذه القطعةُ كان يجب أَن تكون في باب القِطَعِ المنَفرِدة لأنها في الأقاحي على حِدَة . لكنِّي لو فصلْتُها من الشِّعْر الذي اتَّصَلَتْ به والمعنَى الذي وقعتْ فيه لكُنتُ مفَرّقاً بيْن الطَّرْفِ وحَوَرِهِ والخَدِّ وخَفَرِهِ . ففيها من التشريف لمن خُوطِب بها وعُنِيَ فيها ما يَبْقَي في نسلِهِ ويُنْبِيءُ عن فضْلِهِ .

وقال أَبو الحسن عليُّ بن أَبي غالبٍ (١) في المعنى الأَوَّل والقافية والعرض موْصولاً بمدح أبي – أَطال الله لي عُمْرَه وأَبقَى عليَّ سِتَرَه :

نبِّـهْ جُفُــونَكَ للــرَّوْ ضِ واهجُرَنْ كلَّ غَمضَهْ (٢)
قَدْ نَبَّـهَ الطَّـلُّ منـهُ الجَفْنَ الَّذي كان غَضَّهْ
مِن بيْنِ وِرْدٍ كَخدِّ الْـ ـحَبِيبِ حاوَلْتَ عَضَّهْ
وسُوسَنٍ قد حَكَى لِي سَوَالِـفَ الغِيــدِ بَضَّهْ

---

(١) أبو الحسن على بن أبى غالب أديب شاعر كان بإشبيلية فى أيام القاضى أبى القاسم محمد بن عباد . – جذوة المقتبس ٣١٥ رقم ٧١٧ .

(٢) الأبيات ما عدا (٥ ، ٦) فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، لأبى حصن .

وَنَرْجِسٍ مَنَعَ السُّهْـ ـدُ جَفْنَهُ أن يَغُضَّهْ
كَلَوْن صَبّ تَشَكّى قِلَا الحَبِيبِ وبُغْضَهْ
ومِـن بَهـارٍ يُدلّـي جَماجِماً منـهُ غَضَّهْ
كأنّـه مُعْـرِضٌ عَنْ مُحَـدّثٍ لمْ يَرْضَهْ
ومِـن أَقـاحٍ يُباهِـي مُصْفَـرُّهُ مُبْـيَضَّهْ
كأنّـهُ نُقَـرُ التِّبْـ ـرِ في مَدَاهِنِ فِضَّهْ

وبعد أَبْياتٍ دَخَلَ إلى المَدْحِ . فقال يعني الرَّوْضَ :

كأنّما ضُمّـنَتْ مِنْ مُعَتَّقِ المِسْكِ مَحْضَهْ
فأشْبَهَتْ من طِباعِ ابْـنِ عامِرِ النَّدْبِ بَعْضَهْ

وأنشدني لنفسه أيضاً أبو الحَسَن بيْتَيْن مَرْماهُما رشيقٌ ومَغْزاهُما دقيق في الخيرِيّ والنَّيْلُوفَر . وهُما :

كأنّما الخيرِيُّ حِبٌّ غَدَا الـ ـنَّيْلوفَرُ الغَضُّ عليه رقِيبْ (١)
فَهْوَ إذا طَبَّقَ أَجْفانَهُ بِاللَّيلِ لاقاكَ بِنشْرٍ وطِيبْ

وأنشدني أيضاً لنفسه وصفاً في السُّوسَنِ والباقِلاءِ حَسَن التشبيه أَبْدَعَ وأَغْرَبَ فيه وهو :

ومِن سُوسَنٍ غَضّ النَّباتِ كأنه كؤوسُ لُجَيْنٍ لم تُشَنْ بنِيالِ
إذا ما بَدا فيها الحَبابُ حَسِبْتَها سَوالِفَ غِيدٍ قُلِّدَتْ بلآلِ
ونَوْرُ نباتِ الباقِلاءِ كأنّهُ شُنُوفُ لُجَيْنٍ ضُمّخَتْ بِغَوالِ (٢)

ولِأبي بَكْرِ بْن نَصْرٍ وصْفُ أَكْثَرِ نَواوير الرَّبيع في قصيدٍ بديعٍ

---

(١) البيتان فى جذوة المقتبس ٣١٥ .

(٢) جمع شنف : وهو القرط الأعلى أو ما علق فى أعلى الأذن .

حَسَنِ التَّشْبِيهاتِ غريب الصّفات مَدَح به أبي – أبقاه الله لي – فقال يخاطبُهُ بعد أبْياتٍ :

أسُلالَةَ مِن عامرٍ سَلْنِي عنِ الْـ ـأنْوارِ تحْصُلْ عِدّكَ الأنوارُ
لله نيسانٌ فَفيهِ تَمَّ ما قد كَان قَبلُ بَدا بِهِ آذارُ
أمّا البِقاعُ فإنّها جادَتْ لَنا بِشُموسِ نَورٍ بَيْنَها أقْمارُ
كالأُقْحُوانِ بَديهَةً فاسْمَع لَهُ فِي الوَصْفِ ما فيه اللّبيبُ يَحارُ
هو ضاحِكُ الأسنانِ لمّا أن بكَتْ عَيْنُ السَّماءِ ودَمْعُها مِدْرارُ
فَتراه يَبْسِمُ عن ثنايا فضّةٍ تَبْدو إليكَ لِثاتُهُنَّ نُضارُ
وشَقائِقُ النُّعْمان قُمْص أشْبِعَتْ فِي حُمْرَةٍ فَلَها بِذا إيثارُ
وكأنّها وسْطَ البِقاعِ وقد عَلَتْ قُضْبانُ آسٍ في ذُراها نارُ
وإذا تأمَّلْتَ البَهارَ تأمُّلاً أيْقَنْتَ أنَّ المِسْكَ منه مُعارُ
قُضُبُ الزُّمُرُّد مورِقاتٌ فِضّةً وهَا النُّضارُ مُخَلّصاً نُوّارُ
والنّرجس الغضُّ الأنيقُ يَغُضُّ أُلْـ ـحاظاً مِراضاً ما لها أشْفارُ
مُتَرقْرِقٌ بِحَبابِ طَلٍّ مِثلِ ما بَدَرَتْ دُموعٌ لِلْمُحِبِّ غزَارُ
واعْجَبْ لخيريِّ الرياضِ فإنّما هُو بيْن أنْوارِ الرِّياضِ خيَارُ
باللّيْلِ لِلسُّمَّارِ ينْشُرُ نَشْرَهُ لِيَنالَ رَدْعَ نَسِيمِهِ السُّمَّارُ
فإذا أضاءَ الصُّبْحُ أخْفَى نَشْرَهُ وتَمزَّقتْ من دونِهِ الأوْطارُ
والسُّوسَنُ الفَيْنانُ صِفْهُ فإنهُ غَضٌّ تكادُ تُذيبُهُ الأبصارُ
وكأنّما صِرفُ اللُّجَيْنِ بُرودُهُ منهُ شِعارٌ لاصِقٌ ودِثارُ
وإذا دَنا لِلأنْفِ من مُستَنْشِقٍ فلَهُ به من رَدْعِهِ آثارُ
وإذا ذَكَرْتَ الوَردَ فاعلَم أنهُ للنَّوْرِ أجْمَع في الرِّياضِ مَنارُ
مُتدَثِّرٌ بغَلائِلٍ حُمْرِ الحُلى تَنْجابُ دون جُيوبِهِ الأزْرارُ
طِيبٌ لأنفاس النفوسِ ومَنظَرٌ لِلعيْـنِ إلّا أنـــهُ غَدَّارُ

أمّا وصْفه البَهارَ فهُو كوصْف أَبي عُمَرَ القَسطَليّ (١) لَه ويُمكن أَن يأْخُذَهُ أو يوافِقَه . وقول أبي عُمَرَ فيه :

غصونُ الزُّمردِ قد أُورقتْ   لَنا فِضَّةً نوَّرَتْ بِالذَّهَبْ

وسيأتي في بابه مع أشْكالِهِ وأمثالِهِ .

وأَنْشَدَني أبو بكْرٍ بْن نَصْر وصْفاً مُستَحسَناً في نَواويرَ عِدَّةٍ وأزاهِيرَ جُملَةٍ موصولاً بمدْح ذي الوزارتَيْن القاضي – أيَّدَ اللهُ يَدَه وحصر مَنْ حسَدَه – وهو من جملة قَصيد مُطَوَّل :

وقدْ رَاقَني من يانِعِ النَّوْرِ فاقعٌ   وقان وأَحوى حالكُ اللونِ أَسودُهْ (٢)

غَلائلُ خيريّ وأَقباءُ سوسَن   وقُمْصان نِسْرين يروقُ تَوقُّدُهْ (٣)

وكَم سَبِطٍ للنَّوْرِ يَسْطَعُ نُورُهُ   تَمُرُّ بِهِ رِيحُ الصَّبا فتُجَعِّدُهْ (٤)

إذا الأُقحوان الغَضُّ أَبدى تبسُّما   تبدَّى من الورد النَّضير تَوَرُّدُهْ

ويُزْهى الشقيقُ العُصْفُريّ بلوْنهِ   إذا فاقعُ الحَوْذَانِ جادَ تولُّدُهْ (٥)

---

(١) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسى القسطلى من الشعراء المشهورين بالأندلس ، ومن العلماء المتقدمين كان كاتب المنصور بن أبى عامر وشاعره ، وذكره الثعالبى فى اليتيمة وقال عنه : كان بصقع الأندلس كالمتنبى بصقع الشام مات سنة ٤٢١ ، وانظر فى ترجمته مقدمة ديوانه المطبوع بتحقيق الدكتور محمود على مكى ، وأشار إلى جملة كبيرة من مصادر ترجمته ص ١٩ .

(٢) الحوة بالضم : سواد إلى الخضرة ، أو حمرة إلى السواد ، والأحوى الأسود ، والنبات الضارب إلى السواد لشدة خضرته .

(٣) النسرين : ورد أبيض عطرى قوى الرائحة ، ونقل أدى شير عن الأزهرى قوله : لا أدرى أعربى أم لا ثم عقب عليه بالتأكيد على أنه فارسي وفارسيته نَسْرين . الألفاظ الفارسية المعربة ١٥٣ وانظر الجامع للمفردات الأدوية والأغذية (١٧٩/٤) .

(٤) السَّبْط ، ويحرك ، وككتف : نقيض الجَعْد .

(٥) الحوذان : نوع من النبات .

وما الخُرَّمُ الكُحْلِيُّ إلَّا كأنهُ   من الحسن طرف جال في الجفن إثمده
ومن نرجِسٍ نَضرٍ يرُوقُكَ دُرُّهُ   وياقوتُهُ السامي بهِ وزَبَرْجَدُهْ
وكم لِلرَّبيعِ الطلْقِ نوْراً مُنوِّراً   تُنتِجُهُ أيْدِى الحَيا وتُوَلِّدُهْ
كما ولَّدَ الأفْضالَ في حمصَ والندى   سليلُ ابنِ عبّاد الجوادُ محمَّدُهْ
لِيَعتمِدَ الوُرّادُ بحرَ يمينِهِ   فذلك بحرٌ طامِحُ الموْج مُزبِدُهْ

قوله : ومن نرجِس يعني البَهارَ . وصفته على ذلك دالَّةٌ . وياقوتُهُ السَّامِي لو أمكنه أن يذكرَ لوْنَه فيقولُ المصْفَرُّ أو نحْوه لكان أتَم إذ ألوان الْيَواقيتِ كثيرة لكنَّهُ اكتفَى بشُهدَةِ المَوْصوفِ وهذا للشعراءِ كثِيرٌ .

ومن اللباب فى هذا الباب رسالةٌ كتب بها الوزير أبو حفْص أحمد ابن محمد بن بُرْدٍ [١] إلى الوزير أبي الوليد بن جَهْوَر وصَفَ فيها نواويرَ خمسةً وغرضُه تفضيل الوردِ بيْنها وتقديمُه عليها بصفات كُلُّها حُرّ الألفاظِ وتشبيهات جميعُها حُورُ الألحاظِ .

والرسالــة [٢] :

أَما بعدُ ياسيدى ، ومن أُفديه بنفسي فإنه ذَكر بعض أهلِ الأدب المتقدمين فيه وذَوِي الظَّرْفِ المعتَنِين بِمُلَحِ معانِيه أَنّ صنوفاً من الرَّياحِينِ وأجناساً من أَنوار البساتينِ جَمعها في بعض الأزمنة خاطر خطَرَ بنفوسها ، وهاجسٌ هَجسَ في ضمائرِها لم يكن لها بُدٌّ من التَّفاوُضِ فيه

(١) مضت ترجمته .
(٢) انظر الذخيرة لابن بسام القسم الثانى المجلد الأول ١٢٧ ، ونهاية الأرب (١٩٦/١١) .

والتحاوُر ، والتحاكمُ من أجلِه ، والتَّناصُف . وأجْمَعت على أنّ ماثَبت في ذلك من العهْد ونفَذَ من الحِلْف ماض على من غاب شخصُه ، ولم يئنْ منها وقتُهُ .

فتخَيَّرتْ من البلاد أطْيبها بُقْعة ، وأخصبَها نجْعَة ، وأظلَّها شجَراً ، وأغْضرها (١) زهَراً ، وأعطرَها نفَس رِيح وأرقَّها دمْع نَداً .

ثم أخذتْ مجالسها وانبرتِ على مراتِبها وقام قائمُها فقال :

معشر الشَّجرِ وعامَّة الزهرِ ، إنَّ اللطيفَ الخبيرَ الذي خلق المخلوقات ، وَذَرَأَ (٢) البريّات بَايَنَ بيْن أشكالِها وصفاتها ، وباعَد بين مِنَحِها وأُعطياتِها ، فجعل عَبداً ومِلكاً ، وخلق قبِيحاً وحَسَناً . فضَّل على بعض بعضاً حتى اعتدلَ بعدلِه الكُلّ واتَّسق على لُطفِ قدرتِه الجميع (٣) وأن لكل واحد منَّا جمالاً في صورته ورقَّةً في محاسنه واعتدالاً في قده وعبقاً في نسيمهِ ومائيّةً في ديباجته قد عطفَتْ علينا الأعيُنَ وثَنَتْ إلينا الأنفس وأصبَت بنا الأكُفّ وأزْهَت بمحضرنا المجالس حتى سفرنا بين الأحبَّة ووصلْنا أسباب القلوب وتحمَّلنا لطائف الرسائل وحبَّبنا اللَّهو واحتضنَّا السرور وأخذنا جِعالَة البُشرى وأُكرِمنا بنُزل الرِّفادة (٤) وأُسْنِيَت لنا صلة الزيادة وصيغ فينا القريض ورُكِّبت على محاسِننا الأعاريض فطَمح بنا العُجبُ وازدهانا الكِبر وحملَنا تفضيل من فضَّلَنا وإيثارُ من آثرنَا على أن نسِينا الفكرة في أمرنا والتمهيدَ لعواقبِنا والتطيِيب لأخبارنا وادعيْنا الفضلَ

---

(١) الغضارة : الطين اللازب الأخضر الحر ، والغضراء الأرض الطيبة الخضراء .

(٢) ذَرَأ : بمعنى خلق ،والشيء كثره ، ومنه الذُّرية لنسل الثقلين .

(٣) في الذخيرة : فجعل لكل .

(٤) الرفادة : من الرِّفد : العطاء والصلة والإعانة .

بأسره والكمالَ بأجمعه ولم نعلَم أنَّ فينا من له المزيّة علينا ومن هو أولى بالرياسة منا ومن يجبُ له علينا التحرُّجُ ومدُّ اليدِ بالمبايعة وإعطاءُ مجهودِ المحبة وبذْلُ ذاتِ النفسِ وهو الوردُ الذي إن بذَلنا الإنصاف من أنفسنا ولم نرتكض في بحر عمانا ولم نمِلْ مع نزع هوانا دنَّا له ودعونا له واعترفنا بفضله وقلنا برياسته واعتقَدنا إمرتَه وأصفينا محبته فمن لقيَه منا حيّاه بالملك ووفاه حقّ الإمامة ومن لم يدرك زمن سلطانه ولم يأْت على عِدّان [١] دولته اعتقد ما عُقد عليه ولبّى إلى ما دعي إليه . فهو الأكرم حسَباً والأشرف زمناً والأتمُّ خصالاً والذي إن فُقدت عينه لم يفقَد أثرهُ أو غاب شخصُه لم يغب عَرفُه والطّيب إليه كلّه محتاج وهو عن جميعه مستغن وهو أحمر والحمرة لون الدم والدم صديق الرُّوح وصيغة الحياةِ وهو كالياقوت المنَضَّد في أطباق الزَّبرجَد عليها فرائدُ العسْجد .

وأما الأشعار فبمحاسنِهِ حسُنتْ وباعتدال جمالِه وُزِنتْ . وإننا ما نعتقد إلهامنا إلى هذه المحمَدة واستِنظافِنا من دنَس تلك المَذمَّة إلّا من أجلِّ النِّعم المقسومةِ لنا والأيادي المتّصلة بنا .

وكان ممن حضر هذا المجلس وشهِد هذا المشهدَ من مشاهير الأزهار ورؤساءِ الأنوار النرجس الأصفرُ والبنفسج والبهار والخيريُّ النَّمّام .

---

(١) العدان : بكسر العين وفتحها تأتى لعدة معان منها الوقت والزمان والعهد وانظر مادة عدن فى لسان العرب .

فقال النرجس الأصفر : والذي مهّد لي حجْرِ الثَّرى وأرضعني ثَدْي الحيا لقد جئت بها أوضحَ من لبَّة الصَّباح ، وأسطَعَ من لسان المِصباح ، ولقد كنت أُسِرُّ من التَّعبُّد له والشَّغفِ به والأسَفِ على تعاقب الموت والرجعة دون لقائه ما أنْحل جسمي ومكَّن سُقْمي وإذ قد أمكَن البوحُ بالشكوَى فقد حقّ ثقَلُ البلْوى .

ثم قام البَنَفْسَجُ فقال : على الخبير سقطتُ أنا والله المتعبّد له الداعي إليه المشغوفُ به كَلفاً ، المغضوضِ بيد النأي عنه أسفاً ، وكفى ما بوجهِي من ندَب ، وبجسمِي من عدم نهوض ، ولكن في التَّأسي بك أُنْسٌ وفي الاستواءِ معك وِجْدانُ سلُوّ .

ثم قام البَهار فقال :

ثمّ قالوا تحبُّها قلت بهْراً   عددَ النَّجْمِ والحصَى والتُّرابِ

لا تنظرنَّ إلى غضارةِ منْبتي ، ونضارةِ ورَقِي ، وانظر إليَّ وقد صرتُ حدَقةً باهتةً تشير إليهِ وعيْناً شاخصةً تندى بكاءَ عليه :

ولولا كثْرةُ البَاكِين حوْلِي   على إخوانهم لقَتلْتُ نفْسِي(١)

ثم قام الخيريُّ النَّمّام فقال : والذي أعطاه الفضلَ دوني ، ومدَّ له بالبيْعة يَميني ، ما اجترأْتُ قطُّ إجلالاً له واستحياءً منه . على أن أتنفَّس نهاراً أو أُساعِدَ في لذَّة صديقاً أو جاراً . فلذلك جعلْت اللّيل ستْراً واتخَذتُ جوانِحَهُ كِنًّا .

فلما رأَت استواءَ آرائها على التفضيل له ، واعتدال مذاهبِها

---

(١) البيت للخنساء فى ديوانها ٨٤ من قصيدتها المشهورة فى رثاء أخيها صخر .

فى الدعاءِ إليه قالت : إنَّ لنا أصحاباً وأشكالاً وأتراباً لا نلتقِي بها في زمن ، ولا نجاورُها في وطن فهلُمَّ فلنكْتُب بذلك كتاباً ، ولْنعقد به حلْفاً ولْنَضَع من شهادتنا ما يُحتمل الأقاصي والأداني عليه .

نسخـة الكتـاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تحالَفَت عليه أصنافُ الشَّجرِ ، وضروبُ الزَّهَرِ وسْمِيُّها وشَتَوِيُّها وربيعيُّها وقيْظيُّها ، حيث ما نجَمَتْ من تلْعةٍ أو ربوة ، وتفَتَّحت من قرارة أو حديقة عندما راجعَت من بصائرها ، وأُلهمت من رَشادها ، واعترفت بما سلَف من هفَواتِها وأعطَت للورد قيادَها ، وملَّكته أمرها ، وأخلَصت له محَبَّتَها ، وعرفنا أنه أميرُها المقدَّم بخصاله فيها والمؤمَّر بسوابقه عليها ، واعتقَدت له السمعَ والطاعة ، والتزمت له الرِّقَّ والعُبُودية ، وبَرئت من كلّ نَور نازَعتْه نفسُه المُباهاة له والانتِزاءَ (١) عليه في كل وطَن ، ومع كل زمن فأيَّة زهرة قصّ عليها لسانُ الأيَّام هذا الحلف فلْتعرِف أنَّ رَشادَها فيه ، وقِوام أمرِها به ، ولْتحمد الله كثيراً على ما هداها إليه ، واستنقذها من الضَّلالِ بتبصِرته ولْتشهدْه على اعتقادها والله شهيدٌ على الجميع .

شهادةُ النَّرجس :

شهِد النَّرجسُ والله يَرَى ، صحّةَ النِّيَّات منها والمَرضْ
أنَّ للوَرْدِ عليه بيْعةً أُكِّدتْ عَقْداً فما إن تنْتقِضْ

---

(١) الانتزاء : من نزا نَزْواً ونزاء ، ونُزواً ونزوانا : وثب ونزا به قلبه : طمح ، والنّزوان محركة : التقلب والسّورة .

شهادَة البَنفْسج :

شَهِدَ البنفْسَجُ أنَّهُ لِلْوَرْد عبْدُ تَملُّكِ
يَسْعى بقَلْب ناصِح في حُبّه مُسْتَهلِكِ

شهادة البَهارِ :

شهد البَهارُ وذو الجلالَة عالِمٌ بصحيح ما يُبدِي وما يُخْفِيهِ
أنَّ الإمارَةَ في الأزاهرِ كُلِّها لِلْورد لا يُؤْتَى لَهُ بِشَبيهِ

شهادة الخيريِّ النَّمّام :

شهد الخيرِيُّ بَرًّا صَادِقاً قَوْلَةً أبعَدَ عنها الدَّرَكُ
أنَّ أزهارَ الثَّرَى أجمعَها أعبُدٌ والوردُ فيها مَلِكُ

هذا سيدي ما انتهَى في المعنى إليَّ ففضْلُك في تصفُّحه ، والتَّجاوُز عما وقع من زَلَلٍ في نقْله ، فأنت السابق الذي نجْري في غُباره ، ونهتدي بمناره ، ولولا علْمي بموقع هذه المُلَح منك لَم أُجَشّمْكَ مُؤْنَةَ النظَر في ما كَتبْتُ منها لك إن شاءَ الله .

قال أبو الوليد إسمعيلُ بْنُ مُحمد بْن عامر : ولِي رسالةٌ (١) أرْدفْتها على هذه مشتملةٌ على وصف سبعةِ أنوار على ما انتهت إليه غايةُ اختياري وغرضي في الرد بتفضيل البَهار على الورد خاطبتُ بها ذا الوزارتين القاضي سيفَ الحقّ الماضي – كَبَتَ الله أعداءهُ وأدام عليهم إعْداءهُ .

وهي : يامولاي الذي رِقُّه لي شرفٌ ، وجودُه عليَّ سرفٌ ، ومَنْ أبقاه الله لرفْع شأنِ وَدُود ، ووضْع شانِ حَسُود .

---

(١) انظر الذخيرة القسم الثانى المجلد الثانى ١٣٠ ، ١٣١ .

. كان من اجتماع بعضِ النواوير ، واتفاقَ طائفة من الأزاهير على تقديم الورد عليها ، وتفضيلِه بينها ، وتخيُّره للخلافة منها ما قد وقفْتَ عليه ، ونظرت إليه مما عُنِي بجمْعه وانفرد لذكره أبو حِفص بن بُرْد الوزير الكاتب ، وسِراجُ الأدبِ الثاقبُ . وكانت النواويرُ المتفقة عليه والدَّاعية حينئذ إليه البنفْسج والخيريُّ النَّمَّام والبَهار وكتَبتْ كتاباً إلى صنوف الأنوار وضروب الأزهار تأْمُرنا بالوقوف عندما وقفَتْ والاتفاق على ما اتفَقَتْ .

فأوَّل من رأى الكتاب وعايَن الخطاب نواوير فصلِ الربيع التي هي خيرَةُ الورد في الوطَن وصحابتُهُ في الزَّمن . فلما قرأْته أكبرتْ ما فيه ، وبَنَتْ على هَدْم مبانيه وبعض معانيه ، وعرَّفت الوردَ بما عليه فيما نُسب إليه من استحقاقه ما لا يستحقُّه ، واستبْهالِه ما لا يستأْهلُه وقالت له :

« من مدَح امرءًا بما ليس فيه فقد بالغَ في هجائه » وبيَّنَت ذلك له بياناً رأى الرَّشْدَ فيه عِياناً ، وأجمعت على مُجاوبَة مُكاتبِيها ، ومراجعة مُخاطِبِيها بما بدا لها من سوء تدبيرها ، وضُعف رأْيها ، ثم رأت أنَّ مخاطبةَ من أخطَأَ تلك الخطيَّة ، وأدنَى من نفسه تلك الدنيَّة ، تدبيرٌ دبَرِيٌّ (١) والتخلّي عنه رأْيٌ غير مرْضيّ . فكتبت إلى الأُقحُوان والخيريّ الأصفرِ إذ هما يجاوران تلك في أوطانِها ويصاحبانِها في أزمانها .

---

(١) الدَّبَرِي : محركة – رأى يسنح أخيراً عند فَوْت الحاجة .

ونســـخة الكتاب :

من نواوير فصلِ الرَّبيع الأزهر إلى الأُقحُوان ، والخيريّ الأصفر ، بِسْم الله الرحمن الرحيم . وصلَت إلينا بيْعة اشتَرى بها مَن سعَى فيها ، وفَغَر عن فيها خُسرانَ الدنيا والآخرة ذلك هو الخسرانُ المبين . ولو استحقَّ الورد إمامة أو استوجب خلافةً لبادَرَ بها آباؤنا ولعقدها أوائلُنا التي لم تَزل تجاورُه في مكانِه وتجيءُ معه في أوانِه .

وأما من عقد تلك البيعة ، وكتب تلك الصحيفة فلم ير له قطُّ صُورة ، ولا تلا من ذمّه سورة ، فإذاً قد جهلَت قدره ولم تعلم أمره ، هلَّا شاورتْ مُصاحِبيهْ ، واستخبرت مختبريه حتى تِقف على حقيقة خُبْرِه ، وتعلَم جلِيَّة خيْره ، فبأي شيءٍ أوجبت تقديمَه ، ورأتْ تأْهيله لِما غيْره أشكلُ له ، وأحقُّ به وهو نوْرُ البَهار البادي فضلُه بُدُوَّ النهارِ ، والذي لم يزلْ عند علماءِ الشُّعراءِ وحُكماءِ البُلغاءِ مشبّهاً بالعيونِ التي لا يحول نظرُها ، ولا يحورُ حَوَرُها ، وأفضلُ تشبِيهٍ للورْدِ الخدّ عنْد مَنْ تشيَّعَ فيه وعني به ، وأشْرَفُ الحواسّ العينُ إذ هي على كلّ مُنَوَّلٍ عونٌ ، وليْسَ الخدّ حاسَّةً فكيف تَبلُغُه رياسة :

أَيْنَ الخُدودُ من العيونِ رِياسةً ونفاسة لوْلَا القياسُ الفاسدُ[١]

وأصحُّ تشبيهٍ للوردِ وأقربُهُ من الحقّ قول الحكيمِ ابن الرُّومِيّ [٢]

---

(١) البيت لابن الرومى فى ديوانه (٦٤٤/٢) وروايته .

أين العيون من الخدود نفاسة ورياسة لولا القياس الفاسد

(٢) يشير بذلك إلى قول ابن الرومى فى هجاء الورد :

وقائل لم هجوت الورد معتمدا فقلت من بغضه عندى ومن سخطه

يا مادح الورد لا ينفك عن غلطه ألست تُبصره فى كف ملتقطه

كأنه سُرم بغل حين يخرجه عند الرياث وباقى الروث فى وسطه

والأبيات فى ديوانه (١٤٥٢/٤) .

في شِعرِه الطائيّ لقد وافَقَ ووفَّق وشبَّه وحقَّق . فَقِيانا وفَّقكُما اللهُ ، ولا أخْلاكُما من هُداه بالنَّواوير المخاطِبةِ لنا المسخِنة لأعيُننا وأعْرِضا عليْها مطْلَبَنا ، وبيِّنا لها مَذْهَبَنا ، وأنِّبا البَهارَ مفْرداً تأنِيباً يقيمُه ويُقْعِدُه ، ويقْصِدُهُ فيُقصدُه على مشاركتِهِ على نفسه ، وسعايتِه في إبطال حقِّهِ فلولا استِجابتُهُ لها وكوْنه معها ما تحصَّن لِتلْك مُرادٌ ، ولا تحَسَّن لها مَرادٌ وحيّياه عنَّا بالسلام الأثير بعد الملام الكثير ، ووالله العظيم حقّه الواسع رزقُهُ لو جاورناهُ في وطَنٍ ، أو صحِبْناه في زمن لبايعناه مُنْذُ مدَّةٍ مُبايعة العبيدِ ، ونفدِيه لفضلِه علينا بالطريف والتليدِ ، وراجِعانا بعد هذا بالمذْهبِ التي تَبْني عليه ، وتجري إليه فإنْ وافَقْت لم يشذَّ عنَّا من النَّواوير إلا مَنْ لم تَشْهُر عينُه ، ولا يُعدّ فينا صيتُه وأينُه ، مع أنَّ جماعتَنا تعلَمُ فضْلَ ما صنعْناه ، وتُوالي من ولَّيناه ، وإن خالفَت لم تستضرَّ مخالفتها ، ولم نضطرّ إلى محالفتها فنحنُ جُلُّ النَّواويرِ وعمْدة الأزاهيرِ نعقدُ للبَهارِ وتقدِّمُهُ على جميع الأنوار .

فوصل كتابُها إليهما ، وورد خطابُها عليهما ، وعندهما البَنفسجُ ، والخيريّ النَّمَّام ، والنَّرجس مُشاورة لهما ، ومستمدَّة بآرائِهما في الخروج عمَّا دَخلتْ فيه والتخلُّصِ ممَّا اكتسبت به سوءَ الأثر ، وقبيحَ الخبر من تقديم الوَردِ على البَهارِ على أنَّه مَلِكُ الأنوارِ . والخيريُّ الأصْفرُ ، والأُقْحُوانُ يُكثرانِ تأنِيبَها ، ويُسفِّهان آراءَها ، ويجدِّدانِ الشُّكرَ لله على استِنْقاذِها ممَّا ورَّطها فيه وتأْخيرِها عما أُلحقَها به .

فلمَّا وصل كتابُ النَّواويرِ الربيعيَّةِ وهي مُتَّصِلةٌ مِن تِلْكَ الخطيّة وقع منها مواقعَ الماءِ من ذي الغُلَّة الصَّادي ، وقالتِ الآن يُصْقَلُ من أذْهانِنا الصَّادي ، وأعادَ الخيرِيّ الأصفرُ ، والأُقْحُوانُ التأْنيبَ لها ، والتَّعديدَ عليْها فقالت :

لا تكثِرا لومَنا ، ولا تُطيلا تأْنيبَنا فلو لم تكن لنا سَقْطةٌ ، ولا نُسبَت إِلَيْنا غلطةٌ ، لخرجنا عن الأمرِ المعلوم والحدِّ المعروف . فلا بدَّ لِلكُلّ من تدبيرٍ دَبريّ ، ورأيٍ غيرَ مرضيّ ، وقد قيل اللبيبُ من عُدَّت سقَطاتُه والأريبُ من حُصّلت هفَواتُه . وإِذ قد استيقظْنا من نومة الجهلِ فأَغمدْ عنَّا سيْف العذْل ، ووالله إِنَّنا لأحِقَّاءُ بالتأْنيبِ أَحرياءُ بالتَّثريب إِذ عجلنا عظيمةً لم نُنْعِمِ النَّظَر فيها ، وأَنفذْنا كبيرةً لم نُعانِ عَويصَ معانيها وقديماً حُمِدَ التَّأنّي وذُمَّتِ العجلةُ . ومن أَمثالهم : رُبَّ عجلةٍ تبعث ريثاً ورَحمَ الله القائلَ : وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ (١) . لكنَّنا نصْفَعُ قفا الحوبةِ بيَد التَّوبةِ ونجلو دُجى الاقترافِ بصُبْح الاعتراف .

فسُرّ الخيرِيّ والأُقْحوانُ بما بدا منها من الإقرار بذنوبها والاعتذارِ من خَطاياها وبنَت معاً على مُجاوبةِ الأنوارِ الربيعيَّة بإِنْفاذِ ما رَغِبَته وإِكمال ما ابتدأَتْهُ ثُمّ خرَجت بأسرها إِلى البَهارِ مُعْتذرةً إِليه مُتَنصّلَةً مما جَنَتْهُ عليه وسأَلتْهُ العفوَ عن ذنوبها والإمساكَ عن تأْنيبِها والطاعةَ لها بالتَّقدُّمِ عليها والتَّمَلُّكِ لجميعِها .

فأَجابَها إِلى رغبتِها وأَطْلَبَها في طَلِبتِها وأَنشَدَها قوْلَ ابن المُعْتزّ :

ديةُ الذَّنْب عندنا الاعتذارُ (٢)

ثم قرأ عليه الأُقْحُوانُ والخيريّ الأَصفرُ كتابَ النواوير الربيعيَّة إِليهما فلما وصلا إِلى الفصل الذي سأَلوهما فيه التعديدَ عليه والتأْنيبَ له قال :

---

(١) عجز بيت للقطامى فى ديوانه وتمامه :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

(٢) لم أجد هذا الشطر فى ديوان ابن المعتز .

والله ما دخلتُ معهم في ما أحدثوهُ ولا تابَعْتُهم على ما صنعوهُ إلّا حياءً من تعريفهم بما لا يجهلُه الجاهلُون ، ولا يَغْلَط فيه الغالطُون ، وليْس مَنْ ترَكَ حقَّهُ ملوماً إنَّما الملومُ من تسوَّر على غير حقه ، وادّعى سِوى واجبه ، ولوْلا بُدُوُّ ذلك لجميعِكُم ، وظهورُهُ إلى رفيعِكُم ووضيعِكُم ، ورغْبَتِي في استنقاذِكم من رِقّ الضَّلالة ، وفكِّكُمْ مِن ربْقِ الجهالةِ ما أطَعْتُ فيما رغبتُمُوهُ ولا صبَرتُ لما أردتُّموه ولا عرَّفْتُكُم من فضْلي بما سكتُّ أوَّلاً عليهِ ، ولا ندبْتُكم من حقّي إلى ما لم أندبْكُم قبلُ إليه .

فقالت :

مِثْلُكَ انقادَ إلى رغْبةِ مؤمِّليهِ ، وأيَّدَ سالِف أياديهِ ، وغفَر ذُنوبَ عشيرتِهِ ، وصَفَحَ عن جيرَتِهِ ، وجَرى على أخْلاقِ الملُوكِ في الصَّفْحِ عن المَمْلوك .

وحاوب الأُقْحُوانُ والخيرِيُّ الأصفر نواويرَ الربيعِ الأزْهَر ، بما نفذَ من حُسْنِ القَدَر .

ونسخة كتابهما :

بسم الله الرحمن الرحيم – وصل إلَينا كِتابُكُم ، وورد علينا خطَابُكُم تُبَيِّنون فيه ضُعْف مَيْز مقدِّمِي الوردِ ، ومبايعتِهِ وسوءَ رأْيِ مُوَلِّيِهِ ومؤمّليه ، وتلْك قصَّة غابت عنَّا ، وبعُدت بفضلِ الله منَّا ، وقد ظهر ضُعفُها إلى من تولَّى ، وتبيَّن سُخْفُها لمن ولَّى ، وإذ وقَّفْتُموها فوافَقْتُمونا فهِي النِّعمةُ الجزيلة ، والمنَّةُ الجليلةُ ، ونحنُ على مُبايَعة البهار والكتاب إلى جميع الأَنوار . وسيَصلُ إليكُم ويَرِد عليكُم .

فلما نفَذ هذا الكتابُ إلى النواويرِ الربيعيَّةِ بِتَمام القضيَّة المرضيَّة قالَت للبَهار :

من تَمامِ كرَمِك ، وكَال نِعَمكَ إباحةُ العقْدِ لك بالاتّفاق عليك وإنْفاذُهُ إلى صنوفِ الأنوار وضروب الأَزْهارِ .

فأباح لها ذلك وكتَبتْ بيْنَ يدَيْهِ هنالِك :

بسم الله الرحمن الرحيم — هذا كِتابُ مبَكِّري الأنْوَار وسابِقِي الأزهار إلى مَن غابَ عنها بِشَخصِهِ ولم يحْضرها بنفْسِهِ .

أما بعدُ فإنَّا نحمدُ إليكُم الله الذي لا إله إلا هو مستنْقذنا من الفَعلِة القبيحة ، والدنيَّة الصريحة التي نفَذَ بها كتابُنا إليكم ، وورد بإكمالها خطابُنا عليكم ، وتلك غلْطة ظَهرت لكم ، وسقْطةٌ لم تغب عنكم ، ولعمرُ الحقّ الذي إليه نرجعُ ، وبه في أَمْرِنا نقطَعُ لقد ظَهر إلينا فسادُ ما خُصِصْنا عليه ، وقبْحُ ما نُدِبنا إليه بعدَ إنفاذِهِ وإكماله ، والتدبُّر لجميع أَحواله ، ولم نسقُطْ إلَّا بتعجيلِ التدبير ، ولا خيرَ في الرَّأْي الفَطير ، وإذْ قَدِ اجتَمعَ الرَّأْيُ من سَرَاتكم ومنَّا ، وصدَر الاتّفاقُ عن كُبرائِكم وعنَّا فهي النّعمة التي بها تَنْتظمُ أُمورُنا ، ويُراعى أَميرُنا ، وقد بايعْنا البَهارَ الباهرَ جمالُه الظاهرَ كمالُهُ على ما رضِيتُمْ بِهِ ورَغِبْتُم فيهِ ، وقدْ وَضَعْنا شهادتنا على صِدْقِ من نِيَّاتِنا .

وكان كاتبُ الصحيفةُ البَنَفْسَجُ فقيلَ لهُ : ابدأْ شهادتَكَ . شهادة البَنَفْسَج : — النَّثْرُ : والله ما أضعف أَملي ، وضاعف علَلي ، وأَوْهَنَ سُوقِي منّي ، وقلّلني في كلّ سوق إلَّا الدخول فى تِلْك الوُحولِ ، والبُعدُ عن الخُلقِ الكَرِيم ، والصّراطِ المستقيم في تأْخير هذا المَلِكِ العظيمِ الذي بتَقْديمِه الآنَ أَرْجو أنّ دائِي قدْ لان .

والنَّظْمُ له :

أَمَّا البَنَفْسَجُ فَهُوَ يَشْهَدُ أَنهُ مُتَذَمّمٌ مِمَّا جَنَى مُتَنَصِّلُ
مُتَبَرِّيءٌ من بَيْعَةِ الوَرْدِ الَّتي لَمْ يَبْرَ مِنْها داؤُهُ المُتَأَصِّلُ
مُتَبَيِّنٌ فَضْلَ البَهارِ وَعالِمٌ أَنَّ البَهارَ هو المَليكُ الأَفْضَلُ

شهادَة النَّرجس : النَّثْرُ : تبّا لِتِلْكَ الفَعْلَةِ الذَّميمة ، والقَضِيَّةِ الذميمة التي جَلْبَبَتْني جِلْبَابَ السَّقَم ، وسَرْبَلَتْني سِرْبالَ الهَرَم ، ولولا بِداري إلى نَسْخِها وتحَيُّلِي في فَسْخِها لذَهَبَ نَفَسِيَ الأَرِجُ الذي به أَبْتَهِج .

والنَّظْم له :

أَشْهَدَ النَّرجِسُ أَشْهادَ مُحِقْ أَنَّ بَدْرَ الوَرد فى المُلكِ مُحِقْ
وَرَأَى أَنَّ البَهارَ المجْتَلَى في سَمَاءِ الحُسْنِ بالمُلْكِ أَحَقْ
فَمَتَى كُذِّبَ قَوْلٌ أَبَداً قِيلَ في قَوْلَتِهِ هَذِي صَدَقْ

شهادة الخيريّ : — النَّثْرُ : والله ما أَرَّقَ بصَري وأَرَّقَ بَشَري وأَغاضَ نهاراً ماءَ بِشْري ، وأَغمَدَ فيهِ سيفِ نَشْري إلَّا معصية الحق في تلك القضيَّة ، وطاعة الهوى في تلك الخطيَّة فالحمدُ للهِ الذي أَحالَ الموبِقَةَ لي لا محالَة .

والنَّظْمُ له أَيضاً :

أَشهدَ الخيريُّ أَنَّ الخيْرَ في نَقْضِ ما أخطَأَ فِيهِ أَوَّلَا
موقِناً أَنَّ البَهارَ المُرْتَضى بَهَرَ الأملاكَ حالاً وحُلَى
فَهْوَ المُوقِظُ أَنْوار الرُّبى مِن سِنات سَنَّها فيها البِلَى

شهادة الأُقْحُوان : — النَّثْرُ : إن رُمْتُ أَداءَ شكْرِ اللهِ على فَضْلِهِ

المتناهي في اسْتِنْقاذِهِ لي مِنْ تلْكَ القبيحةِ ، والدنيَّةِ الصَّريحةِ لم أُؤَدّ الفَرضَ ، ولا استطعتُ القَرضَ فالإقرار بالعجز نهاية ، والاعتراف بالقُصور غاية فاستثنائى هناك وسكونى إذ ذاك أنبَتا ورَقي ورِقا ، وجعلا فَلقِي فَلَقا .

نَظْمُهُ :

أشهدَ الأُقْحُوانُ أَنَّ جناهُ   كافِرٌ بالَّذي سِواهُ جناهُ
قائِلٌ قوْلَ مَنْ تَبرَّأَ قِدْماً   مِنْ هَوى مَنْ قضى عليه هواهُ
إنَّ نَوْرَ الرُّبَى عبَيدٌ وكُلٌّ   لِلْبَهارِ الْبهيّ يَقْضِي وَلاهُ

شهادة الخيرِيّ الأصْفَرِ : – النَّثْرُ : الحمدُ لله الذي عصمني من تلْكَ الدنيَّة ، ولم يخَيِّبْني عن هذه النيَّة ، وبها بَقِيتْ غَضارتي ، وتأَكَّدت نَضارتي ، ووُهب لِيَ الذهبُ الإبريزُ ملبساً ، والمسكُ النفيس نفَساً :

النَّظْمُ لَهُ :

أَصْفَرُ الخيريّ يَشْهَدْ   أَنَّ عقْدَ الوردِ قَد رُدْ
ويَرى أنَّ البَهارَ الْـ   ـمُنْتَقَى أَغْلَى وأَمْجَـدْ
مَلِكٌ يَقْظَـان يَأْتِـي   وَصنُوفُ النَّوْرِ هُجَّـدْ

هذا يا مولاي ما استطَعْتُ عليه ، وانتهتْ مَقْدرَتي إليه فإن وافقَك فَبِفَضْلِك المشهور ، أو كانَت الأخرى فبالْباعِ المنزور ، ولَكَ المَنُّ على الوجْهَيْنِ ، والطَّوْلُ في الحالَتيْن أبقاك الله لأحوالِنا تُصْلِحُها ، ولآمالِنا تُنْجِحُها وصنَع لكَ وبلَّغكَ أملَكَ .

* * *

ولأبي جَعْفَرٍ بن الأبَّار في عِدَّةٍ من الأنْوارِ أوصافٌ ساطعةُ الأنْوار في رسالةٍ كتب بها إلى صاحب الشُّرطة أبي الوليد بن العُثْماني ، وكان سبَبُها أنّي خرجْتُ مُتَنَزّهاً في فصْل الربيع لأُشرِفَ على منْظَرِه البديع ، وكان أبو جعفر بن الأبَّار في جُمْلة مَنْ صَحِبَني ، وخاصَّةِ مَنْ تبِعَني ، وتخلَّف أبو الوليد لعُذْر لحقَهُ أوجب تخلُّفَه .

فلمّا انصرَفْنا سأل أبا جعفر وصفَ نزاهتِنا ، وذِكْر راحتِنا ، وإيرادَ ما اطَّلَعنا عليه ، ونظَرْنا إليه ممَّا تأسَّف على البُعد منه والانتزاحِ عنه .

فكَتب إليه بهذه الرّسالة وفيها فُنونُ الرقّة والجزالة ، ووصَلَها بمدح الحاجِبِ – وصل الله حُرمتَهُ وأدامَ عزَّته – وهي بعدَ صدْرِها :
كَتَبْتَ تسألني – لا خاب سائلُكْ ، ولا حُرِمَ آمِلكْ – كيف كان تنزُّهُنا وتوجُّهُنا مع أبي الوليد شاكِرِ خُلَّتِكْ ، وحامِدِ صُحْبتك . أراد – أبقاه الله ووقَاهُ – التنزُّه إلى بعض ضِياعه في فصل الرَّبيع عندما أشفقَ من انصِرامهِ وضياعهِ ، وكُنتُ في جُملَة مَنْ اصطَحَبَ لا في صفْوةِ مَن انْتخب . فأَمكَنتْ من السير غرَّتُه ، والصبحُ قد شدَخت (١) غُرّتُه ، وجبينُ الجوّ طلْق ، وغلائلُ (٢) السماء زُرْق ، وحاجِب الشمْس مُتطَلّع ، وجيدُ الأنْس متَتَلّع ، وريقُ العيش خَضِر ، وبُردُ الأرض خَضِر ، قد فُوّفَ (٣) من الزَّهر ، بمثْل الأنجُم الزُّهر ، والرّياضُ راضيةٌ من الحيا متبرّجةٌ بعد

---

(١) الشدخ : الكسر فى كل رطب ، وقيل يابس .

(٢) الغلائل : الدروع أو البطائن التى تلبس تحتها ، أو شعار يلبس تحت الثوب .

(٣) يقال برد مفوّف : كمعظّم أى رقيق أو فيه خطوط بيض .

الحياء أهْدَتْ لها المُزنُ دِرَرَها ، فأبْدَت يَواقيتَها ودُررها ، وخَشِيَت بالكَتم عُقوقَها ، فاستنفَدَت زُمُرُّدَها وعقيقَها ، إن حيَّتك بالشقائقِ فكاللِّداتِ (١) الشَّقائِقِ مُغَلَّفاتِ العَصائِبِ ، منشَّراتِ الذَّوائِبِ ، أو بالنرجسِ والورد فكالعُيونِ النَّواظِرِ ، إلى الخُدود النَّواضِرِ ، بلْ ذاكَ صبْحٌ مشتملٌ على شمس أصيل ، وهذا خجلٌ مستَوْلٍ على خدٍّ أسيل ، أو سَفَرت عن البَنَفْسَج الأنيق ، فكلابِسٍ ثوبَ المسْك الفتيقِ ، وكأنَّما كَستْه لَعَسَها الشِّفاهُ ، فإذا تنَسَّمه أو توسَّمه المحزونُ شفَاهُ ، قد شَرِقَت بالطَّلِّ مُقَلُها ، وضُمّختْ بالمسك حُلَلُها ، فما زلنا في أحسن مَراد ، وأقرب غايةِ مُراد ، من التماح يانع ذلك الزَّهر ، حتى احتلَلْنا قرية بشاطئ النَّهر ولسان الهجير قائلَه ، لا تخطئكم بها القائلة ، فأرحنا الجياد من البُهر ، ونِمْنا بها إلى صلاة الظُّهْر ، ثمَّ قضينْا الفَرضَ وشدَدْنا الغَرْض ، نَؤُمُّ جانب الشَّرَفِ مُتيامِنين ، ونقصِدُ سَمْتَه مُتبادرين ، حتَّى أرتْنا غُرَّتُهُ جمالها ، وكَستْنا أشجارُه طِلالها ، فما زِلنا نستعرضَ قراهُ إلى أن دعانا إلى قِراه بواسطةٍ منه ومُقلَةُ الشَّمس غَضيضه ، وحُشاشَتُها (٢) مريضه ، فأجبناه إلى رغبتِه ، وحلَلْنا بعقْوتِه ، وبِتْنا نَتفدَّى بالنُّفوس ، ونَتعاطى نخَب الكؤُوس ، من مُدام الآداب ، لا من مدام الأعْناب ، يتضوَّع عنها خَلوق (٣) الشِّيَم ، ويضحك عليها حَبابُ الكَرم ، ورُبَّما مزجناها بماءِ المِزاح من غير لَغْو ولا جُناح ، فما زِلْنا نأْخذُها بالآذان ونشرَبُها بالأذهان حتَّى تبسَّمَ اللَّيلُ عن صُبحهِ جناحُ جِنحه فاشْتملنا

---

(١) اللديدة : الروضة الزهراء .

(٢) الحُشاشة : بقية الروح فى المريض والجريح .

(٣) خلوق – كصَبُور – : نوع من الطيب .

بُرد الائتلاف ، واتَّفقَت آراؤُنا على الانصِراف ، إلى حضرة المجد العُليا مَقَرّ عماد الدين والدُّنيا إسمعيل بن محمد بن عبَّاد [1] خَيْر واطِئٍ للصَّعيدِ ، ومُرْو للصِّعادِ مَن بَخَّلَ نداه ، وقيَّد البرقَ مداه ، وضَمَّخ الآفاق ثَناؤُهُ ، وبهَر العُيونَ سناؤُه ورجَحَ بالجمال حِلْمُه ، وأحاطَ باللَّيالِ علْمُه ، – أدامَ اللهُ لهُ العِزَّ ووصل له التَّأْييدَ والحِرزَ .

قوْله : مُتتَلِّعٌ : متفعِّل من التلَع وهو الإشرافُ يقال : تَلَع جيدُ الظَّبْى إذ أشرف . وقوله : عن الحيا وبعدَ الحياءِ الأوَّل منهما مقْصورٌ ، والثاني مَمْدود وهو الاسْتِحْياءُ . وقوله : مِنَ البُهْرِ البُهْرُ الكَلَلُ .

واتَّدعْنا افتعَلْنا من الدِّعَةِ وقوله : مُرْوٍ للصِّعاد الصعاد صَعدة وهي القناة النابتة مُستقيمة .

قال أبو الوليد :

وممّا يصلحُ أن يكونَ في هذا الباب ما وقَع في النَّواوير من تفضيل وتغْليبٍ ، أو جرى بيْنها من تفاضُل وتفاخُر . فإنَّ تلك القِطَعَ تشتملُ على مدحِ نوْرٍ وذَمّ آخر فهُما مَوْصوفان ، ولم تتفرَّدِ القطعةُ بنوْرٍ وإنَّما اشتملَت على نوْريْن وتضمَّنَت وصف شيْئين . وأكثرُ ما وقع هذا قديماً **في الوَرد والبَهار ، وأنا ذاكرٌ** ما وقع إليَّ في ذلك مَن المخْتار وقد وقع إليَّ في غيْرِهما قليل وكُلُّه يقَعُ هنا إن شاءَ الله .

فما وقَع إليَّ في الرَّد على ابن الرومي في تَفْضيله البُهار على الوَردِ

---

(١) انظر الحلة السيراء (٣٤/٢) .

قولُ أبي عثْمان سعيد بن فرج الجيَّانيّ (١) وقول ابن الرومي في ذلك كَثيرٌ ومذهبُه مشْهور وقصيدُ أبي عثمان ردٌّ على قصيد ابن الرومي الذي أوَّلُه :

خجلَت خدودُ الورد من تفضيله ... خَجَلاً توردُّها علَيه شاهدُ(٢)

وهو من أوَّله إلى آخِرِه أعني قصيد أبي عثْمان :

عنّي إليْكَ فما القِياسُ الفاسِدُ ... إلا الذي أدَّى العِيان الشَّاهِدُ(٣)
أَزَعَمْتَ أنَّ الوردَ من تفْضيلِهِ ... خَجِلٌ وناحِلُهُ الفَضيلَةَ عانِدُ
إنْ كانَ يَسْتَحْيي لفَضْل جمالِهِ ... فَحَياؤُهُ فِيهِ جَمالٌ زائِدُ
والنَّرْجِسُ المصْفرُّ أعظَم رِيْبَةً ... مِن أن يَحولَ علَيهِ لوْنٌ واحِدُ
لَبِس البياضَ لصُفرةٍ في وجههِ ... صِفَةٌ كما وصفَ الحزينُ الفاقِدُ
والآنَ فاسْمَعْ لِلبَراهين الَّتي ... قطَعَتْ فلَيْس يَحيدُ عنها حائِدُ
الوَرْدُ تِيجانُ الرَّبيع فَأيُّما ... اخْتارَ الفخارُ مُتوَّجٌ أو ساجِدُ
ولمن يكون الفضْل في حكم العُلا الـ ... ـموْعودُ عنْهُ أو النَّديمُ الوَاعِدُ
مَهْلاً فما هُوَ بالتَّقَدُّمِ قائِدٌ ... كَلّا وَلَا ذا بالتأَخُّر طارِدُ
وانظُر إذا اعتدل الزمان وغنَّت الـ ... ـأطْيارُ فهْو لشَجْوِهنَّ مُساعِدُ
مُوفٍ على الغصُن النَّضير كأنَّهُ ... في منْبَرٍ بَيْنَ الحدائِق قاعِدُ

---

(١) أبو عثمان سعيد بن محمد بن فرج ، وقد ينسب إلى جده فيقال سعيد بن فرج ، ويعرف بالرشاش ، عالم وأديب من حفاظ اللغة والعلماء بالشعر ، مشهور بالفصاحة رحل إلى المشرق وحج ودخل بغداد وسكن مصر ، ثم القيروان إلى أن بلغه أن عبد الرحمن ابن الحكم ولى سلطنة الأندلس فورد عليه لصلته به وعاش فى رعايته وأكثر من مدحه . المغرب (١١٤/١) وجذوة المقتبس ٢٢٨ رقم ٤٦٣ .

(٢) البيت لابن الرومى فى ديوانه (٦٤٣/٢) .

(٣) الأبيات الخمسة الأولى فى جذوة المقتبس ٢٢٨ .

والنَّرجِسُ المُنْحَطُّ إمَّا راكِعٌ ذُلًّا إلى عَفَر الثَّرى أَو ساجِدُ(١)
وجَعَلْتَ لِلأَسْماءِ حظًّا زائِداً مَهْلًا فَمَا هذا سبيلٌ قاصِدُ
اسْمُ الَّذي فضَّلْتَ إنْ فَتَّشْتَهُ وخَرمْتَ أُوّلَهُ فرِجْسٌ راكِدُ
والورد كيف خرمته وخبنته وُدٌّ تَوَدُّ بِهِ وَرَدٌّ عَائِدُ
وَدَعِ البَقَاءَ فما تَرى منْ جُمْلةٍ إلَّا وأَفْضَلُها يكونُ البائِدُ
يَفْنى خَيارُ الخَلْقِ في الدُّنْيا وما شيءٌ سِوى إبْليس فيها خالدُ
والضِّدّ كلّ الضِّدّ قوْلُكَ إنَّهُ يَنْهى النَّديمَ بِلَحْظِهِ ويُساعِدُ
فَأَعَرْتَهُ عَيْنَ الرَّقيبِ فلِلْعَمى والسِّمْل طَرْفٌ للأَحبَّة راصِدُ(٢)
وإذا فَخَرْت على الخُدود بمُقْلَةٍ يَرقانُها بادٍ فأَصْلُكَ فاسِدُ(٣)
ولَوَ انَّ فعلًا للكواكب في الثّرى رَبَّى الرِّياضَ كما يُرَبِّي الوالِدُ
وَتَنازَعَ النُّوَّارُ شِبْهَ صِفاتِها ما كان غَيْرَ الوَرْدِ فيها الماجِدُ
الوَرْدُ وقَّادُ التَّوَقُّدِ ناضِرٌ والنَّجْمُ نارِيٌّ مُضيءٌ واقِدُ

قوْله : ولمن يكُونُ الفَضْلُ في حُكْم العُلَا . البَيْتَ رَدٌّ على قول ابن الرومي :

شتَّانَ بيْنَ اثنَيْن هذا مُوعِدٌ بتسلُّبِ الدُّنْيا وهذا واعِدُ(٤)

فجعل الوردَ لتأَخُّره مُوعِداً بانقضاءِ الربيع ، والبَهارَ لتبكيره واعِداً به ، وردُّ الجيَّانيّ عليه مقْنِعٌ ؛ لأَنَّ المَوْعودَ به أَجلّ من النَّذير الواعِدِ عنه .

---

(١) العَفَر – محركة – : ظاهر التراب .

(٢) من سمل عينه : أى فقأها .

(٣) اليرقان : مرض تصفر منه العيون .

(٤) ديوان ابن الرومى (٦٤٣/٢) .

وقوله : يَفْنى خِيارُ النَّاس البيْتَ رَدٌّ على قوله :

وإذا احتفظْت به فأمتعُ صاحبٍ　　بِبَقَائِهِ لَوْ أَنَّ حَيًّا خالِدُ(١)

لأنَّ البَهار يبْقى بنضرته أياماً والوردُ أسرعُ ذُبولاً . وقول الجيَّانيّ : وجعَلت للأسماءِ حظًّا زائِداً . ردٌّ على ابن الروميّ في قوله :

أُطلب بعيْشك في الملاح سميهُ　　أبداً فإنَّكَ لا مَحالَةَ واجِدُ(٢)

جعل من محاسنه التَّسمّي به عندهم فنرجسٌ في أسمائهم كثيرٌ ، وذلك لا حجَّةَ له ولا عليه . وقوله : ولو انَّ فعلاً للكواكب في الثَّرى الأبيات رَدٌّ على بَيْتَي ابنِ الرُّومِيّ وهُما :

هَذِي النُّجومُ هيَ الَّتي رَبَّتْهُما　　بِحَيا السَّحابِ كما يُربّي الوالِدُ
فانْظُر إلى الأخَوَيْنِ من أُدْناهُما　　شِبْهاً بوالِدِهِ فَذاكَ الماجِدُ(٣)

شبَّه البَهارُ بالنجوم .

ولصاحب الشرطة أبي بَكْرٍ بْنِ القوطيَّة في المعنى والقافية قصيدٌ مُسْتَوْلٍ على غاية الكمَالِ مستَوْفٍ نهايةَ الجمال مَوْصولٍ بمدْحِ ذي الوزارتَيْن القاضي الأجلّ الرفيع المحلّ . وهو من أوله إلى آخره :

كسفَتْ خدودُ النرجسِ المُصفرّ من　　حسَدٍ وقد يُذْوِي العدُوّ الحاسدُ(٤)
واصْفرَّ حتَّى كادَ أن يقضي أسًى　　لمَّا رأى الوَردَ الَّذي هو وارِدُ
هيْهاتَ لِلوَرْدِ الفَضائل كُلُّها　　وإنِ ادَّعى التَّكذيبَ فيه مُعانِدُ

---

(١) المصدر السابق (٢/٦٤٤) .
(٢) المصدر السابق (٢/٦٤٤) .
(٣) المصدر السابق (٢/٦٤٤) .
(٤) من أدويته : بمعنى أفرضته .

فَصْلُ القَضِيَّة أَنَّ هذا مُمْتِعٌ فَصلَ الرَّبيع وكُلُّ نَوْرٍ بائِدُ
يَأْتِي ونوَّارُ الرُّبى مُتَزَحْزِحٌ وَكذَا الرئيس من المَشابِه واحِدُ
هذا مُقِرٌّ للسَّماءِ بِفضْلِها في ما غَذَتْهُ بِهِ وَهَذَا جاحِدُ
وتَرى تَبايُنَ ذاكَ في وجْهَيْهِما بالَّلوْنِ والنَّشر الَّذي هو شاهِدُ
كم بيْنَ مُصْطَنَعيْن هَذَا كافِرٌ إِفْضالَ سَيِّده وَهَذَا حامِدُ
هذا له خَلقُ العجوز وهذه عَذْراءُ في حُمْرِ المجاسِدِ ناهِدُ
وكفى افْتِخاراً أَنَّ هَذَا نافِقٌ غَضًّا ومُبْتَذِلاً وَهَذا كاسِدُ
لَوْ لم يَكُنْ لِلوَرْدِ إِلَّا أَنَّهُ يَفْنَى ويَبْقَى ماؤُهُ المتَعاهِدُ
وله مَنَافِعُ لا تجمّل كَثْرةً ومَرافِقٌ مشْكُورَةٌ وفوائِدُ
والنَّرجسُ المصْفَرُّ لَيْس بنافِعٍ ميْتاً ولا في الرَّوض إذ هو وافِدُ
هذا عقِيمٌ لّا يُشادُ بِذِكرِهِ أَبَداً وعَقْبُ الوَرْدِ باقٍ خالِدُ
أَخَوانِ مَعْزُوّانِ لمْ يَتَنازَعا شِبْهاً وبَيْنهُما إِخاءٌ تالِدُ
هذا يُبَشِّرُ بالحَياةِ وذاك يُنْـ ـذِرٌ بالْممَاتِ إِذا أَتاهُ العائِدُ
أَيْنَ الحياةُ من الْممَاتِ نَفَاسَةً وَرِياسَةً لَوْلَا القِياسُ الفاسِدُ

ومن هُنا دخل إِلى مَدْحِ ذي الوزارتَيْن القاضي الجليل فقال :

ياأَيُّها القاضي المُصفَّى جَوْهَراً والسَّيِّد النَّدب الشَّرِيف الماجِدُ
أُحْكُم فإِنَّ العَدْلَ شِيمَتُكَ الَّتي أَوْصى بها جَدٌّ إِلَيْكَ وَوالِدُ
فَغدوْتَ طفلًا في المهادِ وأنت للـ ـحُكْم الَّذي أعْيَى البَرِيَّةَ ماهِدُ

قوله : أَيْن الحياة من الممات . البيْتُ هُوَ لابنِ الرُّوميّ وأتقَنَ الرَّد عليه فيه وبيْت ابن الرومىّ :

أَيْن العُيُونُ منَ الخدود نَفَاسةً ورِيَاسَة لَوْلَا القِياسُ الفَاسِدُ(١)

وأنشد لنفسه الشيخُ أبو عبد الله بن مسعود (٢) قطعةً بديعةً

(١) انظر ديوان ابن الرومى (٢/٦٤٤) وقد سبق هذا البيت وذكرنا روايته فى الديوان ..
(٢) مضت ترجمته .

تضَمَّنَتْ أوصافاً مطبوعةً يصف البَهار ويُفضّلُ الورد عليه . وهي :

ولابسٍ ثوْبَ الضَّنَى   من حَسَدٍ قد اكْتأَبْ
كَأَنَّمـــا أحْداقُـــهُ   أقْداحُ تِبْرٍ مُنْتَخَبْ
منَ الحَيا مُتْرَعَـــة   أجَلُّ مشْروبٍ شُرِبْ
يَسعَى بها مُحتسِباً   بلا أذًى ولا نَصَبْ
ساقٍ على ساقٍ لَهُ   تُزْهى بمُخْضرٍّ قَصَبْ
زَبَرْجَـــدٌ مُبتَهِـــجٌ   يكَادُ لِيناً يَنْقَضِبْ (١)
إذا الصَّبا عَنَّتْ لَهُ   وماسَ عنِ ثِقْلِ الحَبَبْ
صَبَا لِبعضٍ بعْضُهُ   فَيَلْتَقي ويَصْطَـــحِبْ
يقولُ لِلوَرْدِ أنَـــا   برٌّ حبيبٌ يَقْتَرِبْ
قال له الوَرْدُ لَقَدْ   أخطَأْتَ يامن لم يُصِبْ
أنتَ إذا ما صَحَّفُوا   وأنصفُوا بيتٌ خَرِبْ
أنَا الَّذي لم أخْتَلِقْ   ما قُلتُهُ ولَم أحُبْ
أشبَهُ شيءٍ بالخُدُو   دِ الزُّهْرِ ريعَت من كَثَبْ
وأنتَ عيْنٌ دهْرَها   في مِثل دهْرٍ قد كَلِبْ
فانْشَعَبَتْ أسْرابُـــهُ   خوْفاً بِدمعٍ منْسَرِبْ
واصْفَرَّ من هَمٍّ كما   يفعلُ مخْضُومٌ غُلِبْ (٢)
الفَضلُ للوردِ وإنْ   أبَـي عَلِيٌّ وحَرِبْ
طِيبٌ وطِبٌّ وشذاً   ومنظَرٌ ينفي الكَرَبْ
سلطانُ الأنوارِ على   رغْمِ الغَبِيِّ المضْطرِبْ
كما ابنُ عَبَّادٍ حِمَى الـ   إسلامِ سُلطانُ العَرَبْ

---

(١) من قضب يقضبه : قطعه .

(٢) الخضامة – كثمامة : ما خضم ، والخضيمة : النبت الأخضر الرطب والأرض الناعمة المنبات ، وخضمه يخضمه : قطعه .

قوله : برّ حبيبٍ هو تصحيفُ نرجِس . وبيتٌ خرِبٌ تصحيفُهُ مقلُوباً أيضاً . وإن أَبَى عليٌّ هو ابن الروميٍّ لما فضَّل البَهارَ على الورد وحرِبَ مثلَ غَضِب ومنه قيل : لَيْثٌ مُحرَّب أي مغضَّبٌ . وقوله : طِيبٌ وطِبٌّ وشَذاً الشَّذَا العَرْفُ والريحُ الطَّيِّبةُ .

وقال بعض الأندلسيّين يردُّ على ابن الروميّ بَيْتَيهِ الطائِيَّيْن وأَحدُهُما :

وقائلٍ لِمَ هجوْتَ الوردَ معتمداً فقلت من قبْح مَا فيهِ ومن مَعَطِه(١)

ويقبُحُ ذكرُ البيت الثاني وهو مشهورٌ . والردُّ عليه للأندلسيّ : (٢)

لِعائبِ الوردِ قُلْ ما أُنتَ من نَمطِهْ قد قُلتَ هجراً فَتُبْ في القولِ من غَلَطِهْ
الورد خَدُّ حبيبٍ حين تَلْثَمُه فيغْتَدي أثَرُ الأسنانِ في وسَطِهْ

ولأبي جعفر بن الأبَّار في إقرار البهار بفضل الورد قطعةٌ حسنةُ السَّرْد موْصولةٌ بمدح ذِي الوِزارتَيْن القاضي سيف الحقِّ الماضي وهي :

طَلَعَ النَّرجِس في أكفانِهِ قائلاً للورد قد بَرَّحْت بي
لَم تَزَل تُورِثُ جسْمِي سَقَماً مُبْكياً عيْني بدمعِ الحبَبِ
كيف خلِّطتُ وغلّبت على سيِّدِ الأنوارِ يا لَلْعَجَبِ
إنَّما اسْمي تحتَ شكْوايَ فلا تُوقِعوني تحت ريْبِ الرِّيَبِ
أنا لوْلا طمعي أنْ نلْتَقِي ما أقلَّتنِيَ حيناً قُضُبِي(٣)
فضلُهُ فضلُ ابن عبّادٍ أبي الـ قاسِمِ القاضي قريعِ العَربِ
ملكٌ لوْ لَم يُمجَّدْ بالثَّنا قال للعالِمِ حْسبِي حسَبي

---

(١) البيت فى ديوان ابن الرومى (١٤٥٢/٤) ورواية عجزه :
فقلت من بغضه عندى ومن سخطه

(٢) وهناك بيتان منسوبان لابن المعتز فى الرد عليه أيضاً وهما :
ياهجى الورد لا حييت من رجل غلطت والمرء قد يؤتى على غلطه
هل تنبت الأرض شيئا من أزاهرها إذا تجلت يحاكى الورد فى نمطه
انظر كتاب سكردان السلطان على هامش المخلاة ص ٢٥١ .

(٣) القضيب : الغصن ، والجمع قُضُب .

قوله : إنّما اسْمي تحت شكْواي يعني برَّحْتَ بي لأنَّ برَّحْتَ بي تصحيفُ نَرجسٍ .

وله أيضاً في تصحيفِهِ مفُضّلًا للوَرد بيْتان اسْتوْلَى فيهما على غاية الإحسان وهُما :

الـــوَرْدُ أحسنُ وِرْدٍ يَروَى به لحظُ عيْنِ
ونَرجسُ الرَّوضِ مهْما صحَّفْتُـهُ بَرحُ بيْـنِ

هذا ما انتَهى إليه ذكرِيَ في التَّفاضُل بين البَهار والوردِ .

وكتب الوزير الكاتبُ أبو مرْوَان عَبد المِلكِ بن إدريس الجزيريُّ (١) إلى المنصور بن أبي عامر – رحمه الله – عن بَنَفْسَج العامريَّة يومَ الأضحى سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاثِ مائةٍ رسالةً موصولةً بشعرٍ جمالها باهِر ، وكمالها ظاهر ، احتجَّ له فيهما احتجاجاً طَريفاً ، وعَضَده به عَضَداً ظَريفاً ، وآثَرهُ على النَّرجس والبَهار بإشاراتٍ جليلة المقْدار .

والرسالة (٢) :

مَنَح الله مولاي صدْقَ النَّظَر ، وعرَّفَه جليَّة الخَبر ، وأطالَ مدَّته ، ،

---

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى وزير من وزراء الدولة العامرية ، وكاتب من كتابها ، عالم أديب شاعر كثير الشعر غزير المادة معدود فى أكابر البلغاء تولى الشرطة للمنصور وسجنه ، ثم كتب للمظفر الذى تغير عليه وسجنه وقتله سنة ٣٩٤ . – جذوة المقتبس ٢٨٠ رقم ٦٢٤ ، وبغية الملتمس ٣٦٢ رقم ١٠٥٨ ، ونفح الطيب (٥٢٩/١) والذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٦ ، والمغرب (٣٢١/١) ويتيمة الدهر (١٠١/٢) .

(٢) الرسالة فى الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٨ – ٥٠ ، ونفح الطيب (٥٣٢/١ ، ٥٣٣) .

ووصل سلامتَه وعزَّتَه إذا ترافعَتِ الخُصوم – أيَّد الله المنصور مولاي في مذاهبِها ، وتنافرَتْ في مفاخرها فإليك مفْزَعُها ، وأنت المُقْنَع في فصل القضيَّة بيْنها لاستيلائك على المفاخر بأَسْرِها ، وعِلْمكَ بِسرِّها وجهْرِها ، وقد ذَهَب البَهارُ ، والنَّرجسُ في وصْفِ مَحاسِنَهما ، والفَخْرُ بمشابِهِما كُلّ مذهب ، وما منهُما إلا ذو فَضِيلَةٍ غير أنَّ فَضْلِي عليهما أوضَحُ من الشَّمس الَّتي تعْلونا ، وأعْرَف من الغَمام الذي يْسقِينا . فإن كانا قد تَشبَّها في شعريْهما المرتفعيْن إلى مولاي – أبقاه الله وأيده – ببعض ما في الأرضِ من جَواهِر الأرض ، ومصابيح السَّماء ، وهي من المَوات الصَّامِتِ فإنّي أتَشبَّه بأحسن ما زيَّن الله به الإنسانَ ، وهو الحيَوانُ النَّاطقُ من أدَواتِ خلْقه ، وأنْفسِ ما رُكّب فيه من مَوادِّ حياتِه مع أنّي أعطرُ منهما عِطْراً ، وأحمدُ خُبْراً ، وأكرمُ إمتاعاً شاهداً وغائِباً ويانِعاً وذابِلاً وكلاهُما (١) لا يُمتِعُكَ إلَّا ريْثَ ما يبدو للعيون ، ويَسْلَم من الذُّبول ، ثم تَسْتكْرِه الأُنوفُ شَمَّه ، وتستدْفع الأكُفُّ ضَمَّه ، فأيْن هذه الحالُ من الاسْتِمْتاع بي رطْباً وادِّخاري في خزائن المُلوك جافًّا وتفضيلي على ألسِنَةِ الحكماء ، وتصريفي في منافع الأعْضاء (٢) وإنْ فَخَرا باستِقْلالِهما على ساقٍ هي أقوى من ساقِي فلا غَرْو أنَّ الوَشْيَ ضعيفٌ ، والهوَى لطيفٌ ، والمِسْكُ خفيفٌ . « وليس المجْدُ يُدْرَكُ بالصِراعِ » كما قال حكيمُ الشُّعراءِ وقد أُوْدَعْتُ – أيَّدَ الله المنصورَ – قوافي الشّعر من وصف مُشابهي ما أودعاه من وصف مشابهما وحضرتُ بنفسيَ لِئَلَّا أغيبَ من

(١) فى نفح الطيب (وكلاهما لا يمتع إلاريثما يينع ثم إذا ذبل تستكره النفوس شمه) .

(٢) بعد كلمة ضمه فى نفح الطيب (وأنا أمتع يابسا ورطبا ، وتدخرنى الملوك فى خزائنها وسائر الأطباء وأصرف فى منافع الأعضاء) .

حضرتهما . فقديماً فضَّلوا الحاضر وإن كان مفضولاً ولهذا قالوا : « أَلَذ الطَّعام ما حضر لوقته » و « وأَشْعَرُ النَّاسِ من أَنْتَ في شعره » ولمولاي (١) – أَيَّدهُ الله – أن يعدل باختياره الصَّحيح ويَفصل بحكمه العدل إن شاء الله .

والشعر :

شَهِدَتْ لنوّارِ البنفْسج أَلْسُنٌ   مِنْ لَوْنه الأحْوىَ ومِنْ إيناعِهِ(٢)
بِمَشابِهِ الشَّعَرِ الأثِيثِ أعارَهُ   قَمَرُ الجبين الصَّلْتِ نور شُعاعِهِ(٣)
ولَرُبَّما جَفَّ النَّجيعُ منَ الطُّلَى   بِصَوارِمِ المنْصورِ يوْمَ قِراعِهِ(٤)
فَحَكاه غَيْر مُخالِف في لَوْنِهِ   لا في رَوَائِحِهِ وطيبِ طِباعِهِ
مَلِكٌ جَهِلْنا قَبْلَهُ سُبُل العُلا   حتَّى وَضَحْنَ بنَهْجِهِ وشِرَاعِهِ
أمَّا نداهُ فَهْوَ صِنْفٌ لِلْحَيا   في صَوْبِهِ لَمْ أعْنِ في إقْلاعِهِ
في سَيْفِهِ قِصَرٌ لِطُولِ نِجادِهِ   وكَالِ ساعِدِهِ وفُسْحَةِ باعِهِ(٥)

---

(١) فى نفح الطيب : فلمولانا أتم الحكم فى أن يفصل . بحكمه العدل وأقول .

(٢) الأبيات ماعدا السادس فى الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٩ ، ٥٠ ونفح الطيب (٥٣٢/١ ، ٥٣٣) .

(٣) رواية نفح الطيب :

لمشابه الشعر الأعم أعاره الـ   قمر المنير الطلق نور شعاعه

(٤) فى النفح : جمع .

(٥) فى النفح : وتمام .

قال أبو الوليد :

ووقع بين الوزير أبي الأَصْبَغ بن عبد العزيز وصاحب الشُّرطَة أبي بكر بن القوطَّية قطْعتان يفضّل أبو الأصبغ الخيرِيَّ ، وأبو بكر البنفسج ، وقطعة أبي الأصبغ موصولةٌ بمدح ذي الوزارتين القاضي — حرس الله حوْباءَه وأطال بقاءَه — وهي :

ما لِلْبَنَفْسجِ يَدَّعي التَّفْضيلَا مُتحامِلًا وَيَعُدّ ذاكَ جَميلَا
هيْهاتَ قَدْ برِحَ الخفاءُ فَعُدْ إِلى حُكْم التَّناصف واتْرِكِ التَّخْييلَا
الفَضْلُ لِلْخيرِيِّ إِلَّا أَنَّهُمْ جَهِلوا وَلَمَّا يُحْسِنوا التَّأْوِيلَا
قَهَرَ البَنَفْسَجَ مَنْظَراً ويَفوقُهُ في الشَّمّ بالمسْكِ الذَّكّي دَليلَا (١)
ورأى التَّسَتُّرَ بالنَّسيمِ لصُبْحِهِ ظَرْفاً فَعطَّلَ صُبْحَهُ تَعْطيلَا
وإِذا إِتَى اللَّيْلُ البَهيم بِنَشْرِهِ أَبْـدى بِهِ لِلزَّائِريـنَ قَبُـولَا (٢)
كمهذّبِ الأخلاق يهجر بالضُّحى خِلًّا ويُدْني بالْمَساءِ خَليلَا
أَو شارِبٍ تَرَكَ الصَّبوحَ تحفُّظاً فإِذا أَتَى لَيْلٌ أَساغَ شَمُولَا (٣)
هو فاتكُ الأفعال يدَّرِع السُّرى وتَراهُ يَطْلُبُ بالنَّهارِ خُمُولَا (٤)
والخيْر في الخيرِيّ حتَّى في اسْمِهِ هو فاضِلٌ فاسْتَأْهل التَّفْضيلَا
يا أَيُّها القاضي الَّذي مِنْ عَدْلِهِ أَضْحى الزَّمانُ بِغُرَّةٍ مَحْجُولَا
أَنْتَ الشَّهيدُ لَهُ وعِلْمُكَ حاكِمٌ عَدْلٌ وحسْبُكَ شاهداً مَقْبولَا

---

(١) مسك ذكى : قوى الرائحة .

(٢) النشر : الريح الطيبة .

(٣) الشمول — كصبُور : الخمر أو الباردة منها ، كالشمولة لأنها تشمل بريحها الناس ، أو لأن لها عصفة كعصفة الشمال .

(٤) يقال تدرّع فلان الليل : دخل فى ظلمته يسرى .

فاحْكُمْ على مَنْ قد تعاطى ظُلْمُهُ ... واعْقِدْ بما تَقْضي لَهُ تَسْجيلَا
الرَّأْيُ منْكَ مهَذّبٌ مستحكِمٌ ... والعِلْمُ فيكَ ويُحْكِم التَّأْويلَا
مَنْ كان إسْماعِيلُ والدَه الرِّضى ... فكَفَاهُ فَخْراً أَنْ يكونَ سَلِيلَا
أَنْتُمْ حُلِيٌّ لِلزَّمانِ مُحَسِّن ... قَدْ كانَ عُطِّلَ قَبْلَكُمُ تَعْطيلَا

وقصيد أبى بكْر فى الرَّدّ عليه مُمتَزِجٌ بمدْح الحاجب – أطال الله عُمْرَه وأَبْقى علينا سِتْره – وهو :

نَبُلَ البنفسج فاحْتوى التَّفْضيلَا ... وكَذا البنفْسجُ لَن يَزالَ نبيلَا
لمَّا شأى (١) نَوْرَ الرَّبيع بِطِيبِهِ ... وَحَوَى من الشَّرف الصريح أَثيلَا (٢)
فَضَلَ النُّوَارَ فحازَ دون جميعه ... قَصبَ السّباقِ ولم يكُنْ مفْضُولَا
مُتَشَبِّهاً فى سَبْقهِ بالحاجِبِ الْـ ... أَعْلَى عماد الدّين إسْماعيلَا
مَلِكٌ عَلَا غُرَّ المُلُوكِ المُعْتَلِـ ... ـينَ أَباً وَجَدًّا فى العُلَا وَقَبيلَا
كم طَاوَلُوهُ فى الفخارِ فَفاقَهُمْ ... عَرْضاً إلى المجْدِ التَّليدِ وطُولَا
مُتَشَبِّهينَ بما يُمَثِّلُهُ لَهُمْ ... لَوْ أَحْسَنوا التَّشْبِيهَ والتَّمْثِيلَا
كَتَشَبُّهِ الخيرِيّ بالمُزْرى بِهِ ... ليَحوزَ مِنْ تِلْكَ الخِصالِ فَتيلَا
وإذا اعتزى فإلى البنفْسج يَعتزى ... وإلَيْهِ يُنْسَبُ كىْ يعزّ قَليلَا (٣)
ما لِلْكُرُنْبِيِّ الخليقَةِ يَبْتَغى ... فَضْلَ الرَّئِيسِ المُعْتَلى تخْييلا
أوَ ما دَرى أنَّ البنفْسج لم يَزَلْ ... فَوْقَ الأكُفّ جلالةً مَحْمولَا
مِنْ أيْنَ للخيرى اللَّئيمِ طَلَاقَةُ الـ ... سَّمح الكريم ولَن يزالَ بَخيلَا

---

(١) من الشّأو : السّبق .

(٢) أثَلَ يأثِل أثولا وتأثّل : تأصّل .

(٣) اعتزى : انتسب .

مُتَسَتِّرٌ طولَ النَّهارِ بِعَرْفِهِ   كَىْ لا يُرَى لِنَسيمِهِ مَسْؤولَا
حتَّى إذا طَرَقَ الظَّلام سَخا بِهِ   إذْ لَا يَرى إلَّا القَليلَ سَؤولَا
زَهِمُ الْمَشَمّ إذا تَقادَمَ قَطْفُهُ   شيْئاً قَليلًا أَوْ أَحسّ ذُبولَا (١)
وإذا قَرَأْتَ منافِعَ النَّوار لِلْـ   ـحُكمَاءِ أُصْبَحَ بيْنها مَجْهُولَا
والنَّفع غضًّا إن تشأْ أو يابساً   هُوَ لِلْبَنَفْسِج كلّهُ مَحْصولَا
لا يَستَحيلُ نسيمُهُ فى الحالَتيْـ   ـنِ ولا إذا استَنْشَقْتَهُ مَعْمُولَا
وذخيرَةُ الخُلَفاء والأملاكِ لا   يَخْلُونَ مِنْهُ مُجَنّساً مَفْصُولَا
فَلْيَحْظَ بالقِدْحِ المُعَلَّى فاخِرا   ولْيَرجِعِ الخيرِىُّ عَنْهُ ذَليلَا

وللوزير أبى عامِر بن مسلمة قِطْعة بديعة مطبوعةٌ أشار فيها إلى تفضيل البهار على النرجس وهى :

ونَــرْجِسٌ هَبَّ يَرْنــو   بِمُقْلَــةٍ لَيْسَ تَطْــرِفْ
مثْلَ النُّجــوم تَساقَطْـــ   ـنَ فى رِداءٍ مُفَــوَّفْ (٢)
يَحْكِى البَهــارَ ولكِــنْ   بَهارُنا مِنْــهُ أصْلَــفْ (٣)
لَهُ فَضيلَـــةُ سَبْـــقٍ   لِغَيْــرِهِ لَيْس تُعْــرَفْ
فَعُجْ علَيْهِ فَدَتْكَ الـ   ـنُّفوس واشربْ لتظْرُفْ

وللفقيه أبى الحسن بْنِ علىّ قطعةٌ سرِيَّةٌ يُفضّل فيها الخيرىَّ الأصفَر على النَّمام وهى :

أرى أصفر الخيرىّ يُبدى من الضَّنى   تَباريحَ مكْلُومِ الفُؤادِ سقِيمِهِ (٤)

---

(١) زَهِم : أتخم فهو زهمان ، والزهم والزهومة : الريح المنتنة .

(٢) الرداء المفوف : الرقيق أو الذى فيه خطوط بيض .

(٣) الأصلف والصلفاء : ما صلب من الأرض ، والصلف : التمدح بما ليس عندك ، والادعاء فوق ذلك تكبّراً .

(٤) تباريح الشوق : توهُّجه – ومكلوم : مجروح .

وَيُكْذِبُهُ سِحْرٌ بأَعيُنِ نَوْرِهِ　　وقُضْبٌ لَهُ تَنْدى بِماءِ نَعيمِهِ
وعَرْفٌ ذكِيٌّ يقصرُ المسكُ دونهُ　　ولا يبلُغُ الكافورُ طِيب شَميمِهِ
يُساجِلُ آفاق السَّماء بِروْضَةٍ　　وأَنجُمَها حُسناً بِصُفْرِ نُجومِهِ (١)
وذى هفْوَةٍ قد ظنَّ أَنَّ شقيقَهُ　　وحارِسَهُ قَدْ بذَّهُ بنَسيمِهِ (٢)
فقلت اتئدْ فى الظن واسمع لمنصف　　بصير بِتَحْبيرِ النِّظامِ عليمِهِ
أفى القَدْر مخْدوم لدَيْكَ وخادمٌ　　وذو كَرمٍ فى المجْد مثْلَ لَئِيمِهِ
وسِيَّان طِيباً لَيْلُهُ ونَهارُهُ　　وليْس خصوصُ الخير مثل عُمومِه
وما تَفِلٌ فى يَوْمِهِ مثْلُ عاطِرٍ　　ولا لَحَقٌ فى الفَخْرِ مِثْلَ صميمِهِ (٣)
فقالَ بِحقّ قُلْتَ وهْى مقالَتى　　ولِلْحَقِّ نورٌ لائحٌ فى أَديمِهِ

وللوزير أبى عامر بن مسلَمة أبياتٌ مُحْكَمة فى تفضيله أُنشدنِيها موصولةً بمدح ذى الوزارتيْن القاضى – أَدام الله عُلُوَّه وكبَتَ عدوَّه – وهي :

أَصفَرُ الخيرِيَّ عندِى　　أَرفَعُ الخيرِيُّ قدْرَا
فهْوَ لا يَمنَعِ عَرْفاً　　وهْو لا يَحْميكَ عِطْراَ
مِثل لوْن الذَّهَب الخَا　　لِصِ لكن فاقَ نَشْرَا
وغَدَا يَحْكى اليَواقِيـ　　ـتَ إذا ماكُنَّ صُفْرَا
مِثْله استَوجَبَ مِنِّى　　أَبَداً شُكْراً وسُكْرَا
مثلَ ما استوجب قاضى الْـ　　ـعدْلِ من ذا الخلْق شكْرَا
ملِكٌ غُرٌّ أَيادِيـ　　ـهِ على الأَسماعِ تَتْرَا

---

(١) يساجل : أى يبارى .
(٢) بذه : أى غلبه وتفوّق عليه .
(٣) تَفِلَ تفلاً : الرجل أنتن ريحه لترك الطيب .

ملكٌ مَّا زالَ يُولِيـ ـنِـىَ تقرِيبـاً وبِـرَّا
قارَض اللهُ أيادِيـ ـهِ مُطيـلًا منه عُمْـرَا

ولأبى جعفر بن الأَبَّار أبياتٌ جليلة المِقْدارِ أشار فيها إلى تفْضيلِهِ وهى :

أَصْبـاهُ حُبُّ سَميِّـهِ فغَـدا الضَّنى من زَيِّـهِ
وهَـوَى الهوَى بفُـؤَادِه فاصفَـرَّ غَضُّ جَنِيِّـهِ
مُثْنٍ على المَلَوَيْـنِ لا كَشَقيقِـهِ وسَميِّـهِ
حَسْبُ الزَّمـانِ تَفَـاؤُلاً بالخَيْـرِ مِنْ خيرِيِّـهِ
فاحثُثْ كُؤوسَ مُدامـة تَلْـقَ الغَليـلَ بِرِيِّـه
صفْـراءَ قلَّدَهـا المِـزا جُ لشَرْبها بِحُلِيِّـهِ

قوله : على المَلَوَيْن يعنى اللَّيلَ والنهارَ . لا كشقيقه وسَمِّيّه يعنى الخيرىَّ النَّمامَ . وفى هذا البيْت فضَّل الأصفَرَ .

ولصاحب الشُّرطَة أبى بكْر بن القُوطيَّة فى تفْضيلِه أبياتٌ بديهيَّةٌ سريَّةٌ وهى :

وأَصفَرٍ نرجِسىّ اللَّوْن نمَّامٍ مُبَرّإٍ من صنوف النَّقص والذَّامِ
زَها اعتلاءً على النَّمام يَجْمَعُه به اسْمُهُ فِعْلَ ذِى لُبٍّ وإلهامِ
فقال لى الفَضلُ إنّى فى النَهار وفى لَيْلى أَنِمُّ وفى صُبْحى وإظْلامى
وأنت يامُدَّعى اسمى طولَ يومِك لا تُدنَى اطِّراحاً إلى خيْشومِ شمَّامِ
وإن لونَكَ مِنْ لونِ النَّحاسِ ولَوْ نِى فى مَلاحتِه ضَرْبٌ من السَّامى

قال أبو الوليد :

لما كثُر الكلام فى تفْضيل الخيرِيّ الأصفَرِ صَنَعْت قطْعةً رُبَّما كان فيها بعضُ الرَّدِّ على مَن فضَّله وبَخَس النَّمامَ أكثر حقِّهِ ولم يَرْع حُسْنَ خَلْقِه وخُلْقِه . وهى :

يامن يذُمّ خلائقَ النَّمامِ ... ويَحُطُّه عن خُطَّةِ الإكرامِ
قدْكَ اتَّئِدْ عن لومه جهْلًا به ... فجمالُه زَارٍ على اللُّوَّامِ (١)
هو أشهَر الخيرِىّ حُسناً فاحْبُهُ ... من بيْنِه بتحيَّةٍ وسَلامِ
مُتَنَزِّهٌ عن أنْ يُرى مسْتهْتِراً ... إلَّا إذا اكْتحَلَ الوَرى بمَنامِ
مستطْرَفٌ فى خَلْقه مستظْرَفٌ ... فى خُلْقه مُستحسَن الإلمامِ
لم يرْض إلَّا المِسْكَ مَسْكاً جسْمُه ... وبه يبُوح إليكَ فى الإظْلامِ
والمُنْتَمى أبَداً إليه قُصارُه ... فى الفَضْل أنْ يعْزى إلى النَّمامِ
اِصفَرَّ من حَسَدٍ له وكَآبَةٍ ... لَمَّا شَآهُ بِحُسنه البَسّامِ
أيُقاسُ منفرِدٌ بظَرْفٍ مُعجِزٍ ... بمشارِكٍ أخلاقَ نَوْرِ العامِ
لو كانتِ الشَّمس المنِيرةُ سرمَداً ... لم تُلْقَ بالإجلالِ والإعظامِ

قوْلِى : إلَّا المِسكُ مَسكاً المَسكُ الجِلْدُ والغَرضُ تشبِيه لوْنِهِ بلوْنِ المِسكِ .

* * *

---

(١) قدك : حسبك أو كفاك ، وانظر حولها الجنى الدانى ٢٦٩ .

الفصل الثالث

فى القِطَع المنفرِدَة كل قطْعةٍ منها بنوْر على حدةٍ .

قال أبو الوليد :

يجب أن نبْدأ بأوَّل الأنوارِ ، وأبْكَر الأزهار ، وهو من النَّواوير الربيعيَّة نَوْرُ البهار ، ولكن ماكان من النواويرِ باقياً فى كلّ وقْت ، وثاوياً مع كلّ فَصْلٍ هو أوّل على الحقيقة ، وصدْرٌ فى هذه الطريقة كالآس ، والياسمين ، فأمَّا الآسُ فَقَد فُضّلَ قديماً على ضُروبِ الأنوارِ ، وصُنوفِ الأزهار ، وصِيغَت فى ذلك حِسانُ الأشعار إذ شَجرُه يقوم مَقام النوّار ثم يزيده نُوّارُهُ جمالا ثانياً ، ويُضيف إليه كمالا زائداً ، وأمَّا اليَاسِمينُ فإنَّ نَوْرَهُ لا ينْقَطع أبداً كُلُّهُ ، ولا يذْهب جميعُه . فنبدأُ بهما ثم نذكر النواوير على أزْمِنَتِها .

الآس (١)

قال أبو الوليد : من حَسَنِ ماقِيلَ فيه ما أنْشَدَنِيهِ لنفسه الشيْخ أبو عبد الله بن مسعود وهو :

---

(١) ذكره أبو حنيفة الدينورى فى كتابه النبات وأشار إلى أنه ينبت بأرض العرب قال بعض بنى هذيل :

تالله يبقى على الأيام ذو حِيدٍ مشمخر به الظيان والآس

وزعم قوم أنه الرند ، وقد رده أبو عبيدة وأنكره ، وقال هو شجر طيب الريح – كتاب النبات ص ٢١٠ رقم ٧٨٥ ، الجزء الذى نشره المستشرق برنهارد ، وتحدث عنه ابن البيطار فى كتابه الجامع (١/٢٧) وذكر أن خضرته دائمة ويسمو حتى يكون شجراً عظيما وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة ، وثمرة سوداء إذا أينعت تحلو .

الآسُ آس لِأَسَى كلِّ فؤادٍ مكْتئِبْ
فى كلّ فَصْلٍ زاهِرٌ وما سِواهُ مُنْقَلبْ
إذا سَرى منهُ الشَّذا فى آخر اللَّيلِ وَهَبْ
أَهْدى لأرْواحٍ بِهِ أرواحَ رَوْحٍ وطَربْ
كأنّه فى جَنَّةِ الـ ـخُلْد نَما ثمَّ اقتُضبْ
لَوْ نافَرَ النَّوْرَ إلى عدْل صحيح المعتقَبْ
وصُحِّفَتْ نَصْبَتُهُ جاءَ نَبِيًّا فَغَلَبْ

قَوْلُهُ : أرواحَ رَوْحٍ . الأرواحُ هُنا جمْعُ ريحٍ والرَّوحُ الراحة والأرواح الأوّل جمْع رُوح . وقوله : جاءَ نَبيًّا يعْنى أنَّ نبيًّا هذا اللّفظَ تَصْحيف آس مقْلوباً .

وممَّا فيه من حُسنِ التَّشْبِيهِ قوْلُ أبى عمر الرَّماديّ فى قِطْعةٍ تضمَّنَتْ وصْفَ غيْره وهُو :

خُلوفٌ من الرَّيحان راقت كأنها وإنْ حَسُنت فى لحظنالِمَمٌ شُعْثُ (١)

وممَّا يقْرُبُ مِنْ هذا وإن كانت فيه زيادة بيْتُ أبى الحسن بْن أبى غالب :

فما شِئْتَ مِنْ آس تفَتَّح نَوْرُه كما أخلَستْ هامٌ لَها شعَرٌ جَثْلُ (٢)

يُقال أخْلَس الرَّأْسُ إذا به شيبُهُ .

ومن الفائِتِ الفائِقِ والرائِعِ الرائِق فى وصْفه قِطْعةٌ خاطبنى بها الوزيرُ أبو عامِرٍ بْن مَسْلَمَةَ وبعث معها مُطيَّباً وهى :

---

(١) خلوف : النسل ، أو ما خلفته وراء ظهرك .

(٢) الجثل والجثيل من الشجر والشعر : الكثير الملتف أو ماغلظ وقصر منه أو كثف واسود .

ياواحِدَ الأُدَباءِ والشُّعَراءِ   وابنَ الكِرامِ السَّادَةِ النُّجباءِ
إنِّى بعثتُ مُطَيَّباً نمَّقْتُهُ   مِنْ روضِ دارى دارِكَ الغنَّاءِ
من آسه لا زِلتَ تأْسُوا عاطِراً   وتُبيدُ مايَعْدُوا مِنَ الأَعْداء
يَحكى بطيِّبِ عَرفِه وبحُسْنه   خُلُقاً خليقاً مِنْكَ بالإطْراءِ
هو كالسَّماءِ إذا بَدَتْ مخْضَرَّةً   لاحَتْ عَلَيْها أَنْجُمُ الجَوْزاءِ
فاقْبلْهُ مِن صَبٍّ بحُبّك وُدُّهُ   أَلَّا تَزالَ أَخا عُلًا وعَلَاءِ

قال أبو الوليد :

فجاوبْتُهُ عَنْ هذه الألْفاظ البديعة ، والمَعانى الرفيعة بما يُمْكنُ أَنْ يدخُل فى هذا الباب ، ويوافِق بعْض غَرَضٍ هذا الكتاب وهو :

يامَنْ حَبوْتَ بوُدّهِ حَوْباءِ   وهى الفِدَاءُ لَهُ من الأَسْوَاءِ
وصل المطَيَّب مُعْرِباً عن طِيب من   أَهْداهُ مُكْتَئِبا من الأهداء
أَظْميْتَه مِنْ بَعْد مَا أَرْويتَهُ   بمُدامَةٍ فِيها دَوَاءُ الـدَّاءِ
ماكان أَشهرَ طِيبَةُ لوْ لم يكُنْ   متَستِّراً بالقِطْعة الغَــرَّاءِ
أَرْبَى عليه نظْمُكَ الحُلْوُ الحُلَى   فانحَطَّ بعد الرُّتبة العَلْياءِ
إن كان نَوْر الآسِ فى وَرَقاته   نُوراً بَدا فى لَيلةٍ ظلْماءِ
فَجمال خَلْقك حين ينظِم عقدَه   كالبدْر ينْظِم أَنجُم الجوْزاءِ

ومن المستحسَن المستغْرَب والمستطاب والمستعذب ما أنشدنيه لنفسه فيه صاحب الشُّرطة أبو بكر بن القوطيَّة وهو :

اما تَرى الرَّيحانَ أوراقُـهُ تلتفُّ تجعيداً ولا تَنْبسِطْ
دقيقَةُ اللِّمَّاتِ (١) فى رُؤسها كأنَّهُ أَسْوَدُ جعْدٌ قَطِطْ (٢)
وقد غَدا تنويـرُهُ جَوْهَـراً ففى الموامى والرُّبى يُلتقَطْ
حتَّى إذا مامَلّ مِن مكْثِه فى عُوده المُشرق فيه سقَطْ
منكَشِفاً عن ثَمرٍ أسوَدٍ كأنَّه من نَفْض حِبرٍ نُقِطْ

قَوْله : المَوامى جمْعُ مَوْماة وهى القَفْرُ ويُقال بَوْباة فيها أيضاً والرُّبى جمع رَبْوة وهو ماارتفع من الأرض .

ومن المُشْرِق جمالُهُ الموبِق كمالُهُ المعدومِ مثالُهُ ما أنْشدنيه لنَفْسِه أبو جعفر بن الأبَّار وهو :

وآسٍ كاسْمِهِ لِلْهَمِّ آسٍ تَتِيهُ به حُلَى الزَّمَنِ القَشيبِ
وأرسل كالغدائـر مُرْسَلات بها قَطَطٌ ونَمّ بكُلّ طِيبِ
وكُتِّمَ نَوْرُهُ فَبَـدَتْ لآلٍ مُدَحْرجةً لها عَرْفُ الحبيبِ
كأنَّ الصُّبْحَ شَقَّ به جُيوباً فَغادَرَ فيهِ أَزْرارَ الجُيوبِ
ونافَسَهُ الوَرى شَغَفاً وحُبًّا فَعُوِّدَ سُودَ حَبَّات القُلوبِ

هذا الوصْفُ مستَوْعِبٌ لجميع أحوال الآس لأنَّ نَوْرَهُ أوَّلاً مبْيَضٌّ ثمَّ يَسْوَدُّ .

وله أيضاً فيه وصْفٌ يوازى هذا ويضاهيه . وهو :

لا أيئس الآس هَامى السكب مدرار فَهْوَ الوفيُّ وكلُّ النَّوْرِ غدَّارُ

---

(١) اللِّمّة بالكسر : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٢) القطط : شدة جعودة الشعر .

تكادُ تُثمِر نفسُ الصَّبِّ من جَذل ... إذا بَدا ثَمَرٌ مِنْهُ ونُوَّارُ
كأنَّما أَلْبَسَتْهُ المزنُ خُضرَ حُلًى ... لها من المسكِ والكافورِ أزْرارُ

هذا ماوقع إلىَّ فى الآس وحين أكملْتُهُ أبدأُ بما ورد علىَّ فى الياسمين .

الياسمين (١)

قال أبو الوليد : أَبدَعُ ماقيل فيه وأَبْرَعُ ما شُبّه به وأرفعُ ما أَمَلَّ علىَّ لنفسه فيه ذو الوزارتَيْن القاضى حَرَس الله حَوْباءه وصانَ ذكاءَه وهو :

وياسميـنٍ حَسَنَ المَنْظَـرِ ... يفوقُ فى المرْآى وفى المخْبرِ(٢)
كأنَّهُ مِن فَوْقِ أَغْصانِهِ ... دراهمٌ فى مطرَفٍ أَخضرِ

قال أبو الوليد : هذا التَّشبيه معدوم الشَّبيه .

وممَّا يوازيه دِقَّةً ويضاهيه رِقَّة قوْلُهُ أملَّهُ علىَّ أبقاهُ الله وهو :

---

(١) الياسمين والياسمون إن شئت أعربته بالواو والياء ، وإن شئت جعلت الإعراب فى النون لغتان وحكى عن الأصمعى أنه قال فارسى معرب ، المعرب للجواليقى ٤٠٤ ، وأشار صاحب كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٦٠ إلى أنه الكلمة فارسية معربة ، وأشار ابن البيطار فى كتابه الجامع (٢٠١/٤) إلى أن منه الأبيض والأصفر والأزرق ، والأبيض أطيب رائحة ، وانظر النبات لأبى حنيفة الدينورى ص ٣٤٦ رقم ١١١٠ بتحقيق الدكتور محمد حميد الله .

(٢) البيتان فى الحلة السيراء (٣٨/٢) لمحمد بن إسماعيل بن عباد أبو القاسم وقد سبقت ترجمته .

وياسِمِينٍ حَسَنِ المجْتَلَى كأَنَّهُ فى قُضْبِهِ الضَّافيَهْ
زُمُـرُّد رُصِّعَ مَا بَيْنَـهُ مداهنٌ مِن فِضَّة صافيَهْ

وأَمَلَّ أَعَزَّهُ اللهُ وأحسن ذكراه علىَّ فيه لَهُ قِطْعَةً قوِيَّةَ الوصف سَرِيَّة الرَّصْفِ وهى :

سُبْحانَ مَن أَنشَأَ ذا الياسِمِينْ خَلْقاً بَديعاً لِلنُّهى والعُيُونْ
كأَنَّما الأَغْصانُ من تحْتِهِ والورقُ المخْضَوْضِرُ المُسْتَبِينْ
زُمُرّدٌ نُضِّدَ فَوْقَ الرُّبَى وهْو على أعْلاهُ دُرٌّ مَصُونْ
آياتُ صدْقٍ شاهِداتٌ بأَنْ لَيْس لِمَنْ أَبْدَعَها من قَرِينْ

وهذه التشبيهاتُ كلُّها ، والصفاتُ بأَسْرِها إنَّما هى فيه ، وهو فى شَجَرِهِ ، ولَوْ لم يكُن كذلك لم تشبَّهْ خُضرتُه ، وأكثرما وُصف فى هذه الحال . ولم يَقَعْ إلىَّ فى نُوَّاره مُفْرَداً إلَّا قَوْلُ أبى عُمَر الرَّمادىّ وهو من الصفات المطبوعة ، والتشبيهات البديعة :

أُنْظُرْ إلى رَوْضِ ياسِمِين لم يَرِدِ الوَرْدُ وهْو وارِدْ
كَأَنَّـهُ عِدَّةً وَلَوْنـاً أَكُفُّ حُور بلا سَواعدْ

وقال أَبو عُمَرَ أَحمد بن فرج (١) يصف بقاءَهُ ويُقرِّضُ وفاءَهُ :

ليس كالياسمين نَوْرُ الرياض هُوَ باق والنَّوْرُ أَجْمَع ماضِى
فاقْض بالفَضْل لِلْوَفاءِ على الغَدْ رِ تكُن إنْ حَكَمْتَ أَعْدَلَ قاضى

ومن السِّحْر الحلال ، المستَوْفى نهاية الكمال . قولُ ذى الوزارتَيْن أَبى عَمْرو عَبَّاد – أعزّه الله – وقد دَخَل بُستْاناً لِى اكتسبتُه من نَوافِل كَرَمِهِ وسوَابغ نِعَمِهِ . فَرأَى ياسِميناً فيه فقال بديهة :

---

(١) مضت ترجمته ...

كأنَّما ياسِمِينُنا الغَضُّ كَواكِبُ فى السَّماءِ تَبْيَضُّ (١)
والطُّرَقُ الحُمْرُ فى جَوانِبِه كَخَدِّ عَذْراءَ نالَهُ عَضُّ (٢)

شبَّه النَّوْرَ بالْكَواكِب ، وخُضرةَ وَرَقِه بخُضرةِ السَّماءِ ولم أسْمَع لأحَد قبلَهُ وصْفَ حُمْرتِهِ ، وهى تكثُرُ عند قلَّة الياسمين فى زمن الشتاءِ وتَقِلُّ عِنْد كَثرته .

وللوزير أبى عامرِ بن مَسْلَمةَ فيه وصْفٌ رائقٌ وتَشبيهٌ رائِعٌ وَصَلَهُ بِمَدْح ذِى الوزارَتَيْنِ المذكور – أعزَّهُ الله وأسبغَ عليه نعماه – وهو :

وذكىُّ العَرْف لَاقَانا على كُرْسِىّ ملْكِهْ
أرْضُهُ الخَضراءُ بَحْرٌ نَوْرُه فيه كَفُلْكِهْ (٣)
ياسِمِينٌ قَدْ غَدَتْ أنْوارُنا طَوْعاً لِمِلْكِهْ
طَوْعَ حُرّ الشِّعْرِ عَبًّا داً وقد أومى لِسِلْكِهْ
ماجدٌ يَنْقادُ مِنْهُ الْأَدَبُ الغَضّ لَمَلْكِهْ
مالُهُ يوقِنُ منْهُ ومُناوِيهِ بِهُلْكِهْ

ومن المعانى الدقيقة فى الألفاظ الأنيقة ما أنشدنيه لنفسه فيه الوزير الكاتب أبو الأصْبَغ بن عبد العزيز وهُو :

وياسِمِينٍ بِعَرْشِهِ أشْرَفْ عرَّفَهُ العَرْفُ قبْل أن يُعرفْ (٤)
تكامَلَ الطِّيبُ والجمالُ لَهُ فهْو مِنَ الفضل فوق أن يُوصفْ
كَأنَّما خَلْقُهُ البَديعُ إذا تَزاحَمَ النَّوْرُ قبْلَ أن يُقْطَفْ
سَرِيرُ مَلْكٍ عَلَيْهِ مُشْمَلَةٌ خَضراءُ والقُطْنُ فوقَها يُنْدفْ (٥)

---

(١) البيتان فى نهاية الأرب (٢٣٧/١١) للمعتمد بن عباد .

(٢) فى نهاية الأرب : بواطنه .

(٣) الفُلك بالضم : السفينة .

(٤) العَرْف : الريح طيبة أو منتنه ، وأكثر استعماله فى الريح الطيبة .

(٥) الشملة : كساء دون القطيفة يُشتمل به .

ومن التَّشْبيه السَّرِيّ والتَّمْثِيلِ السَّنِيّ قول الفقيه أبي الحَسَن بْن عَلِيّ وشبَّه مَجْلسَ الأُنْسِ بالحَرْب وهو :

وشَرْبٍ أَدْلَجوا (١) للأُنْسِ لَمَّا … أُصيغَ على يَدِ الشَّجَرِ الدِّمارُ(٢)
سَرَتْ بِهِمُ إلى ثَغْرِ التَّصابِى … رِكابٌ لا يُخافُ لَهَا عِثارُ
فَحَلُّوا آمِنِينَ على الأَمانى … فكانَ لهمْ مِنَ الشَّجَرِ انْتصارُ
عَرِيشُ الياسِمِينَ لهُمْ سَماءٌ … وخُضْرَةُ أَرْضِهِ لهُمُ قَرارُ
بِهِ حَجَفٌ مِنَ النُّوَّارِ بِيضٌ … مُفَضَّضَةٌ وأَرْماحٌ صِغارُ
فَوَجْهُ نَهارِهِمْ بالظِّلِّ لَيْلٌ … ولَيْلُهُمُ بأَنْجُمِهِ نهارُ
فإِن أُوحِشْتَ من شَمْسٍ تَبَدَّتْ … عَلَيْكَ بشمْس كُبْرها العُقارُ
وماشَهِدَ الكِرامُ وَغًى كَحرْبٍ … جِراحُ المُقْصِدينَ بِها جُبارُ

قولُه : جُبار أىْ لا دِيَةَ فيما ولا مطالَبَةَ بها . وقوله : به حَجَفٌ الحَجَفُ صغار التِّرَسَة . وأَرماحُ صغار يعنى النواويل المتعلّقة منه أوّلَ ما تبدو .

ومن الصفات السَّرِيَّةِ وصفُ صاحب الشُّرطة أبي بكر بن القوطية وهو :

وأَبْيَض ناصع صافِى الأديمِ … تَطَلَّعَ فَوْقَ مُخْضَرٍّ بَهِيمِ (٣)
نَزِيهُ النَّفْسِ هِمَّتُهُ المَعالى … ذكىُّ العَرْفِ مِسْكىّ الأَديمِ
فَلَسْتَ تراهُ إِلَّا عِنْد مَلْكٍ … وإِلَّا عِنْدَ خاصّىٍّ كَرِيمِ
شَأَى (٤) النَّوَّارَ فارْتَفعَ اعتِراشاً … عَلَيه كَهَيْئَةِ المَلِك العَظِيمِ
كأَنّ ثمارَه المجْنِيُّ منها … سماءٌ قد تَحلّتْ بالنجُومِ

---

(١) الشَّرْب ، مصدر : أى القوم الذين يشربون ، وأدلجوا : من الإدلاج وهو السير من أول الليل .

(٢) من الذَّمْر : الملامة والحض والتهديد .

(٣) البهيم : الأسود .

(٤) من الشأو : وهو السبق .

وأنشدنى لنفسه فيه أبو علىّ إدريس بن اليَمَانِىّ (١) قطعةً حسنة التشبيه وهى :

أَميرُ النَّوْرِ يأْمُرُنِى بِشَرْبٍ ولستُ أُطيقُ عِصْيانَ الأَميرِ
فَخُذ كأْسَ السُّرورِ فَسَقِّنيها على وُدّ الأَميرِ على السَّريرِ
نُجُومٌ مِنْ لُجَيْنٍ تَجْتَليها سَماءُ زَبَرْجَدٍ خَضِلٍ نَضِيرِ
تَزيدُ على الأَقاحى فى ابْتِسامٍ كما زادَ الكَبِيرُ على الصَّغِيرِ
ويَنْخفِضُ الشَّذَا المسكىّ عنها كما انخفضَ الصغيرُ عن الكبيرِ

قال أبو الوليد : هذا ماوقع إلىّ فى الياسمين البُستانىّ ، وعثَرتُ على قِطَعٍ فى الياسمين البرّىّ ، وهو الظَّيَّان (٢) ، وليس يَبْقى مُدّة العام إنَّما هو ربيعِىٌّ ولكن قدمتُهُ على الربيعيّةِ لتَسمِّيه باسْمِ المتقدِّم وانتِسابِهِ بِهِ فوصلْتُ ذكْرَهُ بذكرِهِ . وما قيل فيه ممَّا قيل فيه مع أَنَّ وصْفَهُ لم يكْثُر ،

---

(١) هو أبو على إدريس بن اليمانى العَبْدَرى شاعر وعالم جليل ينتجع الملوك ، وله مدائح كثيرة فى ملوك الطوائف أطال الإقامة فى جزيرة ريابسة حتى نسب إليها ، قال عنه ابن بسام : صار شعره سمير النادى ، ومقلة الحاوى ، وتمثل به الحاضر والبادى . الذخيرة القسم الثالث المجلد الأول ٣٣٦ ، وجذوة المقتبس ١٧٠ رقم ٣١٣ ، وبغية الملتمس ٢٢٢ رقم ٥٦٠ ، والمغرب (٤٠/١) ونفح الطيب (٥٧/٤ ، ١٥٦) ورايات المبرزين ١٢٦ والحلة السيراء (١٨٤/٢ ، ١٨٥) .

(٢) الظّيّان : قال أبو حنيفة فى كتابه النبات ص ١١٦ رقم ٦٧٦ بتحقيق محمد حميد الله (ومن الشجر الذى نوره ريحان ويربب به الدهن بأرض العرب ، الضيّان : وهو الياسمين البرى ويسمى السجلاط ، وأورد شاهداً لأبى ذؤيب الهذلى وهو قوله :

تالله لا يعجز الأيام ذو حيد بمشمخر به الظيّان والآس

وقال عنه ابن البيطار فى الجامع (١١٤/٣) هو نبات ينبت فى البرارى ... وكأنه ضرب من الليلاب يلتف بعضه ببعض وله زهر ياسمينى الشكل صغير ورقه .

وذِكْرَه لم يتكَرَّرْ ، فليس يَحْتَمِلُ إفراداً ، وإنَّما يجبُ أن يكونَ لهذا تبعاً ، وخَلْقُ شجره ونَوْرِهِ كخَلقِ البستانى إلا أنَّ نَورَه أصفر .

فمِن أطْبَعِ ماقيل فيه وأبدعِهِ وأعْلَى ماشُبِّهَ بِهِ وأرفَعِهِ أبياتٌ لذى الوزارَتَيْن القاضى الجليل المنقطع المثيل أمَلَّها علىَّ وهى :

ترى ناضِرَ الظَّيَّانِ فوقَ غُصونِه إذا هو مِن ماءِ السَّحائب يغْتذى(١)
وحَفَّتْ بِهِ أوراقُهُ فى رِياضِهِ وقد قُدَّ بعضٌ مثل بعض وقد حُذِى
كصُفرٍ من الياقوت يلْمعْن بالضُّحى مُنضَّدة من فوق قُضْب الزبرجد(٢)

وله - أَعلَى اللّهُ ذكرَه وأيَّد أَمرَه - فى صُفْرَتِه خاصَّةً تشبيهٌ بديعٌ وتمثيل رفيعٌ أملَّهُ عَلىَّ وهو :

كأنَّ لوْنَ الظَّيَّان حين بَدا نُوَّارُه أَصْفراً على وَرَقِهْ(٣)
لَوْنُ محبٍّ جَفاه ذو مَلَلٍ فاصفَرَّ من سُقْمِه ومن أَرَقِهْ

وأَنشدَنى فيه لنفسه الوزير الكاتب أبو الإصْبَغ بن عبد العزيز أَبياتاً مُعْجبَةً تضمَّنَتْ أَوْصافاً مغربة وهى :

فضائِلُ الظَّيَّـان مَعْرُوفَـةٌ تَرُوقُ فى المنظَرِ والخُبْرِ
فاقَ النَّواويرَ معـاً أَنَّـهُ مُنَـزَّهٌ يأْوِى إلى البَـرِّ
وإنَّهُ يَأْنَفُ أن يُقْتَنَـى على سبِيل المِلْكِ والقَسْرِ
فآثَر الصَّحْراءَ مُستـأْنساً فى لَيْلِهِ بالأَنْجُمِ الزُّهْرِ

---

(١) الأبيات فى الحلة السيراء (٢/٣٩) لمحمد بن إسماعيل بن عباد ، ورواية البيت الأول فى الحله السيراء :

ترى ناظر الظيّان فى لون إذا مر ماء السحائب يغتذى

ويبدو أن هذه الرواية مختلة وزنا .

(٢) فى الحلة : الزمرد .

(٣) البيتان فى الحلة السيراء (٢/٣٩) .

مَتى تَزرْهُ تَلْقَ مِن عَرْفِهِ ماشئْتَ من طِيبٍ ومن عِطْرِ
أَبْــرادُهُ خُضرٌ ولكنَّهــــا مخْصُوصَةٌ باللبَـنِ الصُّفْـرِ

وللفقيه أَبى الحَسن بن علىٍّ فيه وصْفٌ رائعٌ وتشْبِيهٌ بارِعٌ فى قطعةٍ موْصولة بمَدحِ ذِى الوزارتَين القاضى وهى :

إِذا نَوَّرَ الظَّيَّانُ فى خُضرِ قُضْبه وراحَ بثوْب من دُجَى الرِّىّ قد حُذِى(١)
أَفادَكَ من صُفْرِ اليَوَاقيتِ أَنجُماً لهُ طالِعاتٍ فى سَماءِ زُمُرُّدِ
كأَنَّ سَنَاهُ فى الرِّياضِ وحُسْنه بِحُسْنِ ابْنِ عبَّادٍ وريَّاهُ مُحْتذِى

قال أبو الوليد :

وحين أُوردتُ ماوقع إِلىَّ فى الآس ، والياسمين من بديع الشِّعْرِ الموزون نذكُر الأنوار على أَزمنتها ، ونبدأ بالأَوَّل منها ، وهو نَوْرُ البهار .

البَهار (٢)

وقال أبو الوَلِيد : ويُسمَّى البَهارُ النَّرْجِسَ ، وأَكْثر أَشْعار المَشْرِقِيِّين اسْمه فيها النَّرجسُ ، وأَمَّا الأندلُسيِّين فاستعمَلوا الاسْمَيْن وذكَروا اللُّغَتيْنِ .

---

(١) من الحذّ : القطع والجذّ .

(٢) فى الجامع لابن البيطار (١٢١/١) البهار : هو الأقحوان الأصفر عند بعض الناس والذى تعرفه شجارونا بالأندلس بالمقازجة ، وبالبربرية إملال ، وعامتنا ببلاد الأندلس أيضاً تسميه خبز الغراب ، ونقل عن ديسقوريدوس مايفيد أن البهار نبات له ساق رخصة وورق شبيه بورق الرازيانج وزهر أصفر أكبر من زهر البابونج شبيه بالعيون ولذلك سمى بهذا الاسم .

فمِن أبدَعِ تشبيهٍ وقع إلىَّ فيه قول أحمد بْن هِشام بْن عبد العزيز ابن سعيد الخَيْر بن الإمام الحَكَم وقد بَعَثَ به إلى الإمامِ عبد الرَّحمن النَّاصر لدين الله (١) وهو :

يامِلِيكاً من المُلُوكِ مُصَفَّى ... والَّذِى جَلَّ أَنْ يُحَدَّدَ وصْفَا
عبدك الشاكر المؤمل أَهْدَى ... نَرجِساً كالعَبِير نشْراً وعَرْفَا
كُلَّما فاحَ نَشْرُه قُلْتَ إلْفٌ ... فى دُجى اللَّيْل عاطِرٌ زارَ إلْفَا
وإذا ما لَحظْتَهُ قُلْتَ ألحا ... ظُ خَلِيع قد مالَ سُكْراً فأَغْفَى
منهُ مثْلُ الإبْريزِ فى صُفْرة اللَّو ... نِ ومنهُ مثْلُ الجُمانِ المُصَفَّى (٢)
فكأنِّى بِما أُقَلِّبُ منهُ ... صَيْرفِىٌّ أضحى يُحاوِلُ صَرْفَا

وقَوْل إسْمعيلَ بن بَدْرٍ (٣) وهو حَلَالٌ من السِّحْرِ :

أُهْدِى إليكَ من النَّوَّارِ أَحسَنَهُ ... قد ضَلَّ فى وصْفه من قبلِىَ النَّاسُ
كأنَّها نُقَرٌ من فضَّةٍ وُضِعَتْ ... فيها من الذَّهَب الإبْريز أَكْوَاسُ
علَى الزُّمُرُّدِ قامَتْ عنْدَ منْبَتِها ... فى كُلِّ نُوَّارةٍ مفْتُوحة كَاسُ

وقال الحَاجب أبو الحَسن جعْفَر بن عُثْمان المُصْحَفِىّ (٤) يصفُهُ بألْفاظٍ رطْبَة ومعان عَذْبَة وأشار فى أَوَّلِ بيْتٍ إلى مَمْدُوحٍ لم يُسَمِّهِ وهى :

بِنفسِى وأَهْلِى طالعٌ خِلْتُ أَنَّهُ ... بأَخلَاقِ معْشُوقِ العُلَى يَتخَلَّقُ

---

(١) هو أبو مطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وانظر ترجمته فى المغرب (١/ ١٨١) والحلة السيراء (١/ ١٩٧) .

(٢) يقال ذهب إبريز ، وإبريزى : خالص .

(٣) هو أبو بكر إسماعيل بن بدر بن إسماعيل شاعر أديب مشهور كان فى أيام عبد الرحمن الناصر أثيراً عنده . جذوة المقتبس ١٦٣ رقم ٣٠٠ ، وبغية الملتمس ٢١٥ رقم ٥٤٣ .

(٤) مضت ترجمته ...

حكى الفضَّةَ البيضاءَ والتِّبْرَ منظَراً ولَكِنَّه بالنَّفْسِ أَلْطَى وأَعْلَقُ(١)
فَصيحٌ إذا استَنْطَقْتَه عن زمانه وماخلْتُ أن النَّوْر من قبلُ يُنطِقُ
يَبُثُّكَ أنفاسَ الحَبيبِ وإنَّها لَأَذكى من المِسكِ الذكِيِّ وأَعْبَقُ
أتانا على عَهْدِ الشِّتاءِ مُبَشِّراً بعهد يَرُوقُ النَّاظِرين ويُونِقُ

وقال أبو عُمَرَ أحمد بن فَرَج وقيلَ أُخُوه عبد الله يصفه :

ونرجِس تظْرِفُ أَجْفانُـه كَمُقْلَةٍ قد دَبَّ فيها الوَسَنْ(٢)
كأَنَّهُ مِن صُفْرَةٍ عاشِقٌ يَلْبَسُ لِلْبَيْن ثِيابَ الحَزَنْ

قال أبو الوليد : جَرَى فى « ثياب الحُزْن » على مذهب الأنْدلُسِ إذ ثيابُ حُزنِهم بِيضٌ . وهو تشبيهٌ بديعٌ وتمثيلٌ رفيعٌ ومعنًى مطبوع .

ومن التشبيهات العُقْمِ التى تدُلُّ على يقَظة الفَهْم قول ابن القُرَشيَّة عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله — رضِيَ الله عنْهُم — وهو (٣) :

كأَنَّ الثَّرى سِتْرٌ تَمُدُّ خلالَهُ بأَكواس راحٍ راحَهُنَّ الكواعبُ(٤)
يُسَتِّرنَ من فَرْطِ الحياءِ مَعاصِماً بأَكْمامِهِنَّ الخُضرِ عمَّن يراقِبُ

جَعَل قُضْبَه الخُضرَ معاصِم مستورةً بأكمام خُضر ، وجعل أكفَّها مُبْيَضَّة وكُؤُوسَها مُصْفَرَّةً .

وأَنْشدنى الفقيه أبو الحسن بن علىّ الأشجعى النحوىّ يصف بَهاراً أَخْرجَه إلَيه أحدُ بنِى بَخْتٍ ، وسأَله وصْفَه . فقال على البديهة :

ما للْبَهار نَظيرٌ فى النَّواوير إذْ صار أوَّلَ مَخْصوصٍ بتبكِيرِ

---

(١) ألطى : ألصق .
(٢) الوسن : شدة النوم ، أو أوله ، أو النُعاس .
(٣) مضت ترجمته . . .
(٤) البيتان فى الحلة السيراء (١/ ٢١١) .

أَما ترى الصَّبَّ والمعشُوقَ قد جُمعا ··· فى لونه بيْن تَبْييضٍ وتصفِيرِ
كأنَّما رقَّ للعُشَّاق منظرُهُ ··· فَعجَّل النَّوْرَ من بيْن النَّواويرِ
أَحْبِبْ به فَلَقَدْ أَنْبا بطَلْعَتِهِ ··· عن السُّرورِ وإِتْمامِ التَّباشِيرِ

وكتب الوزير الكاتب أبو مَرْوَان بن الجزيرى (١) إلى المنصور أبى عامر بن أبى عامر وهو بأَرْمِلَّاطٍ عن بَهار العامريَّة فى كانون الأوَّل الكائن فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة :

بسم الله الرحمن الرحيم – أَطالَ اللهُ بقاءَ المَنْصُور مَوْلَاىَ وأَدامَ عزَّهُ ، وهنَّأَهُ سروره ، وسوَّغَهُ نِعَمَه عنده – إنى – أَيَّد الله المنصورَ مولاىَ – لما اسْتَقَلَّتْ بِزَهْرتها مائِلَةُ قُضُبى وتَنَبَّهَتْ من سِنَتِها نائِمة جُفُونِى ، ونَمَّتْ (٢) بعِطْرِها ساطعةُ روائِحِي ، وافْترشْتُ ديباجَ حديقةٍ بكْرٍ وَسْمِيّها (٣) ، وتتابَع ولِيّها . فالتقَى ثَرياها ، وأَخذَت الأَرضُ زُخْرُفَها وازَّيَّنَتْ ، وطاب صعِيدُها حتى كان ترابَها فَتِيتُ المِسكِ ، أو سَحِيقُ الكافور عَنَّ لِى زهْوٌ بِحُسْنِى ، وارتياحٌ لحالِى ، وإعجابٌ بمكانى ، وشاركَتْ ذلِك دواعِى هزَّةِ الشَّوْقِ إِلَيك ، وشَواجِى لوعَة البعْد عَنْكَ حِين فارقْتَ محَلّى ، وآثرْت بالزيارة غيْرى فَحرَّكْنَ منّى ساكناً ، وبعثْن لِى على مُناجاة الشِّعْر خاطِراً . فأَجابَنِى منه ماضمَّنْتُهُ غرائب وصفِى وأُهديْته إلى مولَاى مع محاسِنِ شَخْصى الذى هو غَرْسُ همَّتِه وابْن نعمَتِه لعلَّ فعْلِى أَن يوافِق منه قبولاً ، ويَقْسِم لى منْ حسن تذكُّرِهِ نصيباً بواسع تَفَضُّلِه وسابغ تطَوُّله ، وكريمِ تجاوُرِهِ . والشعر :

---

(١) مضت ترجمته .. .
(٢) يقال نم المسك : سطع وظهر ريحه .
(٣) الوَسْمِيُّ : مطر الربيع الأوّل .

حدَقُ الحِسان تقرُّ لى وتغارُ ... وتضِلُّ فى صفَةِ النُّهى وتحارُ(١)
طَلعت على قضُبى عُيون كمائمى ... مثْل العُيون تحَفُّها الأَشْفَارُ(٢)
وأخصُّ شيءٍ بى إذا شبَّهتنى ... دُرَرٌ تنطَّق سلْكَها دِينارُ
أَهدَت له قُضُبُ الزُّمُرُّدِ ساقَه ... وحَباه أَنفس عِطْرِه العَطَّارُ
أَنا نرجِسٌ حقًّا بَهَرْت عُقُولَهم ... ببديع تَرْكِيبى فَقيل بَهارُ
إنِّى لَمِن زمنِ الربيع تَرُبُّنى ... قِطَعِ الرِّياضِ وتُلْقِح الأَمْطارُ(٣)
فأكون عطْراً للأُنوفِ ومنْظَراً ... بهِجاً تهافَتُ نحْوَه الأَبْصارُ
وتحِيَّة بيْن النِّدَامِ تُحَثُّ لِى ... نُخَبُ الكؤُوس وتنطِق الأَوْتارُ
وأَقلُّ جُودِ العامِرِىُّ مُحمَّدٍ ... أَلْفٌ حكَتْ حدقَى وتلك نُضارُ
عشْرٌ تُعدُّ من المئِين لأنمُلٍ ... عَشْرٍ يُصَرِّفُها وهُنَّ بِحارُ

قولُهُ : أَلْفٌ حكَتْ إنَّما أَنَّثَ الأَلْفَ لصَرْفِها إلى الدراهم .

وأَمَّا الألف فمُذكَّرٌ . ولا نحتاجُ إلى ذِكرِ أَكْثَرَ مِنْ هذا من المَدْحِ كما لا يحتاج إلى إطرَاءِ النَّظْمْ والنَّثْرِ بأَكْثَرَ مِنْ أَنهما حلالٌ فى السِّحْرِ .

ومن الحَسَنِ السَّرىّ قول أبى عُمَرَ القَسْطَلِّىّ (٤) يصفه فى قطعة موصولة بِمدْحِ المظفَّر بن أبى عامر (٥) . وهى :

دُعِيتَ فأَصْغِ لداعى الطَّربْ ... وطاب لك الدَّهر فاشْرَب وطِبْ(٦)

---

(١) الأبيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) فى نفح الطيب (٥٣١/١) وفى الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٨ .

(٢) الشفر : أصل منبت الشعر فى الجفن .

(٣) تربنى : تملكنى ، أمن ربيت الأمر أربه ربا وربابة : أصلحته ، أومن ربيت الدهن طيبته أو غذوته بالياسمين أو بعض الرياحين .

(٤) مضت ترجمته .. .

(٥) انظر المغرب (٣٠٠/٢) .

(٦) الأبيات فى ديوان ابن دراج القسطلى ٣٧ ، ٣٨ .

وهذا بشِير الربيع الجَديِد ... يُبشّرنا أنّهُ قد قَرُبْ
بَهارٌ يَروقُ بمسكٍ ذكِيّ ... وصُنْعٍ بديعٍ وخَلْقٍ عَجَبْ
غُصون الزُّمرد قد أُورقتْ ... لنا فضَّةً نَوَّرتْ بالذَّهَبْ(١)
إذا جُمِعتْ فى حِبالِ الحرير ... وقامتْ أمامَكَ مثلَ اللُّعَبْ
فمِن حقِّها أن تَرى الشَّاربِين ... وقد نَفَقَتْ سُوقُهم بالنُّخبْ
وأن يَسألوا اللهَ طُولَ البقَاء ... لِعبْد المليكِ مليك العربْ
فلَولا مجالسُهُ لم تَرُقْ ... ولوْلَا شَمائِلُهُ لم تَطِبْ(٢)

وأنْشدنِى الفقيه أبو الحسن بنُ عَلىّ للفقيه أبى عُثْمان بن البرّ قريبِهِ :

أَلَا سقِّنى رَوْح النُّفوس وأُنْسَها ... ولَيِّنْ بماءِ المُزْنِ فى المزْجِ مَسَّها
وشعشعْ لنا شمس الشَّمول ببَدرِها ... وأَجْرِ عَلَيْنا بالمسرَّة كأْسَها(٣)
فأنتَ تَرى أقْمارَ نَرجس روضِنا ... خِلاف السَّماويَّاتِ جاوزْنَ شمْسَها
محاسِنُ لو وافت أخا العِىّ باقِلًا ... إذاً بَزَّ سَحْبانَ البَرايا وقُسَّها(٤)

---

(١) فى الديوان : الزبرجد .

(٢) فى الديوان : محاسنه .

(٣) الشمول : من أسماء الخمر .

(٤) باقل : يضرب به المثل فى العيى فيقال (إنه لاعيا من باقل) وهو من بنى إياد وقيل من بنى مازن ، وسحبان وائل من أشهر خطباء العرب فصاحة وبلاغة وبيانا ، وهو من وائل باهلة ، وأول من آمن بالبعث فى الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا من العرب ، وأول من قال « أما بعد » وعمر مائة وثمانين سنة ، وانظر فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، وقس : هو قس بن ساعدة الإيادى : أحد حكماء العرب المشهورين وخطبائهم البارزين فى الجاهلية .

وأَنْشدَنى لنفْسِهِ فيه الوزير أبو عامر بن مسلمة قِطْعَةً غريبةَ التَّشْبِيهات عجيبة الصفات وهى :

قد جاءَنا رائدُ الرَّبيعِ بِمنظَر رائِق بَديعِ
هو البَهارُ الَّذى تعلَّى وجلَّ فى حُسنِهِ الرَّفيع
كأنَّهُ مُقْلَةٌ تَشكَّى إلى الحيا قِلَّةَ الهُجُوعِ
أكُفُّ كافُورةٍ قد أوْمتْ بِكأْسِ تِبْرٍ إلى الرَّبيعِ
أوْ شُعلة النَّارِ وسْطَ ماءٍ جُسّدَ من ثَوبه النَّصُوعِ

وله فيه قطعةٌ تُوازِى هذه جمالاً وتُضاهيها كمالاً كتب بها إِلَى أَبى — وقاهُ اللهُ بى — وبعث معها بَهاراً مُبكِّراً :

أَيَا ماجِداً لم يَزَلْ جُودُهُ يلُوحُ كما لاحَ ضوْءُ النَّهارِ
ويا مَن أحلَّ بأمْوَالِهِ سَماحاً أخَلَّ بصوْبِ القطارِ (١)
بعثتُ إِليك بِنْور البَهارِ حكَى فِضَّةً حوْلَ محضِ النُّضَارِ (٢)
هُو الدّرّ نُظِّمَ مِن بَيْنِه يَواقِيتُ فاقِعةُ الاصْفِرارِ
أوِ الماءُ صُيّرَ مِنْ فوْقِهِ إذَا مَا تأمَّلْتَهُ ضَوْءَ نَارِ
نَهارٌ ولكِنَّهُ بَاهِرٌ فعُوِّضَ مِنْ ذاك باسْمِ البَهارِ
كما بَهَرتْ مِنْكَ سِيما العُلَى فألْبستِ البدْرَ ثَوْبَ السِّرارِ
بَقِيتَ وَوقِّيتَ صرْفَ الرّدَى فإنَّكَ فى كلّ أمر مُدارِى

ومما يُسْتَحْسَنُ فيه وتُسْتَغْرَبُ معانيهِ قولُ صاحبُ الشُّرطَةِ أبى بكرٍ ابْن القوطيَّة وهو :

زُمُرُّدٌ أورقَتْ أغْصانُهُ دُرَرَا فَراحَ كالرَّاحةِ البيضاءِ منْفَطِرا (٣)

---

(١) القطار : المطر .
(٢) النضار : الذهب أو الفضة ، أو الجوهر الخالص من التبر .
(٣) الفَطْر : الشق .

يُقلُّ ياقوتَةً صَفْراءَ فاقِعَةً كأَنها التّبرُ من فوق اللُّجين جرى
هُو النَّهارُ ولكن رَدَّ نُقطَتَهُ مكِيدَةً تحْتَهُ النُّوَّارُ إذْ وَغُرا (١)
ثُمَّتْ دَعاهُ بَهاراً كىْ يُهَجِّنَهُ وقد حوى قَصبات السَّبقِ إذ بَهَرا
كَمُقْلَةٍ دَبَّ فى أَجْفانِها وسَنٌ فَدَنَّقَت غير أن لم يدر طعْمَ كرى

وأَهدى صاحِبُ الشُّرطة أبو بكر المذكور مُطَيَّب بهارٍ إلى الوزير أَبى عامر بن مسلمة وكتب معه أَبياتاً رائِقة السِّمات فائِقة الصفات . وهى :

قُلْ لِرَيحانَةِ العُلَا والمكارِمْ والكريم النّجّار وابْنِ الأَكارِمْ
قَدْ بَعَثْنا إِلَيْكَ ياخَيْرَ ناشٍ بالدَّنانِيرِ فَوْقَ مَحْضِ الدَّراهِمْ
لم يَسُسْ طَبْعَ هذِهِ جعْفَرٌ قَـــطُّ ولا ضرْبَ تلك راحةُ قاسِمْ
بِبَهار حَكَى جَمالَكَ حُسْناً وحكى عَرْفَكَ الذَّكىَّ لِناسِمْ(٢)
يَتَشَكَّى الظما وفى يَدِك الرّ ىُّ فَإِنْ لم تُروّهِ كُنْتَ ظالِمْ
دُمْتَ للمِهْرَجانِ والعيدِ والنَّيْـــرُوزِ إِلْفاً مِنَ الحوادِثِ سالِمْ(٣)

فجاوبه الوزيرُ أَبو عامِرِ بْن مسلمة بديهة بأَبْياتٍ تشاكلها براعة وتُشابِهُها بزاعة . وهى :

(١) من الوغر : الحقد والضّغْن ، والعداوة ، والتومد من الغيظ .

(٢) الناسم : الذى يتنفس ويشم ، وهو أيضاً المريض أشفى على الموت .

(٣) المهرجان : من الفارسى المعرب وهو عيد الفرس مركب من مِهْر بمعنى المحبة ومن كان بمعنى المتصلة ، انظر الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٧ ، والنيروز : أول يوم من السنة الشمسية فارسيته نَوْرُور ، ومعناه يوم جديد ، الألفاظ الفارسية المعربة ١٥١ .

فى النّرجس الغضّ شبهٌ لاخفاءَبه لِلنَّيرَيْن يُرى فى طالع الزّهَرِ(١)
فصُفرةُ الشّمس قد ردَّته صُفرتَها وقُدَّ مُبْيَضُّهُ مِن صفْحةِ القَمرِ
كَأَنَّ ياقوتَةً صَفْراءَ قد طُبِعتْ فى غُصنه حوْلَهُ ستٌّ من الدّرَرِ
حُسْنٌ يَدُلُّ على إتْقانِ صانِعِهِ سُبحانه مبدِعِ الأخلاق والصُّوَرِ

ولهُ أَيضاً فيه قِطْعَةٌ موصولةٌ بمدْحِ ذى الوزارتَيْن القاضى أطال الله عُمْرَه ، كما أَطاب ذِكْرهُ — وهى :

أَرى فى البَهارِ النَّرجسِيّ تَلأْلُؤا عُيونُ الورى مشْغوفَةٌ بالتِماحِهِ
كأَنَّ الرّياضَ الخضرَ صُغنَ لباسَهُ بِشَكْلَيْنِ مِن ماءِ الغَمامِ وراحِهِ
أَو الدهر رَدّاهُ سروراً بشخصه رِداءَيْنِ مِنْ إسْفارِهِ وصَباحِهِ(٢)
فَحُلَّتُهُ فى لَوْنِها ذَهَبِيَّةٌ وفِضّيَّةٌ أَثْناءَ عَقْدِ وشاحِهِ
جمالٌ بِهِ حَلَّ الرَّبيعُ عَرارَهُ ومنْه كَسى لاشَكَّ نور أَقاحِهِ(٣)
كما قد تحَلَّى الدَّهرُ من بعد عُطلةٍ بجُودِ ابْنِ عبَّاد وفَضْلِ سَماحِهِ
بِهِ نِيلَتِ الآمالُ فى كُل بُغْيَةٍ وبُوشر بُرْدُ الأَمْنِ تحْت جناحِهِ

ومِنَ البديع المختار فيه ما أَنْشَدَنِيهِ لنفسه أَبو جعْفَرٍ بن الأَبَّار وهو :

أَما ترى الرَّوضَ راضاهُ الحيا فَبدا للنَّرجس الغضّ فيه لحظُ مبْهوتِ

---

(١) البيت الثالث فى نهاية الأرب (١١/٢٣٢) لشاعر أندلسى قبله بيت هو :
انظر إلى نرجس فى روضة أنف غناء قد جمعت شتى من الزهر
(٢) يقال : رَدَّت الجارية : توشحت ولبست الرداء كارتدت .
(٣) العرار : هو بهار البر طيب الريح شديد الصفرة واسع النور ، وفيه قول الصمة المشهور .
تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
انظر النبات لأبى حنيفة الدينورى ١٢٧ بتحقيق الدكتور محمد حميد الله .

مِثْلَ العيونِ رنَت أشفارُها دُررٌ لكِنْ أناسِيّها صُفْرُ الْيَواقِيتِ
الأناسىّ جمعُ إنْسان وهو ناظِرُ العَيْنِ وحدقَتُها .

البنفسج

وأنشدنى فيه لنفسه أبو علىّ إدريس بْن اليَمانِىّ (١) بَيْتَيْن سابقين .

[وقال] (٢) أَبو القاسم بن هانئ الأندلسىّ :

بنْفسجٌ جُمِعَت أنْوارُهُ فحكتْ كُحلًا تشَرَّبَ دَمْعاً يوْم تَشتيتِ(٣)

---

(١) أبو على إدريس بن اليمانى فضت ترجمته ... ، والبيتان السابقان هما :
شَهِدت لنوار البنفسج ألسن من لونه الأحوى ومن إيناعه
بمشابه الشَّعَر الأثيث أعاره قمر الجبين الصَّلْت نور شعاعه
وقد سبقا مع أبيات أخرى ص ٨٢
(٢) زيادة لم ترد فى الأصل .
(٣) لم أجد الأبيات فى ديوان ابن هانئ ، وقد وردت لابن الرومى فى ديوانه (٣٩٤/١) مع اختلاف فى بعض الألفاظ وروايتها :
بنفسج جمعت أوراقه فحكى كحلاً تشرب دمعاً يوم تشتيت
ولازوردية تزهو بزرقتها وسط الرياض على حمر اليواقيت
كأنها وضعاف القضب تحملها أوائل النار فى أطراف كبريت
ومنها بيتان وردا فى ديوان ابن المعتز (١٦٨/٢) وهما :
ولازورديـــة أوفت بزرقتها بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات ضَعُفن بها أوائل النار فى أطرف كبريت
ولازوردية : من الفارسى المعرب : معدن مشهور وانظر الألفاظ الفارسية المعربة ١٤١ .

أَوْ لَازَوَرْدِيَّة أَرْبت بزرقتها وسْط الرّياض علي زُرق اليواقيتِ
كأنَّ قُضْبانَهُ والرِّيحُ تحْمِلُها أَوائل النارِ فى أَطراف كِبريتِ

وللوزير الكاتب أَبى الأَصْبَغ بن عبد العزيز فيه قِطْعةٌ أَغْيَتْ فى الجمال فأَعْيَتْ أَهْلَ الكمال موصولة بمدْح الحاجِبِ – حَجبَهُ الله عن النَّوائب – وهي :

وبَنَفْسِجٍ أَرْبَى على النُّوَّارِ وأَفادَنا عِطْراً بِلَا عَطَّارِ
فكأَنَّما أَعْلاهُ فى فيرُوزَجٍ (١) وبِساطُهُ فى خُضْرةِ الأَشْجارِ
وافاكَ فى وقْتِ الزّيارَةِ قائماً وقد انحنَى للوَحْىِ بالأَسرارِ
هُو مِسْكَةٌ خُلِقتْ لها أَوْراقُها فى لَوْنِها من صَنْعة الجبَّارِ
أَو رقْعةٌ زَرْقاءُ مِن كبِدِ السَّما فى يَومِ صحْوٍ فِتْنةُ النُّظّارِ
أَو لمَّة الحسْناءِ تَحْسِبُ وسْطَها للزَّعْفَرَانِ مواضِعَ الآثارِ
أَو لُجَةٌ كحلاَءُ هزَّتْها الصَّبا فتَكسَّرتْ ليناً على مقْدارِ
أَو دِرْعُ حاجبنا أَتتْهُ صقِيلَةً وقِدِ انبْرَى للْفَتْكِ بالكُفَّارِ
ملكٌ قُلوبُ الأُسْدِ بيْن ضُلوعِه وبِوجْهِه قمرٌ من الأقمارِ
فإذا سَطا فالصُّبْحُ داجٍ مُظلِمٌ وإذا عَفَا فاللَّيْلُ فى إسْفارِ

ومن المعانى الجزلة فى الكلمات العذبة ما أَنْشدَنِى لنفسه فيه أبو عامر بن مسلمة وكتب به إلى ذى الوزارتيْن أَبى أَيُّوب بن عبّاد – أبقاه الله – فى زمن البنفسج . وهو :

يامَن تَحلَّى بِهِ الفَخْـ ـرُ والسَّنَـاءُ يُتَـوَّجْ
ومَـن بِجُـودِ يَدَيْـهِ بابُ الغنا غيْرُ مُرْتَـجْ (٢)

---

(١) الفيروزج : حجر كريم وهو المعروف بالفيروز تعريب بيروز وأصل معناه المبارك : الألفاظ الفارسية المعربة ١٢٢ .

(٢) من رتج الباب : أغلقه .

وَمَـن بِطِـيبِ ثَنَـاهُ نارُ العُـلَا تَتأَجَّـج
إذا انـتَشَيْتَ فَعَـرِّجْ عَلَى رِيَاضِ البَنَفْسجْ
تجدْ بهِ روْضَ حُسْن فى ثَوبِ أرْضٍ مُدَبَّجْ (١)
فثَمَّ فاعْكـفْ وباكِـرْ مُدامَـةً تَتوهَّـجْ
تَرى زمـرُّدَأرض مِنـهُ اليَواقِـيتُ تُنْتَـجْ
كأنَّـهُ لُجَّـة الْبَحْـرِ غَاصَ فيها مُلَجِّجْ (٢)
فأخـرَجَ الـزّرقَ لكـن بغيْرِهـا لم يُعَـرِّجْ
حَكى حُسامَ أبى أيُّـوب المُـتَضَرِّجْ

وأنْشدَنى لِنَفْسه فيه الفقيهُ أبو الحسن بْنُ علىّ أحْسنَ ابْتداع وأغْربَ اخْتِراع موصولا بمدح ذى الوزارتَيْن أبى عَمْرو عبّاد – أدام الله عزّته ووصل حرمته – وهو :

أَلا حبَّذا المحبوبُ نَوْر البنَفْسجِ وأَحْبِبْ بمرآهُ البَدِيعِ وأبْهجِ
حياةٌ ورَوْحٌ لِلْعليلِ نَسِيمُهُ ومنْظرُهُ أُنْسُ المتَيَّمِ والشَّجِ
ونوَّارُه كالغُصنِ فى صَدْر أغْيَدٍ لمخْتلس سَهْوَ الرَّقِيبِ ومُدْمِجِ (٣)
وحُمرُ اليواقيتِ الوِضاءِ وصُفْرُها تآلَفَتَا فى لَوْنِهِ المُتَضَرِّجِ (٤)
فَلَوْ نَظَمَتْهُ الحالِياتُ لأشرَقَتْ جَواهِرُهُ فى كل قُرطٍ ودُمْلُجِ (٥)
محاسِنُهُ مِن حُسْنِ عَبَّادِ الرّضا ولَألاؤه مِنْ وَجْهِهِ المُتَبَلِّجِ (٦)

---

(١) من الدَّبج : النقش .

(٢) اللّجة : معظم الماء ، ومنه بحرلجّى ، ولجَّجَ تلْجيجا : خاض اللّجة .

(٣) فى الأصل (أيكة) ثم شطبت الكلمة وكتب فوقها (غيد) ولعل الصواب ما أثبتناه ، والأغيد من النبات : الناعم المتثنى .

(٤) تصرّج بالدم : تلطخ به ، وتضرج النوار : تفتح ، والخد : احمرّ والمرأة تبرّجت .

(٥) الدُّملج : المعضد من الحُلىِّ .

(٦) المتبلج : المشرق المضيء .

وَله أَيْضاً فيهِ بَيْتانِ استَوْلَيا عَلى أَمَدِ الإِحْسانِ وهُما :

إِذا مانواويرُ البَنَفْسَجِ أَطْلَعَتْ جواهرَها فى الروض نثراً بلاسلكِ
رأَيتَ سماءً وُشّحت دِرعَ خُضرةٍ علَيها نجومٌ طالِعاتٌ مِن المِسْكِ

ولأَبى جَعْفَرٍ بْن الأبَّار فيه قطعةٌ جَيِّدَةُ الحَبكِ حَسَنَة السَّبْك مَوْصُولَةٌ بمَدْحِ الحاجِب – لا أَعْدمَنا اللّهُ جاهَهُ كما أَعْدَمَنا أَشْباهَهُ – وهى :

صادِ الزَّمانَ وَرَوِّ غُلَّةَ صادِ بِمُدامَةٍ لَمْ تَعْدُ مَوْلد عادِ
أَوَ ماترى ثَغْرَ الثَّرى مُتَبَسِّماً لَكَ عَنْ مَرادٍ مُونِقٍ ومُرادِ
وبَنَفْسَجُ الرَّوضِ الأَغرّ كأَنَّهُ فى حُسْنِهِ لَعَسٌ عَلَيْهِ باد
لابل كأَجْنِحَةِ الفَراشِ تألَّفَتْ نَسَقاً وقد خضبَتْ من الفِرصادِ
روضٌ يظلّ اللَّحظُ يعبُد حُسْنَهُ كَعِبادَةِ العلْيا بَنِى عَبَّادِ
يُزْهى المَحافِلَ والجَحافِلَ مِنْهُمُ أَسْنَى عَميدٍ للْوَرى وعِمادِ
الحاجِبِ المحجوبِ طاهرُ عِرضِهِ بِنَدى جوَادٍ فى الرِّهانِ جَوادِ
صَلَتانَ مازالَتْ حِدادُ سُيوفِهِ وقناهُ تكْسو الشّرك ثوبَ حدادِ[١]

قوله : صادِ أَوّلَ القِطْعة أمرٌ من صادَيْتَهُ إِذا دارَيْتَهُ . وصَادِ الثانى اسمُ الفاعل من الصَّدا وهو العَطَشُ . والفِرْصاد التُّوتُ . قوله : فى الرِّهان جَوادٍ معناه سابِقٌ وجَواد قبله بمعنى كريم . وحِدادُ سيوفه معناه قاطعةٌ ماضية . وحِداد الثانى لِبْسَة الحُزْن وهَيْئَتُه .

ولأَبى عَلِيّ إِدْريسُ بْن اليَمانى فيه قِطْعَة رفيعةُ الوَصْفِ بديعة الرَّصْف وهى :

---

(١) الصَّلتان : الشديد الصلب .

فُتِقَ الثَّرى من نَورهِ بكواكبٍ ... دُعْج النَّواظرِ والخُدود عجائبِ[١]
فأَدِرْ عَلَىَّ الكَأْسَ بَيْذَخْتِيَّة ... فى دَوْلَةِ النَّجْم الرَّفيع الثَّاقِبِ
طَبع الربيعُ على بشاشته به ... طبْع الشبيبَة فوق ثدْى الكاعبِ

شبَّه لَوْنَه بِلَوْنِ أَطْرافِ الثَّدِىّ ، وهو من الاختِراعِ السَّرِىّ . وبَيْذَخْتِيَّة مَنسوبة إلى بَيْذَخْت قرية بِعَيْنها .

وأَنشدنى لنفسه أيضا فيه بَيْتَيْنِ أنِيقَى التَّشبيه وهما :

وأَرِيضَة حاكَ الغَمامُ بُرودَها ... وسَقَى بِرِيقِ الغَانِياتِ بَرودَها[٢]
ضَحِكَ البَنَفْسَجُ فَوقها فكأنَّما ... نَثَرَتْ به خُضرُ الحمامِ عُقُودَها

شَبَّهَهُ بِلَوْنِ أَطْواقِ القمارىّ وهى موضع العُقُودِ ممَّنْ يسْتَعْمِلُها وهذا التَّمْثِيل مفضَّلٌ لَهُ مُسْتَحْسَنٌ منه .

قال أبو الوليد :

هذا ما عثَرْتُ عَلَيْه فى البَنَفْسَج ، وحين أَوردتُه أَبْدأُ بالخيرِىّ النَّمَّام إذ يَقْرُبُ من حُسْنِهِ ويُشاركه فى لونه .

الخيرى النمام (٣)

أَطْبَعُ ماجاءَ فيه وأَبْرَعُ ما شُبِّهَ بِهِ قَوْل أَبى مَروان المُرادِىّ وهُو :

---

(١) الدّعج محرته ، والدُّعجة بالضم : سواد العين مع سعتها .

(٢) أرض أريضة : زكية معجبة للعين خليقة للخير .

(٣) جاء فى كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (١٨٢/٤ ، ١٨٣) نقلاً عن ديسقوريدوس أن النمام صنفان بستانى فى رائحة شيء من رائحة المرزنجوش ويدب على الأرض ، والصنف الآخر منه برى ليس يدب فى نباته بل هو قائم وله أغصان دقاق مملوءة ورقا .

يَنِمُّ مع الإظْلامِ طِيبُ نَسِيمِهِ ... ويَخْفى لَدى الإصْباحِ كالمُتَستِّرِ[١]
كعَاطِرَةٍ لَيْلًا لِوَعْدِ مُحِبِّها ... وكاتِمَةٍ صُبْحاً نَسيمَ التَّعطُّرِ

هذا المعنى ابْتَذَلَه الشعراءُ بَعْدَهُ وهو اخْتِراعٌ حَسَنٌ لَهُ .

ولِأَبى عُمَرَ يوسف بن هَارُون الرماديّ فيه تَشْبِيهٌ حَسَنٌ من قصيد بَدِيهِىّ وهو :

انْظُرْ غَرائبَ لِلْخيرِىّ ظَاهِرَةً ... عند الظَّلام وعند الصُّبْح تستَتِرُ
كَأنه سارِقٌ طِيباً تَفرَّق فى الـــــ ... ـظَّلْماءِ فَهْوَ بِنَمّ الرّيح مُشْتَهِرُ

وقال أبو عُمَرَ أحمدُ بن دَرَّاج القَسْطَلِىُّ يصفُهُ فى قِطْعَةٍ سَرِيَّة مَوْصُولة بِمَدْحِ المظفّر ابْن أَبِى عامر – رحمه الله – وهى :

غَدا غَيْرَ مُسْعِدِنا ثمَّ راحا ... يُساعِدُنا طَرَباً وارْتِياحا[٢]
وخُيِّرَ فاخْتَارَ شُرْبَ الغَبُوقِ ... ولجَّ فَلَيْسَ يَرَى الاصْطِباحا[٣]
فَإنْ آنَسَ الصُّبْحَ نامَ وشحَّ ... وإنْ آنَسَ اللَّيْلَ نَمَّ وَفاحا
كما خَيَّرَ اللهُ عَبْدَ المَلِيـ ... ـكِ فَاخْتَارَ فى راحَتَيْه السَّماحا
وفى صَهَواتِ الخُيُولِ الرِّجالَ ... ومن أَدواتِ الرِّجال السِّلاحا
فَعَمَّ القَرِيبَ نَداً وَالبَعِيدَ ... وَرَوَّى السُّيُوفَ دماً والرِّماحا

ولأبى القاسِمِ بن شِبْراق فِيهِ وصْفٌ بَديعٌ وتَشْبِيهٌ مَطْبُوعٌ فى قطعة موصولة بِمَدْح المَنْصورِ ابن أَبِى عامِرِ – رحمه الله – وهى :

وبَنَفْسَجِىٌّ اللَّوْنِ يكْتُمُ طِيبَهُ ... عنْد الشُّروقِ وفى الظلام يِنمّ به
فكأنّه ذو مَذْهَبٍ أَلْفى الدجا ... سِتراً وأَمسكَ مُصبحاً عن مذهبهْ

---

(١) البيتان بدون عزو فى نهاية الأرب (٢٧٣/١١) .
(٢) الأبيات فى ديوان ابن دراج ٣٩ .
(٣) فى الديوان (دين) .

أَوْ مُسْتَسِرٌّ عَنْ غَرِيمٍ فاقَةً   غَرِيَتْ لَجاجاً نَفْسُهُ بتَطَلُّبه(١)
والصُّبْحُ من غُرمائِهِ ولأَجْلِ ذَ   لك يستَسِرُّ تلوُّذاً عن مَطْلَبهْ
قَد كان يأْخُذُه الصَّباحُ بغَفْلَةٍ   لَوْ لم يَنِمَّ عليه مطْلِعُ كَوكَبهْ
ككتائبِ الرعبِ الَّتى تَتَقدَّمُ الـــ   ـمَنصُورَ وهْو بإثْرها فى مَوْكِبهْ
فَتَفِرُّ قَبْلَ حُلُولِهِ عَنْهُ العِدَا   عِلماً بأَنَّ النَّصرَ أَمْرٌ خُصَّ بهْ

ومن الباهر جمالُهُ الظاهر كمالُهُ قطعةٌ لِصاحِب الشُّرْطَةِ أَبِى بكْرٍ ابن القوطيَّة موصولة بمدح أَبى – أَبقى اللهُ عَلَىَّ سِتْرَه ورزقنى برّه – وهى :

ومضرَّجِ الأثواب مسكىِّ النَّفَس   فكأنَّما اشتُقَّت حُلاهُ من الغَلسْ
شرِكِ البنفسجَ فى الأديم فَلَونُهُ   من لَوْنه فكأَنَّهُ منْه اخْتُلِسْ
يسرى إذا طَرَق الظَّلامُ نسيمَهُ   ويظلّ يكمَنِ بالنهار كذِى دُلَسْ
مُتَنَكِّراً حَتَّى المَساءِ وإنَّما   سُلْطانُه باللَّيل فهْو من الحَرَسْ
جنْسٌ يخالف كلَّ جِنسٍ فى التَّعـــ   ـرّى والتلُّبس والتوحُّش والأُنُسْ
فَتَراهُ طُولَ نَهارِهِ مُتَجَرّداً   مِن عَرْفِه ومع الديَّاجى مُلْتبسْ
فتراهُ طُولَ نَهارِهِ مُتَوَحّشاً   فإذا دَنا وقْتُ الظَّلامِ لَهُ أَنِسْ
أُنْسَ المَعالى بابْنِ عامِرٍ الَّذى   عَمِرَتْ بدوْلَته منازِلها الدُّرُسْ
أحْيى الرياسةَ بالسِّياسَة فَهْو مُفـــ   ـصِح لُكْنِها ... (٢) بعد الخرَسْ
وعَلا فلَم يَرِثِ العُلَى والمجدعَن   جَدٍّ لَهُ نكِسٍ ولا جدٍّ تعِسْ
نُورٌ تَوقَّدَ فاسْتَبانَ بلمْحه   ماكان أَشكلَ قبل ذلك والْتبسْ

ولِبَعْضِ الأندلسيّين فِيهِ مَغْزًى دقيق ومعنًى رقيق وقِيل إِنَّهُ لعُبادَةَ ابْنِ ماءِ السَّماءِ وهو :

---

(١) من غرى بالشىء يغرى غراً وغراء : أولع به ، أولج فى مطالبته .
(٢) بياض فى الأصل .

وكَأَنَّ الخيرِىَّ فى كَتْمِهِ الطّيـــــبَ فَقِيهٌ مُغْرى بطُولِ رياءِ
يُظْهِرُ الزُّهْدَ بالنَّهارِ ويُمْسِى فاتِكاً لَيْلَهُ مَعَ الظُّرفاءِ

وقال الوزير أبو عامِر بن مسلمة يصِفُهُ بِأَبْدَع وأعرب وهو :

وَرَوْضَةٍ مَحْفُوفَــــــةٍ بِكُــلِّ حُسْنٍ مُفْتَــرَحْ
خيريُّهــــا بخُلْقِــــهِ عَن كلُ نَوْرٍ مُنْتَزِحْ
يَكْتُـــمُ أَسْرارَ الهوَى فَإِنْ أَتى اللَّيْـلُ يَبُــحْ
مُغْتَبِـــقٌ لَيْسَ يَرى فى دِينِـه أَنْ يَصْطَبِـحْ

ومن التشبيه العلىّ قَوْلُ الفقيهِ أبى الحَسَن بن علىّ وهو :

ماأَكْرَمَ الخيرِىَّ فى فِعْلِهِ يَسْهَر إِذْ نَوْرُ الرّبَى ناعِسُ(١)
كَأَنَّما خافَ عَلَيْهِ العِدا فَهْوَ لَهُ فى لَيْلِهِ حارِسُ

وقال أبو علىّ إدْرِيسُ بْن اليَمَانى يَصِفه بِوَصْفٍ مُتقدم الإحْسان وهو :

مَراشِفُ الخيرِىّ حُوٌّ لُعْسُ كَأَنَّهُ قَدْ قَبَّلَتْهُ الشَّمْسُ(٢)
أَو نُفِّست لِلْمِسْكِ فيه نَفسٌ الطّيب فى اللَّيْل عَلَيْه حُبْسُ
وما لَهُ تحْتَ النَّهارِ حِسٌّ كَأَنَّما الضَوْءُ عَلَيْهِ حَبْسُ

قوله : قَبَّلَتْه الشمْس يَعْنى أَنَّ لَوْنَهُ كلَوْنِ مَنْ أَثَّرتْ فيه الشَّمْسُ وإلى هذا أشارَ وإليه أراد .

ولَهُ أَيْضاً فيه تَشْبيهٌ عجيبٌ أَنْشَدَنِيهِ وهو :

أَهْلًا بِسارٍ طيبُهُ لا سارِبُ أَضْحى هَواهُ مُضَرَّباً بِضرائبِ

---

(١) البيتان بدون عزو فى نهاية الأرب (٢٧٢/١١) .

(٢) الحوَّة : سواد إلى الخضرة ، أو حمرة تضرب إلى السواد ، واللَّعس بالتحريك : سواد مستحسن فى الشفة .

ياناجِمَ الخيرِىّ جادَك كلُّ ذى ثَغرٍ لجيب الدَّجْنِ فوقك جائبِ (١)
أُعطيتَ أَنْفاسَ الحبيبِ مُعَطَّراً وخُلقتَ من خِيلان ثوب الكاتبِ

ومِمَّا كَثُرَ شَغَفُ أَهْلِ المَيْزِ بِهِ واستِحْسان ذَوى الفَهْمِ له قوْل أَبى جَعْفَر بْنِ الأَبَّار وهُو :

لا تَعْذُلُوا الخيرِىَّ فى كَتَمْهِ الـــطيب استتاراً فهْو عينُ الصَّوابْ
الصُّبْحُ شِبْهُ الشيبِ فى لَوْنِهِ فَعافَهُ واللَّيْلُ شِبْهُ الشَّبابْ

وأَنشدنى لنفسه فيه أبو بكْر بْنُ نَصْرٍ أَبْياتاً مطبوعةً تَضمَّنَتْ أَوصافاً بديعةً وهى :

أُحِبُّ من الأُخْوانِ نَدباً مُبادِراً نَقِىَّ الحُلَى مِمَّا يُدنّس طاهرا (٢)
يُلِمُّ بلَيْل لِلْمُدام مُنادِماً ويَنْفَض عنّى حين يُصْبحُ سائرا
وَرَيْحانُنا الخيرِىّ مُحْضاً فإِنَّنى تخَيَّرْتُهُ بيْنَ النَّواوير ناضِرا
لما أَنَّهُ يُضْحى من العَرْف عاطِلاً نَهاراً ويُمْسى مُدَّة اللَّيْلِ عاطِرا
كَأَنَّ لَهُ لُفَّ الأَريبِ فما يَرَى مُشاهَدَةَ اللذَّاتِ الَّا مُساهِرا

قال أبو الوليد : وَبَعَثَ إِلَىَّ صاحِبُ الشُّرطَة أبو الوليد بن العثمانى مُطَيَّب خيرِىّ مُبكّرٍ وكتب معه قِطْعَةَ نَثْرٍ مُقْتَطَعَةً مِن السّحْرِ وهى بَعْد صَدْرِها :

بعثتُ بخيرِىّ جازَ حَدَّ التكبير بأُنْسِهِ ، فحازَ قَصَبَ السَّبْق فى أَبْناء جِنْسِهِ مَنْظَرُهُ أَرْبَى على المِسْكِ بنَضرتِهِ ومَخْبَرُه ، قَصَّر عَنْ شِيَمِكَ على بَسْطَتِه . فاقْبَلْهُ بحقّ المجْدِ عليك ، ووسائل الحمد إِليك

---

(١) الدَّجْن : إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء ، والمطر الكثير .
(٢) النّدب : الخفيف فى الحاجة الظَّريف النّجيب .

بَهجاً منظرُه أَرِجاً مَخْبَرُه ، إذا دنا الظَّلامُ ، ونامَ الأنامُ إلاَّ مَنِ استَدْعى عَرْفَهُ ، واسْتَجْدَى عُرْفَهُ (١) .

فَجَاوَبْتُهُ والجوابُ بعد صَدْرِهِ :

فلمَّا تعاهَدَتْ خيريَّكَ عِهادُ (٢) شِيَمَكِ ، ودامَتْ عليه دِيَم كَرَمِكَ . بكَرَ مُتَنَعِّماً مِنْها مُتَنَفِّسًا عَنْها ، ولا نِدَّ لَهُ إلَّا النَدّ ، ولا مَسْكَ لَهُ إلَّا المِسْكَ ، وقَدْ قَبَضْتُهُ مَشْغوفاً بِهِ ، مُسْتَلِذًّا بِقُرْبِهِ ، متعجّباً من حُسْن اخْتِيارِهِ لاستِتارِهِ باسْتِهْتارِهِ تَحْتَ جَناحِ الظلام لِيَسْلَمَ من الجُناح (٣) والْمَلَامِ وقَد صَنَعْتُ فيه أَبْياتاً بديهيَّة متأخرة فأَغْضِ على مافيها مُحْسِناً إلى مُهْدِيها . وهى :

نَهارُ خيريِّك فى لَيْلِهِ　　كذلِكَ اللَّيْلُ نهارُ الأَديبْ
يَنِمُّ فِيهِ ويَنامُ الضُّحَى　　تَصاوُناً عن كلّ أَمْر مَغِيبْ
كَأَنَّما اللَّيْلُ حَبيبٌ لَهُ　　فهْو إذا حلَّ اكتسى كَلَّ طيبْ
كَأَنَّما الصُّبْحُ رَقِيبٌ لَهُ　　فيَرْعَوى عند طُلوعِ الرَّقيبْ

النِدّ المِثْل . والنَّدُّ الطِيبُ . والمَسْك الجِلْد .

---

(١) من المثلث العَرْف بالفتح : الرائحة طيِّبَةً كانت أو خَبيثة – وأكثر ما يستعمل فى الرائحة الطيبة ، والعُرف بالضم : المعروف ، وبالكسر : الصبر وانظر كتاب المثلث للبطليموسى (٢/٢٥٥ ، ٢٥٦) .

(٢) العِهَاد : الحديث من المطر .

(٣) الجناح بالفتح : من معانيه الجانب والكنف والناحيته ، والجناح من الليل : الطائفة ، وبالضم : الإثم .

قال أبو الوليد :

أُكْثَرُ ماوُصِفَ من الخيرىّ هذا النَّمَّام وقَلَّما ما وُصِفَ الأصْفَرُ وأنا ذاكِرٌ ما وقَع إلَىَّ فيه .

الخيرى الأصفر (١)

من ذلك قول أبى عُمَر القسطَلِّىّ :

أعَارَهُ النَّرْجس مِنْ لَوْنِهِ　　تَفَضُّلا وازْدادَ مِنْ طِيبِهِ (٢)
وناسَبَ النَّمَّامَ لَمَّا انْتَهى　　إلى اسْمِهِ الأَدْنى وتَرْكِيبه
وما يُجارِى واحِداً مِنْهُما　　إلَّا كَبا فى حِينِ تَقْرِيبِهِ (٣)

وأحْسن مِنْ هذا قَوْل الفقيه أبى الحسن بن علىّ وهو :

كأَنَّما الخيرىُّ مُسْتَهْتِر　　بالْحُبِّ قَدْ أنحَلَهُ العِشْقُ
صُفْرَتُهُ تَنْطِقُ عَنْ حالِهِ　　وَرُبَّ حال دُونَها النّطْقُ
أعارَهُ المُزْنُ رِداءَ النَّدى　　وصُفْرَةَ المُتَّشَحِ البَرْقُ
ما أَوْجُهُ اللَّذَّاتِ مَحْجُوبَةٌ　　إذا تَبَدَّى وَجْهُهُ الطَّلْقُ

وحين أُحْضرنا ماق الخيرىّ له أَزهر نَبْدَأ بالنَّرْجِسِ الأصْفَر .

---

(١) الخيرى : هو النبات المعروف بالمنثور ، ونقل ابن البيطار فى كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (٨٢/١) عن ديسقور بدوس ما يفيد أن الخيرى نبات له زهر مختلف بعضه أبيض وبعضه فرفيرى وبعضه أصفر . وانظر الألفاظ الفارسية المعربة ٥٩ .

(٢) الأبيات فى ديوان ابن دراج القسطلى ٤٠ .

(٣) فى الديوان (ريح) .

النرجس الأصفر (١)

قال الوزير أبو مَرْوان عبد الملك بن جَهْوَر (٢) – رَحمه الله – يَصِفُهُ فأَبْدَعَ وأَعْجَبَ وأَحْسَنَ وأَغْرَبَ أَنْشَدَنِيهِ لَهُ حَفِيدُهُ عَبْد الله . وهو :

اِصفَرَّ حتَّى كأَنَّ الإِلْف يهْجُرهُ — وطابَ حتَّى كأَنَّ المِسْكَ يَنْثُرهُ
واخْضرَّ أَسفلُه من تحت أَصفَرِهِ — فَراقَ مَنْظَرُهُ الباهى ومَخْبَرُهُ
يانَرْجساً ظَلَّ قُدَّامى تَنِمُّ لَهُ — ريحٌ تذكِّرُنى شَوْقى فأَذْكُرُهُ
زُمُرُّذٌ مائِلٌ من فَوْقِهِ ذَهَبٌ — مُعَيَّنٌ نابُهُ مِنْهُ وَمَحْجِرُهُ (٣)
هيَّجْتَ لى شجَنَا قد كان فارَقَنى — ذكَّرْتَنى بالَّذى مازِلْتُ أُوثِرُهُ

وكتب الوزير الكاتب أبو مروان بن الجزيرىّ إلى المَنْصُور أَبى عامِر – رَحِمهما الله – عَن نَرْجِسِ العامِريَّة فى أَوَّل يَوْمٍ من كانُون الآخر سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائةٍ فأَبْدَعَ واخْترع وهو :

حَيَّتْكَ ياقَمَرَ العُلَى والمْجلِسِ — أَزْكَى تحِيَّتها عُيُونُ النَّرْجِسِ (٤)

---

(١) النرجس : نبات له ورق شبيه بورق الكراث إلا أنه أدق منه وأصغر بكثير ، وله ساق جوفاء عليها زهر أبيض فى وسطه شىء لونه أصفر ، وهو طيب الرائحة . الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (١٧٩/٤) وانظر النبات لأبى حنيفه الدينورى تحقيق محمد حميد الله ٣٢٥ ولفظة النرجس من الألفاظ الفارسية المعربة ، وأورد الجواليقى فى المعرب ص ٥٩ هذه الكلمة ضمن القاعدة التى تقول ليس فى أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء ، وانظر أيضا المعرب ص ٣٧٩ .

(٢) أبو مروان عبد الملك بن جهور وزير جليل وأديب شاعر كاتب فى أيام عبد الرحمن الناصر . جذوة المقتبس ٢٨٢ ، وبغية الملتمس ٣٦٥ رقم ١٠٦١ والحلة السيراء (٢٣٣/١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣) ونفح الطيب (٥٦/١ ، ٣٨١ ، ٣٩٧) ومطمح الانفس ١٦٨ ، والبيان المغرب (١٥٨/٢ ، ١٧١) . .

(٣) معين : يقال عَيَّن الشجر : نَظِرَ ونوّر ، والمحجر : الحديقة .

(٤) الأبيات (١ ، ٢ ، ٥ ، ٦) فى نفح الطيب (٥٣١/١) .

زُهراً تُريك بشكلها وبلَونها ... زُهْرَ النجومِ الجارياتِ الكُنَّسِ(١)
طَلَعَتْ مطالِعَها على مُخْضَرَّةٍ ... من سُوقها كُسيت بُرودَ السُّندسِ(٢)
فتَزَيَّنت حُسْناً أتَمَّ تَزَيُّنٍ ... وتَنَفَّسَتْ طِيباً أَلَذَّ تَنَفُّسِ
وَمَلَكْنَ أفئِدَةَ النَّدامى كلَّما ... دارَت بمجلِسهم مَدارَ الأكْؤُسِ
مِلْكَ الهُمامِ العامِرِىّ مُحَمَّدٍ ... لِلْمَكرُماتِ وللنُّهَى والأَنْفُسِ
لَبِس الزَّمانُ وأَهْله مِنْ عهْدِهِ ... وفِعالِه المشكور أكْرَمَ ملبسِ
فإذا ذَهَبْتَ إلى الثَّناءِ فَقِفْهُ مِن ... بيْنِ الأَنامِ على عُلاَهُ واحْبِسِ

ولأبى عُمَرَ القَسْطَلّى فِيهِ قِطْعةٌ بديعةٌ تضمَّنَتْ أوصافاً رفيعة موصولة بِمدْحِ المظفر ابن أبى عامر وهى :

شَكلانِ مِنْ رَاحٍ وروْضةِ نَرجسٍ ... يَتنازَعانِ الشّبهَ وَسْطَ المجْلِسِ(٣)
مُتَباهِيَيْنِ تَلوُّناً بتلـوُّن ... مُتبارِيَيْـن تَنَـفُّساً بِتَنَـفُّسِ
فكأنَّها من حدّ سيْفِك تلْتَظى ... وكأنَّه من طيبِ خُلْقِك يكتسى
يامَنْ عَلاَ مِنْ رُتْبَةٍ فى رُتْبَةٍ ... حتَّى غَداوَسْطَ النُّجومِ الخُنَّسِ(٤)
وابْنَ الَّذينَ هُداهُمُ ونُهاهُمُ ... أَدبُ المُلُوكِ وأسْوةٌ لِلْمُؤْتَسِى(٥)

---

(١) الكنس : النجوم تطلع جارية ، وكنوسها أن تغيب فى مغاربها التى تغيب فيها .

(٢) السندس : رقيق الديباج ، وجزم الجواليقى فى المعرب ٢٢٥ أن الكلمة من قبيل المعرب فى حين أنها قد وردت فى القرآن فما يؤكد عربيتها كما أشار الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على المعرب .

(٣) الأبيات فى ديوان ابن دراج القسطلى ٣٨ ، ٣٩ فى وصف النرجس .

(٤) النجوم الخنس : قيل هى الدرارى الخمسة تخنس فى مجراها وهى زحل ، والمشترى ، المريخ ، والزهرة ، وعطارد لأنها تخنس فى مجراها حتى تختفى تحت ضوء الشمس ، وقيل هى الكواكب كلها لأنها تخنس فى المغيب أو لأنها تختفى نهاراً .

(٥) يقال : أسّاه تأسية فتأسّى : عزاه فتعزى ، واتسى به : جعله أسوة .

ومِن أنْفَسِ ماملحَ به فى النَّرْجِسِ قطعةٌ للوزير الكاتب أبى الأَصْبَغ بن عبد العزيز صَنَعها بَدِيهَةً بَيْن يَدَىْ ذى الوزارتَيْن أبى عمرو عَبَّاد – أطال الله بقاءَه وأدام اعْتِلاءَهُ – وكان يَلْبَسُ ثَوْباً رفيعَ القَدْر نَرْجسِيَّ اللَّوْنِ وهى :

رَأَيْتُ عَبَّاداً لَهُ مَلْبَسٌ ... فى حَشْوِهِ الجُودُ مَعاً والكَرَمْ
فَقُلْتُ سُبْحانَ العَزِيزِ الّذى ... أَوْدَعَ ذا الثَّوْبَ رَفِيعَ الهِمَمْ
أَرْوَعَ فى سُودَده سابِقاً ... أَبْيَضَ مثْل البَدْرِ بادى الشَّمَمْ (١)
كَأَنَّما صُفْرَةُ أَثْوابِهِ ... وطِيبها نَرْجِسَهُ إِذْ تُشَمْ
قَد كُنْتَ يانَرجِسُ مِن قبلِ ذا ... تَبْخَسُ مِنْ حَقِّكَ ماقدْ عُلِمْ
فالآنَ فافْخَرْ فى جَمِيع الوَرى ... على النَّواوِيرِ وحاشاكَ ذَمْ
بِعِزِّ مَنْ قَدْ حُزْت تَشْرِيفَهُ ... وفَضْلِ مَنْ لا فارَقَتْهُ النِّعَمْ

وأَنْشَدَنِى لِنَفْسه الفقيه أبو الحَسَن بْنُ علىّ فى النرجس الكبير الذى تُسَمّيه العامَّةُ القادوسِيَّ تَشْبِيهاً بالقادوس على لغتهم وصوابُهُ القَدَس أَبْياتاً رِقاقاً تضمَّنَتْ مَعانِىَ دقاقاً موصولةً بِمدْحِ الحاجب سِراج الدُّنْيا الثاقب وهى :

فى النرجس القدَسىّ النّور والقصب ... حُسْنٌ يفوق به تِرْبَيْه فى النَّسَبِ(٢)
لَهُ مِنَ التِّبْرِ كأْسٌ قاعُهُ لحِجٌ ... مُوَسَّعُ العُلْوِ قد أَبداهُ لِلْعَجَبِ(٣)

---

(١) الأروع : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره ، أو بشجاعته .
والشّمم محركة : القرب والبعد من الأضداد ، وارتفاع فى الجبل وارتفاع فى قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة ، والأشم : السيد ذو الأنفة .

(٢) التِّرب بالكسر : اللِّدَة والسِّن ومن ولد معك .

(٣) لحج ككتف : ضيق والملاحج المضايق .

مَشمُّ طيبٍ إذا استنْشيْتَ زَهرتَهُ وظرفُ أُنْس إذا ماشيت للنُّخَب
ومائِلُ الجيدِ مِن سكْرِ النعيم بِهِ حكى ثِنى الثَّمِل المشغوف باللَّعبِ (١)
كغادَةٍ ثوبُها من سُندسٍ طلَعت للشَّرْب فى كفها كأْسٌ من الذهبِ
فكيف يعقِل حَظُّ النفسِ من طَرَبٍ من كان يلحظُ هذا الحسنَ من كَثَبِ

ثمَّ دخل إلى المدْح فقال :

يَاحَاجِبا رُقِمَتْ فى الكتب سيرتُه بالحِبْرِ وانتقشَتْ بالتّبرِ فى القضُبِ
ويا عِماداً لَهُ يَوْما نَدى ووَغًى ذا لِلأَيادى وذا لِلْبِيضِ واليَلَبِ (٢)
إن دُمت للعُجْم لم يُعجِم لها خبرٌ وأَعرَبَ السَّعْدُ بالإقبال للعرَبِ

قوله : حُسْنٌ يفوق به تِرْبَيْهِ يعنى النَّرجسَ الأَصْفَرَ المعروفَ ، والنَّرْجس المُسمَّى بالبَهارِ . وقوله : قاعُهُ لجّ اللَّجِجُ الضَّيِّقُ ولمْ أَرَ لأَحد قَبْلَهُ فى هذا الصِّنْف مِن النَّرْجسِ وصْفاً وهو مَعْدُومٌ عندنا بأَشبيلية .

وكان كَتب إلىَّ مع هذه القطعة بَيْتَيْن وهُما :

اِسْئَلْ أَبا عامِر عنْهُ ابْنَ مَسْلَمةٍ تسئلْ خبيراً بمعنى الظَّرف والأدبِ
إن صار قومٌ إلى قَصْفٍ على مهَلٍ طواهُمْ بخُطا التَّقريب والخَبَبِ

وقال صاحب الشُّرطة أبو بكر بن القوطيّة يصفه فى أَبْياتٍ وهى :

---

(١) الثَّمَلُ محركة : السكر ثَمِل كفرح فهو ثمل .

(٢) اليلب محركة : التَّرسة ، أو الدروع من الجلود ، والفولاذ وخالص الحديد .

زَبَرْجَدٌ فَوْقَـهُ نُضارٌ مُخَلَّصٌ لَمْ تُذِبْهُ نارُ
كَأَنَّما هَبَّ مِنْ كَراهُ وَسْنانُ أَوْ شَفَّه انكِسارُ
وطابَ عِنْد المشمِّ حتَّى لِلمسْكِ مِنْ بَيْنِهِ انْتِثارُ
قد شارَكَ الدَّهْرَ فهْو لَيْلٌ وافاهُ مِن صُبْحِهِ اصْفِرارُ
فأوَّلُ الخَلْقِ مِنْهُ لَيْلٌ ومُنْتَهَى خلْقِـهِ نَهـارُ
أَبدَعَهُ فى الرِّياضِ مُنْشٍ لَهُ على الخِلْقَةِ اقْتِدارُ

شبَّه خُضْرَة سُوقِهِ بِسوادِ اللَّيْل والخُضْرةُ والسوادُ عِنْد العُرْبِ بمنْزلةٍ .

ويقرُب مِن معنى هذه القِطعة ما أَنْشدنيه لنَفْسه فيه الفقيهُ أبو الحسن بن علىّ وهُو :

أرى النرجسَ التبْرىّ يعنوُله الفِكْرُ وَيقْصُر عن أوصافِهِ النظمُ والنَّثْرُ
كأَنَّ الدُّجا قَدْ صَاغَ خُضْرةَ ثوبِهِ وأَلْقى عليه حُسنَ صُفْرتِهِ الفَجرُ
تخالُ به فى الروضِ أَقيالَ مَعْشَرٍ ثِيابُهُمُ خُضْرٌ وتِيجانُهُم صُفْرُ(١)
يُحيِّيكَ بالتَّأْنِيسِ رَوْنقُ حُسْنِه ويلْقاكَ مِنْهُ قبل رُؤْيته النَّشْرُ(٢)

قال أبو الوليد :

ولِى قِطْعَةٌ فى النَّرْجِسِ موصولة بِمدْحِ ذِى الوزارتَيْن عبَّاد — وصل اللّٰهُ حُرْمَتَهُ وأطال مُدّتَهُ — وهى :

وروضٍ أريضٍ لم يزلْ يغتذى بما يروحُ علَيْه من سَحابٍ ويغْتَدى(٣)
بدا النَّرجِسُ المُصْفَرُّ فيه مُباهِياً بِلَوْنٍ كلوْنِ المُسْتَهامِ المُسَهَّدِ

---

(١) القيَّل كفيْعل : الملك أو من ملوك حمير ، أو هو دون الملك الأعلى سمى بذلك لأنه يقول ما شاء فينفذ .

(٢) النشر : الريح الطيبة .

(٣) يقال أرض أريضة : زكية معجبة للعين خليقة للخير .

ترى كلَّ نَوْرٍ مِنْهُ فوقَ قضيبِهِ   كلِمَّة تِبْرٍ فوْقَ جِيدِ زَبَرْجَدِ
إذا ماسَرى مِنْهُ نَسيمٌ لِوالِهٍ   سرى عنْه جلبابُ الجوى المتوقّدِ (١)
حكى منظراً نصراً وخُبراً خلائق الـ   ـنَّجيبِ أبى عَمْرٍو سليلِ مُحمَّدِ
فَداهُ عِداهُ كم لَهُ مِنْ فَضِيلَةٍ   وفضْلِ ندىً يُغنى به كل مُجْتدِى

قال أبو الوليد :

هذا ما جَمعْتُهُ فى النَّرْجسِ ويَجِبُ أَنْ نَبْدَأَ بِذِكْرِ الوَرْدِ ونُورِدُ ما وَقَعَ إلَيْنا فيه من تمْثِيلٍ حسنٍ وتشْبِيهٍ .

الـــورد

لم يُوجِب تأْخيرَ أَمْرِهِ ولا ولَّد إرجاءَ ذِكرِهِ تأَخُّرُ مَنْزِلِتِهِ ولا انحِطاطُ رتبتِه وإنَّما بنينا أَن نُقدّم من تقدَّم به زمانُهُ ونبدأ بمنْ بكَّر أَوانُه وقد مضت مشاهير الأنوارِ المبكّرة التى كثُرَ القَولُ فيها وتردَّدَ الوَصْفُ لها .

فمِن المُسْتَنْدَر فى الورد قول الحاجِبِ أَبى الحسن جعفر بن عثمان المُصْحَفىّ وقد أَهْدى إليه الوزيرُ زيادُ بن أَفْلَحَ (٢) وَرْداً سِيق إليه من رَيَّةَ فى شهر كانون الآخِر . وهو – أعنى قولَ المُصْحَفىِّ –:

(١) الوله محركة : الحزن ، أو ذهاب العقل حزنا .
الجوى : هوى باطن ، والحزن .

(٢) هو زياد بن أفلح الناصرى من موالى الخليفة الحكم المستنصر بعث به فى كتيبة من الحشم لتلقى غالب الناصرى صاحب مدينة سالم سنة أحدى وخمسين وثلاثمائة ، وكان من وزراء الدولة العامرية وكبار رجالها : نفح الطيب (٣٨٨/١) والحلة السيراء (٢٧٨/١) .

لعمرُك مافى فِطرة الروض قدرة　　تُحيل بها مجْرى الزَّمان عن الحدِّ (١)
ولكِنَّما أَخْلاَقُكَ الغُرُّ نَبَّهتْ　　بِرَبْعِكَ فى كانونَ نائِمةَ الوَرِدِ
كأَنَّكَ قَدْ أَمْطَرْتَها ديمةَ المَجْدِ　　وأَجْريت فى أَغصانها كرمَ العهدِ

فلما وصل هذا النظمُ المستَمْلح إلى زياد بن أَفْلَحَ بعثَ إليه بِوَرْدَةٍ كان احْتَبَسها لِنَفْسِه فكتب إليه ثانيةً بَيْتَيْن وهُما :

فاجأَنِى كانونُ بالـوَرْدِ　　فزادَنِى وجْداً إلى الوَجْدِ
وردُ العُلَى أَهْدى لنا وردةً　　يا حبَّذا الوَردُ مِن الوَرْدِ

ومن السَّرِىّ السَّنِىّ قولُ الوزير الكاتب أَبى مروان الجزيرى – رحمه الله – :

أَهْدى إِلَيْكَ تحِيَّةً من عنْده　　زمنُ الربيع الطَّلْقِ بَاكِرَ وردِه(٢)
يَحكى الحبِيبَ سرى لوَعْد مُحبّهِ　　فى طِيبِ نَفْحَتِهِ وحُمْرَة خدّهِ

وكتَب أَيْضاً أبو مروان إلى الوزير أَبى مروان عبد الملك بن شُهيْد فى أُخرَياتِ أَيَّامِ الوَرْد بِأَبْياتٍ أَنيقة الصِّفاتِ وهى :

قُلْ للوزير الَّذى جلَّت فضائلُهُ　　فسرّ لنا شرْحَ معنى سال سائلُهُ
وأَىّ وصْليه موجوداً ومفتقدى　　أَولى وأَجْدَرُ أَنْ تُرعى وسائلُهُ
وقد أَتاك لِتَوْدِيعٍ على عَجلٍ　　خُضْراً مقانِعُهُ حُمْراً غَلاَئِلُهُ(٣)
فامنحْهُ منكَ قَبولا واقض نهمتَهُ　　من الوَداع فقدْ شُدَّت رواحلُهُ(٤)

---

(١) البيتان الأول والثانى فى الحلة السيراء (٢٦٢/١) لجعفر المصحفى وفى الحلة (عن القصد) .
(٢) البيتان فى التشبيهات من أشعار الأندلس ٥١ لعبيد الله بن إدريس .
(٣) الغلالة : ما يلبس تحت الثوب .
(٤) النَّهمَة : الحاجة وبلوغ الهمة والشهوة فى الشىء .

لازِلْتَ دهرَكَ مَحْبُوًّا زيارَتَهُ ... إذا انْقَضى عامُهُ وافاكَ قابِلُهُ

وبَلَغَنى أنَّ الوزيرَ ابن شُهَيْدٍ جاوَبَهُ بأَبْيات لَمْ تَقَعْ إِلَيَّ ولا وَرَدَتْ عَلَيَّ .

وأَنشدنى الوزيرُ أَبو عامرٍ بْنُ مسْلَمة للوزير أَبيه – رحْمة الله عليه – أبياتاً مطبوعةً كتب بها إلى الوزير عيسى بن سعيد (١) يستَدْعيه إلى الفَصْدِ تضمَّنَت وصْفاً حَسناً للوَردِ وهى :

مايطيبُ التَّفْجيرُ دونَ صديقٍ ... مُمْحِضٍ مُخْلِصٍ شَقيقٍ شَفِيقِ
وقدِ اخْتَرْتُهُ نَهاراً بهيًّا ... كمُحيَّاكَ مُستَنِيرَ الشروقِ
عنْدنا الوَردُ قدْ تألَّف مِنْ لَوْ ... نَيْن لَوْنِ المها ولَوْنِ العقِيقِ (٢)
كخُدودٍ تَبَرْقعت بحياءٍ ... فوْقَ ديباجها الأَنِيقِ الدَّقِيقِ
فتَفَضَّلْ وخِفَّ نحْوَ صديقٍ ... أَنْتَ فى نَفْسِهِ أَجلُّ صديقِ

ونزل أبو عُمر يوسف بن هَارُون الرمادىّ على بنِى أَرْقَمَ بِوادِآش فقَدّم إليه فيما أُكْرِمَ به طَبَقُ وردٍ وكان فى فصْل الشّتاء فاستَغْرَبهُ ثمَّ أَخذَ منْه وردةً واحدةً وقال بديهةً :

ياخُدُودَ الحُورِ فى إخْجالِها ... قَدْ علَتْها حُمْرَةٌ مكْتَسَبَهْ
اغْترِبْنا أَنْتِ من بَجّانةٍ ... وأَنا مُغْتَرِبٌ من قُرْطُبَهْ (٣)

---

(١) هو الوزير عيسى بن سعيد اليحصبى المعروف بالقطاع كان وزيراً للمنصور محمد بن أبى عامر ، ثم لابنه المظفر . الحلة السيراء (٢/٥) والذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٥٠ ، ٥١ ، والمعرب (٢٠٥/١) والبيان المغرب (٢٧/٣) .

(٢) المها : اللؤلؤ ، أو الدر ، أو البلور .

(٣) بجانة : بفتح الباء وبعدها جيم مفتوحة مشددة مدينة بالأندلس وانظر التعريف بها بشكل مفصل فى الروض المعطار ٧٩ أما قرطبة فمعروفة مشهورة .

واجْتَمَعْنا عِنْدَ إِخْوانِ صفاً بالنَّدى أَموالُهـمْ مُنْتَهبَهْ
عُصْبَةٌ إن سُئِلَتْ عن نِسْبَة فإلـى أَرقمِهـا مُنْتَسِبَــهْ
إنَّ لَثْمِى لَكِ قُدَّامَهُمُ لَيسَ فيهِ فَعْلَةٌ مُسْتَغْرَبَهْ
لاجْتِماعٍ فى اغْتِرابٍ بيْنَنَا قَبَّلَ المُغْتَـرِبُ المُغَتربـهْ

ومِمَّا يُسْتَحْسَنُ فيه وتُسْتَمْلَحُ معانيهِ قِطْعَةٌ لأبى عُمر أحمد بن درَّاج القَسْطَلِّىّ موصولةٌ بِمدْحِ المظفَّر ابن أَبى عامر – رحمه الله – وهى :

ضَحِكَ الزَّمانُ لنا فهاكَ وهاتِهِ أَو ما رأَيْت الوَردَ فى شَجَراتِهِ (١)
قَدْ جاءَ بالتَّاريخ مِنْ أَغْصانِهِ وبخَجْلَةِ المَعْشُوقِ منْ وجَناتِهِ (٢)
وكَساهُ مَوْلانا غَلائِلَ سَيْفِهِ يَوْماً يُسَرْبِلُهُ دِماءَ عُداتِهِ
مِنْ بَعْدِ ما نفَحَ الحيا من رُوحِهِ فِيهِ وعَرْفُ المِسْك مِن نفحاتِهِ
إِن كان أَبدعَ واصِفٌ فى وصْفِهِ فلَقَدْ تقاصَرَ عَن بديعِ صفاتِهِ
كمديح سيف الدَّولة الأَعلى الَّذى أَعْيا فأَغْيا فى مَدَى غاياتِهِ (٣)
مَلِكٌ يَنِمُّ الجُودُ فى لحظاتِهِ واليُمْنُ والإيمانُ فى عَزماتِهِ
وحَياتِهِ إِنْ كانَ أَبْقَى حاجَةً لمَن ارْتَجاهُ غَيْرَ طُولِ حَياتِهِ

ولأَبى القاسِمِ بْن شِبْراق فى وَرْدَةٍ لَمْ تَفَتَّحْ وَصْفٌ حَسَنٌ مُسْتَمْلَحٌ :

---

(١) الأبيات فى ديوان ابن دراج القسطلى ٤٠ ، ٤١ .

(٢) كذا فى الأصل وفى الديوان (بالنارنج) ولعل ذلك هو المناسب والنارنج : شجرة معروفة ورقها أملس لين شديد الخضرة يحمل حملاً مدوَّراً أملس فى جوفه حماض كالاترج وهى شبيهة بشجر الأترج جداً وورقها الأبيض طيب الرائحة . الجامع لمفردات الأدوية (٤/١٧٤) .

(٣) فى الديوان (أعيا فأعيا) بالعين المهملة فى الكلمتين ، والأولى بمعنى أعجز الناس عن إدراكه ، والثانية من العى وهو الحصر والعجز عن التعبير كما أشار محقق الديوان .

خجلَت إِذْ تَأَمَّلَتْها العُيُونُ خَجَلًا فى احْمرارِها يَسْتَبِينُ
وَرْدَةٌ ورّدَتْ دُموعِىَ شَوْقاً لِلّتِى خَدُّها بِها مقْرُونُ
بنت غصن يُقرٍّ بالكَرم الدهـــــرُ لها فى رِياضِها والغُصُونُ
واسْتَسَرَّتْ عَنِ العُيُونِ حَياءً وعَرَا عَرْفَها الذَّكىّ سكُونُ
سَتَرَتْ وجْهَهَا بِبُرْقُعِها واسْـــتَقْبَلَتْنَا مِنَ الفُتُون فُنُونُ
كالفَتاةِ الحَيِيَّةِ انْتَقبَتْ كَىْ لا يُرى وجْهُها الجَمِيلُ المصُونُ

وكَتب الوزيرُ أَبو عامرٍ بن مسلمة إلى ذى الوزارتَيْن أَبى عَمْرو عبَّادٍ – أعزّه الله وأَحْسَنَ ذِكْراه – فى زمن الوَرْدِ يصفه فأَحْسنَ الوصْف وأبدعَ التشبيهَ أنشدنيه وهو :

عَبَّـادُ ياخَيْـرَ الـوَرى وَمَنْ بِهِ تُزْهى المِدَحْ
ياقَمَـرَ الأَرْضِ ومَـنْ عَلَا سَمـاءً وَرَجَـحْ
أَمـا تَرى الـوَرْدَ وَقَـدْ رَنَـا بطَـرْفٍ ولَمَـحْ
كَأَنَّـــهُ دَمٌ جَرَى على طُلًى بيضٍ وُضُحْ (١)
أَوْ خَدّ غَضٍ عَضَّهُ لحْـظُ مُحِبٍّ فانجَـرَحْ
كَأَنَّمـــا نَسِيمُــــهُ عَنْ خُلُقٍ مِنْكَ نَفَـحْ

وبعث الفقيهُ أَبو الحسن بن علىّ بِوَرْدٍ مُبَكّرٍ فى سُباط (٢) إلى ذى الوزارتَيْن القاضى – أَعزَّهُ الله وأَذَلّ عِداهُ – وكتب معه :

لِيَهْنِئكَ يا واحِدَ المَكْرُماتِ وَأَهْدى المُلوكِ لقَصْدِ الصِّراطِ
جَنِىٌّ مِنَ الوَرْدِ قَدْ حَثَّهُ إِلَيْكَ تَوَدُّدُهُ فى سُباطِ

---

(١) الطلى : جمع طلية : وهى صفحة العنق ، والطلى أيضاً : الأعناق وقيل هى أصول الأعناق .

(٢) سُباط : أم شهد بالرومية ، وهو الشهر الذى بين الشتاء والربيع .

وما ذاكَ أيّامُ إقبالِهِ ولا وَقْتُ تَنْضيدِه في البِساطِ
أصابَ بإسْراعِهِ فاحْبُهُ وَغَفْراً لِسائِرِهِ فَهْوَ خاطِ

وقال أيضاً الفقيهُ أبو الحَسَن يصفه في قِطْعَةٍ رائقة متضمّنةٍ لصفاتٍ فائقة موصولةٍ بمَدْحِ ذِي الوزارتَيْن القاضي – أيَّدَ اللهُ يَدَه وحَصَدَ من حسدَه – :

لِلْورْد فضلُ السَّبْقِ عند المفْخَرِ بالْمَنْظَرِ السَّامي وطِيبِ المخْبَرِ
ورقٌ مِن الياقوتِ نُظِّم فَوْقَهُ شِذْرٌ من الذهب السَّبيك الأصفرِ
ونَسِيمُ فَوْحٍ لَيْس يَبْلُغُ طِيبَهُ عَبَقُ العَبِيرِ ولا دُخان العَنْبَرِ
نَقَصَ الزَّمانُ ضَنانَةً مِن عُمْرِهِ وكَذا النَّفيس القدرِ غيْرُ مُعمَّرِ
والنَّورُ غيرُ الورد ليسَ لِتَشَخْصِيهِ دون السّباطَةِ ذابلًا مِنْ مقْصَرِ
والوَرْدُ يُرْفَعُ غَضُّهُ ويَبِيسُهُ رفعَ الاكفّ ظروفَ مسك أذفرِ
عَمَّتْ مَنافعُهُ كما عَمَّ الوَرى جُودُ ابنِ عبَّادٍ فَرِيدِ الأَعْصُرِ

وله أيْضاً فيه بَيْتانِ اسْتَوْلَيا على غاية الإحسان وهُما :

انظرْ إلى الرَّوض غير مُتَّئِدٍ تُبصر جَمالًا يَصُوغُهُ الدَّهْرُ
كَأَنَّما الوَرْدُ فِيهِ أَطْباقُ يا قُوتٍ عَلَيْها مَغالِقٌ صُفْرُ (١)

ولصاحب الشُّرطة أبي بَكْر بن القُوطِيَّة فيه قِطْعَةٌ سَرِيَّةٌ موصولةٌ بمدح ذى الوزارتَيْن أبي أيّوب بن عَبَّاد أبقاه اللهُ وأسْبَغ عليه نُعْماه وهي :

نَوْرُ الرُّبى خَوَلٌ والورد سُلطانُ بِذَا قَضى قَبْلُ آذارٌ ونِيسانُ (٢)
سِرٌّ طوته فصولُ العام حاسدةً لِفَضْلِهِ إذْ لَهُ السُّلْطانُ والشانُ
حتَّى إذا ما الرَّبيعُ الطَّلْقُ نمَّ بِهِ بَدا وقد ضاقَ عَنْ مَثْواهُ كِتْمانُ

---

(١) في هامش الأصل (معالق خضر) .

(٢) الخول : ما أعطاك الله تعالى من النعم ، والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية .

مُعالِجاً فَتْحَ أَوْراقٍ تُطَبِّقُهُ كما يُعالِجُ فَتْحَ العَيْنِ وَسْنانُ
حتَّى تَفَتَّحَ مِنْ أَكمامِ بُرْدَتِهِ كما تَفَتَّحُ بَعْدَ النَّوْمِ أَجْفانُ
أَمَّا النَّسيمُ فَطِيبٌ لا أُكَيِّفُهُ واللَّونُ حُسناً به الأَلْوانُ تَزدانُ
فما سِوى الوردِ فى النُّوارِ من مَلِكٍ ولا كمِثْلِ أَبى أَيُّوبَ سُلْطانُ
ملكٌ يُريكَ اهتزازَ الرَّوْضِ يتبعُه حلمٌ رَسا منه فوق الأرض ثَملانُ

وللوزير الكاتِبِ أَبى حَفْص بْن بُرْدٍ فيه أَبْياتٌ بَديعَةٌ رفيعة التشبيه وهى :

هذا الرَّبيعُ وكُنْتَ تَرقُبُهُ فانظُرْ بعَيْشِك كَيْفَ تَصْحَبُهُ
قَدْ نُشِّرَتْ حُلَلُ النَّباتِ بِهِ فَبَدا مُفَضَّضُهُ ومُذْهَبُهُ
والوَرْدُ قَدْ سَمَتِ الغُصُونُ بِهِ تَجْلُوهُ والأَبْصارُ تَخْطُبُهُ
والشَّمْس قَد ضَرَبَ الضّحاءَ بها فى صِبْغِهِ فذَكا تَلَهُّبُهُ
فَكَأَنَّ مَنْ يَهْواهُ يُخْجِلُهُ وكَأَنَّ رَيَّاهُ تُطَيِّبُهُ

وكَتَبَ أبو جعفر بن الأَبَّار إلى الوزير أَبى عامر ابْنِ مَسْلَمَة فى زمن الرّبيع يصف الوَرْدَ ويَخُصُّهُ على إيثارِ الأُنْسِ وجَلاءِ صَدإِ النَّفْسِ فأَحسن إحْسانًا يَقْرُبُ على مُتَأَمِّلِيهِ ويَبْعُدُ على مُتَناوِلِيهِ وَوَصَفَ الوَرْدَ بَعْدَ صَدْرٍ مُتَقَدِّمٍ من الشّعْر :

الوَرْدُ وِرْدٌ لِلْعُيُونِ مِنَ الظَّما فاذكُرْ أَذِمَّتَهُ الوكيدَةَ واحفَظِ
فى لِبسة التقوى يروقك منظراً فامنحْه بالإنصاف طرْفَك والحَظِ
وإذا الهُجُوعُ نَأى فَخَيْرُ مُنَوِّمٍ وإذا السّرورُ دنا فأَحْسن مُوقِظِ
يامُمْطِرِى بِفَعالِهِ ومَقالِهِ ومُحافِظِى بِودادِهِ لا مُحْفِظِى
أَفْطُنْ إذا أَبْدى الزّمانُ تَبالُهًا وإذا تَواسَنَ جَفْنُهُ فاسْتَيْقِظِ
وبكلِّ صِرف فاستَقِدْ من صَرفه وافْظُظْ بِرِقَّتِها عَلَيْهِ وأَغْلِظِ

فالهمُّ يَفْرَقُ مِنْ لآلىء فَرْقِها والحُزْنُ يَطْفأُ عَن سَناها المُلْتَظِ
صَفْراءُ صِفرُ الكأْسِ مِن جُثْمانها تَتَخَطَّفُ الأبصارَ مهْما يُلحظِ
لازِلْتَ تَسلَمُ يابْنَ مسلمة الرّضا مُعطى الأمان من الخطوب البُهَّظِ

قوله : فى لِبْسَة التَّقْوى يعنى الحياءَ من قول الله تعالى « وَرِيشًا وَلِباسُ التَّقْوَى » [١] قيل الحياءُ . وقوله : محافِظى هو من الحِفْظِ والمُراعاة . ومُحْفِظى من الإحْفاظِ وهو الإغْضابُ . وقوله : فالهمُّ يَفْرَق يَرْتاعُ ويفْزَعُ والفَرْقُ لُغَةٌ فى المَفْرِق من الرأْسِ . وقوله : صِفْر الكأْس من جُثمانها الصّفْر الخالِيةُ والجثمانُ الجِسْمُ وفيه لُغَتانِ : جثمانٌ وجُسْمان .

فَجاوَبَهُ الوزير أبو عامر بن مسلمة بأَبْياتٍ بديعة الصفات بزيعة الكلمات وهي :

ياواحِدَ الأُدَباءِ غَيْرَ مُدافِعٍ ومَنِ اغْتدى فى الفهم ناراً تلتظى
وافانِيَ الشِّعْرُ البَديعُ نِظامُهُ فَأَزاحَ عَنّى كلَّ أَمْرٍ مُحْفِظِ
فخراً لوردِ الروضِ إذْحَازَ المَدَى بِبَدائعٍ مِنْ ذهْنِكَ المُتَيَقِّظِ
الوَرْدُ عِنْدى فى الخدود نفاسةً ورياسةً مَهْما يُقَسْ أَوْ يُلْحَظِ
هُوَ آخِرٌ ولَهُ التَّقَدُّمُ أَوَّلاً كمْ آخِرٍ قد حاز مفخَرَ مَن حَظِى
وقَد اعْتَمدتُ على الَّذى خبَّرْتَه فى نظْمك الزارى بلَفْظ اللفَّظِ
وفضَضْتُها صفراءَ يُعْشى ضَوْءُها حدَقَ العيونِ الرَّانيات اللحَّظِ

قال أَبو الوليد وأَهْدى إلىَّ صاحب الشرطة أَبو بَكْر بن القوطيَّة ثلاثَ وَرْداتٍ ليلة المْهرَجان وكتب إلىَّ مَعَها أَبياتاً أَنيقة المعْنى دقيقة المَغْزى وهي :

بَعَثْتُ بِأَغْرَبِ الأَشْياءِ طُرًّا وأَعْجَبِها لِمُخْتَبِرٍ ومُخْبِرْ

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٥ .

بوَرْدٍ ناعِمٍ غَضٍّ نَضِيرٍ   يَروقُكَ ناسِماً طَوْراً ومُبْصِرْ
أَتى فى المهْرَجانِ فكان فَوْقَ الْـ   ـبكِيرِ غَرابَةً وَهْوَ المُؤَخَّرْ
وإغرابُ المؤَخَّرِ عَنْ أَوانٍ   يجِيءُ بِهِ كَإِغْرابِ المُبَكِّرْ
وَلمَّا أَنْ غَشِيتُ الرَّوْضَ منْهُ   بروْضٍ فيكَ مِن مدحى منوّرْ
وقُلْتُ لَهُ اسْتَمِعْ لِحُلَى كَرِيمِ السَّـ   ـجايا منْتَقًى مِنْ سِرِّ حِمْيَرْ
تَفَتَّحَ مِنْ كمائِمِهِ وأَبْدَى   مِنَ النَّفَحَاتِ ماقَد كان أَضْمَرْ
فماءُ ثَنائكَ العالى سَقاهُ   ومِنْ أَخْلاَقِكَ العُلْيا تَفطَّرْ
فأُوسِعْهُ القَبُولَ ودُمْ عزيزاً   مَكيناً ما جَرى نَجْمٌ وغَوَّرْ

فلمّا ورَدَتِ الْوَرْدُ الثلاثُ عَلَيَّ ووصلَتْ إِلَيَّ بَعَثْتُ بِها إلى أَبى وقاه اللهُ بِى وكتبْتُ إليه معها أربعةَ أَبْياتٍ بديهة :

يامَن تَأَزَّرَ بالمكارِمِ وارتَدى   بالمجْدِ والفَضْلِ الرفيع الفائِقِ (١)
انْظُرْ إلى خَدِّ الرَّبيعِ مُركَّباً   فى وَجْهِ هذا المهرجان الرَّائِقِ
ورْدٌ تَقَدَّمَ إذ تَأَخَّرَ واغْتَدى   فى الحسْنِ والاحْسان أَوّل سابق
وافاكَ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِ حَيائِهِ   خَجِلًا لأَنْ حَيَّاك آخرَ لاحِقِ

وَلى أَيضا فيه قطعة موصولةٌ بِمدْح أَبى – أَبْقَى اللهُ علَيَّ ظلَّه وقَدَّمَنى إلى المنُون قَبْلَه – وهى :

إِنَّما الوَرْدُ فى ذُرى شَجَراتِهْ   كَأَجَلِّ المُلُوكِ فى هَيْئاتِهْ (٢)
رائِقٌ مَنْظَراً وَخُبْراً وفَذٌّ   فى حُلَاهُ الَّتى حَلَتْ وصِفاتِهْ
نَفْحَة المِسْكِ مِنْ شَذا نَفَحاتِهْ   خَجَلُ الخَدِّ مِنْ سنا خَجَلَاتِهْ

---

(١) الأبيات فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٣٢ ونفح الطيب (٣/٤٢٨) لابن الوليد إسماعيل بن حبيب .

(٢) الأبيات فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٣٢ .

مُزِجَتْ حُمْرَةُ اليَواقِيتِ بالدُّ ... رّ فجاءَتْ بِهِ على حَسَبِ ذاتِهْ
مِثْلَما جاءَ مِنْ سَماحٍ وبَأْسٍ ... خُلُقُ الحَمْيَرِىّ سُمّ عُداتِهْ
إنْ يَعِدْ فالْوَفاءُ حَتْمٌ عَلَيْهِ ... فَرْضُهُ فى صِلَاتِهِ كَصَلَاتِهْ

ولى قطعةُ نَثْرٍ كتبتُ بها إلى صاحب الشُّرْطَة أَبى الوليد بن العُثْمانِىّ وبَعَثْتُ مَعَها ورْداً مُبَكِّراً :

بعثْتُ بخُدودِ المَعْشُوقِينَ قَدْ أَدْمَتْها أَلْحاظُ العاشقين وأَدْمَنَتْ عَلَيْها ناظِرَة ، فَتَساقَطَتْ هكذا ناضِرَة ، فاحْكُم على العُيُون للخُدودِ على أَنْ لا تَعُودَ إلى الصدُود . والسلام .

قال أَبو الوليد : وحين استَوْفَيْتُ ما حَصَلَ عندى من الوَصْفِ لِلوَرْدِ أَبْدأُ بِذِكْرِ ما عثرْتُ عليه من المستحسَنِ فى وَصْفِ السَّوسَن فهو صاحب الوَرْدِ فى زمانه ومُشارِكهُ فى أَوانه .

السَّوسَن (١)

قال أَبو الوليد : يقال سَوسَنٌ وسَوسانٌ بالألف ودونها وَقَدْ تكرَّرَتْ فى الشِعْر اللُّغتانِ وتردَّدَتْ التَّسْمِيَتانِ .

فمن مليح ماجاءَ فيه وشُبِّهَ به قَوْل أَبى عُمَرَ أَحمد بن فَرَج الجيَّانىّ وهُو :

---

(١) أعجمى معرب ، وهو نوع من الزهور المعروفة وأجناسه كثيرة وأطيبه الأبيض ، وقد ورد فى كلام العرب قال الأعشى :

وآس وخيرى ومرو وسوسن ... إذا هِرَمْرٌ ورحت مُخشَّما

ولا يعرف له بنت فى بلاد العرب كما أشار أبو حنيفة الدينورى فى كتابه النبات ٥٤ بتحقيق محمد حميد الله .

بَعَثْتُ بِسَوسَنٍ نَضرٍ يَنِمُّ كَجُونَةِ العِطْرِ(١)
كَأَكْوُسِ فِضَّةٍ فِيها بَقايا شُهْلَةِ الخَمْرِ
أَوِ الوجَناتِ منكَ دنَتْ إلَى وَجَناتِىَ الصُّفْرِ

وللوزير الكاتب أبى مَرْوان بن الجزيرىّ فيه وصْفٌ مُفضَّلٌ لَهُ مُسْتَحْسَنٌ منْهُ وهو :

وَمُلَسَّنِ الطَّاقاتِ أبْيَضَ نَاصِعٍ ... يُزْهِى بِأَصْفَرَ مِنْ جَناهُ فاقِعِ
أَعْدادُ زَهْرَتِهِ إذا حَصَّلْتَها ... ستٌّ سِوى عدد الرقيب السَّابعِ
سكَنَت قَرارَةَ حِجْرِهِ كَلَفاً بِهِ ... كالأُمّ تَكْلَفُ بالصَّغيرِ الرَّاضعِ
صافِى الأَديمِ إذا تخَلَّق صَدْرُهُ ... بخَلُوقِ أَرْؤُسِها الذَّكِىّ المائعِ(٢)
أَهْدى الصَّبابَةَ والهوى بنَسيمِهِ ... وبَديعِ مَنْظَرِهِ الأَنيقِ الرَّائعِ
سَمَّوْهُ بالسَّوسانِ ظُلْماً واسُمهُ ... فى ما خَلَا ساسانُ غَيْر مُدافعِ
لما اسْتَذاعَ بفارس كَلِفت به ... أَمْلاكهُ فَدَعَتْهُ باسْمٍ شائعِ

الرقيب هو القائِمُ فى وَسَطِ السوسنة . وساسانُ اسْمُ مَلِك فارسِيّ أراد بهذا التمليحِ التَّنْويه يه والترفيعَ مِنْ قَدْرِهِ .

ومن المُسْتَنْدَر المُسْتَحْسَن فى وَصْفِ السَّوسن قوْلُ أَبى عُمرِ الرَّمادىّ وهُو :

سَوسَن كالسَّوالف البِيض لاحت ... لِمُحِبٍّ مُتَيَّمٍ مِنْ حَبيبِ
قَدْ أَعارَتْ عُيُونَنا كلّ حُسْنٍ ... وأَعارَتْ أُنوفَنا كلَّ طِيبِ
بَعْضُها عاشِقٌ لِبَعْضٍ فَبَعْضٌ ... لِمُحِبٍّ والبَعْضُ لِلْمَحْبُوبِ
فالحبيبُ المُبْيَضُّ مِنْها إذا اصْفَـ ... ـرَّ سِواهُ اصْفِرارَ صَبٍّ كَئيبِ

---

(١) الُجونه بالضم : سُلَيْلَة مغشاة أَدَما تكون مع العطارين .

(٢) الخلوق : ضرب من الطيب .

لَهُما ثالِثٌ أَنافَ كَواشٍ قامَ يَحْكِي هَواهُما كالخَطِيبِ
فَهُما وَهْوَ فى جميع المعانى كَحَبِيبٍ وعاشِقٍ وَرَقِيبِ

ولأبى بَكْر يَحْيَى بن هذيْل (١) فيه تَشْبِيه أنِيق وتَمْثِيلٌ دقيق وهو :

وَرُبَّ سَوسَنَةٍ قَبَّلْتُها كَلَفاً وما لها غيرُ نشر المِسك منْشُوقِ[٢]
مُصْفرَّةِ الوسْطِ مبْيضٍّ جوانِبُها كأَنَّها عاشِقٌ فى حِجْرِ معْشُوقِ

ولأَبى بَكْرٍ هذا فِيهِ قَبْلَ أَن يَتَفَتَّحَ وَصْفٌ استُحْسِنَ واستُمْلِحَ وهو :

فأَوَّلُ ما يَبدُو فَخَلْقُ سبيكَةٍ مُخَلَّصَةٍ بَيْضاءَ أَتْقَنَها السَّبْكُ
بَنَتْ نَفْسَها فوق الزُّمرُّدِ واقِفاً فلاحت كمثل الدُّرّ ضمَّنه السّلكُ
جَنى سوسَنٍ لَوْلا سنا بَشراتِهِ لما زَيَّن الأفواهَ ثَغْرٌ ولا ضَحْكُ

ولِبعْض شُعراءِ الأَندلُسِ وقد دَخَلَ على المنصور بن أبى عامر — رحمه اللهُ — وبيْن يَدَيْهِ ثَلاثُ سَوسَناتٍ إحْداها لم تفتّحْ . فسأَلَهُ وَصْفَها فقال بَعْد أَبْيات لم أَحْتَجْ إلىَ ذِكْرِها :

تبدو ثلاثٌ مِنَ السَّوسانِ قائِمةٌ وما تشكّى من الإعياءِ والكَسَلِ
فَبَعْضُ نُوَّاره بالحسنِ مُنْفَتِحٌ والبعضُ مُنغَلِقٌ عنهنَّ فى شُغُلِ
كَأَنَّها راحَةٌ ضَمَّتْ أَنامِلَها ممدودةٌ ملئتْ من جُودِكَ الخضِلِ[٣]
وأُخْتُها بَسَطَتْ مِنْها أَنامِلَها تَرجُو نداكَ كما عوَّدتَّها فَصِلِ

---

(١) مضت ترجمته ... .
(٢) البيتان فى نهاية الأرب (٢٧٦/١١) ورواية الأول منهما .
يارب سوسنة قَلَّبْتُهَا شغفا ومالها غير نشْر المسك من ريق
(٣) الخضِل : كل شيء ندٍ يترشّف نداه .

وقال أَبو عُمَر أحمد بن دَرَّاج القَسْطَلّى يصفه فأَحْسَنَ وأَبدَعَ وأَغْرَبَ واخْتَرَعَ :

إن كانَ وَجْهُ الرَّبيعِ مُبْتَسِماً　　فالسَّوسَنُ المُجْتَلَى ثَناياهُ (١)
ياحُسْنَهُ سِنّ ضاحِكٍ عَبِقٍ　　بِطِيبِ رَيَّا الحبيبِ رَيَّاه (٢)
خافَ عَلَيْهِ الحَسُودَ عَاشِقُهُ　　فاشْتَقَّ مِنْ ضِدِّهِ فَسَمَّاهُ
وَهْوَ إذا مُغْرَمٌ تَنَسَّمَـهُ　　خَلَّى على الأَنْفِ مِنْهُ سِيماهُ
كما يُخَلّى الحبيبُ غالِيَةً　　فى عارِضَىْ إلْفِهِ لِذِكْراهُ

قَوله : خاف عليه الحسُودَ البَيْت يعْنى أَنَّهُ سمَّاهُ سُوءًا وهو حسَنٌ خَوْفَ العَيْنِ والحَسدِ وهو تلميحٌ مُسْتَحْسَنٌ .

ولأَبى عُمر أَيضا فيه وَصْفٌ ثانٍ معدومُ المِثالِ ، مَوْسُومٌ بالجمال صحَّ عِنْدى أَنَّ عُبادَة بْنَ ماء السماء كان يقول : لم يُخْتَرَعْ بالأَنْدلُسِ فى مَعْنًى من المعانى كاخْتِراع القسطَلّىّ فى السوسان . وهو فى قطعةٍ مُطوَّلةٍ كتب بِها إلى المظفَّر بن أَبى عامِر أَنا ذاكرٌ منها ما تشبَّثَ بِذِكْر السوسَنِ من المستحسن وهو :

جهِّزْ لنا فى الرَّوض غَزوةَ مُحتسبْ　　وانْدِبْ إليها مَنْ يُساعدْ وانتدِبْ(٣)
واهزُزْ رِماحاً مِنْ تَباشير المنى　　واسلُل سُيوفاً مِن مُعتَّقة العنبْ
وانْصِبْ مَجانِيقاً مِن النِّيمِ الَّتى　　أَحجارُهنَّ من الرَّواطم والنُّخَبْ(٤)

---

(١) الأبيات فى ديوان ابن دراج القسطلى ٤١ ، ٤٢ .

(٢) فى الديوان (ريح) .

(٣) الأبيات فى ديوان ابن دراج القسطلى ٣٥ ، ٣٦ ، وفى الديوان (جهز لنا فى الأرض) .

(٤) المنجنيق : من الفارسى المعرب ، وهى آلة ترمى بها الحجارة وانظر الكلام حول الكلمة كتاب المعرب ٣٥٣ ، وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٦ .

والنيم : بكسر النون عند الأندلسيين القنينة أو الزجاجة ، وكذلك (الرواطم) فى عجز البيت كما أشار محقق ديوان ابن دراج والنيم : أيضا شجر يتخذ منه القداح .

لِمعاقل من سوسن قَدْ شيَّدَتْ   أيدى الربيع بناءَها فوق القُضُبْ
شُرفُاتُها مِنْ فِضَّةٍ وحُماتُها   حول الأمير لهم سيوف من ذهبْ
مُترقِّبين لأَمْرِهِ وقَدِ ارْتَقَى   خَلَلَ البناءِ ومدَّ صفحةَ مُرتقِبْ
كأَمِيرِ لُونَةَ قَدْ تَطَلَّعَ إِذْ دَنا   عبدُ المليكِ إليْهِ فى جيش لجِبْ
فَلئِن غنمت هُناكَ أَمثالَ الدُّمى   فهُنا بيوتُ المسك فاغنَمْ وانتَهِبْ
تُحَفاً لِشَعْبانٍ جَلا لَكَ وَجْهُهُ   عِوضاً من الورد الذى أهدى رجبْ
فاستَوْف بهجتَها وطيبَ نَسيمِها   فإذا دنا رمضانُ فاسجُدْ واقتربْ

الشُّرفات أوراق السوسَنِ ، والسيوف النواوير المصفرَّة فى أسْفَلِها والأمير القائِمُ وسط السوسنة وهو من الاختراعات الشريفة والابتداعات البديعة .

ولأبى بَكْر عُبادة بن ماء السماء إلى صديق لَهُ يستهديه سَوسناً أبْياتٌ وصفه فيها وصفاً مُستَحْسناً :

إنْ أَنْتَ أَنْعَمْتَ بِسَوسانْ   دُمْتَ بإنعــام وإحْسانْ
ماكانَ إلاَّ نَفْسَ إِنْسانْ   لَو كانَ نَفساً حَيوانيَّةً
تَخْضِبْ يديْها خوفَ غيْرانْ   كَأَنَّهُ أَنْمُلُ حَسْناءَ لَمْ

وأنشدنى لنفسه فيه الوزيرُ أبو عامر بن مسلمة أَبياتاً مطبوعةً مُحكَمةً وهى :

وسَوسَنٍ راقَ مَرآهُ ومَخْبَرُهُ   وجلَّ فى أَعْيُنِ النُّظَّارِ مَنْظَرُهُ (١)
كأنه أَكْؤس البِلَّوْر قد صُنِعت   مُسَدَّسات تعالى اللهُ مُظْهِرُهُ (٢)

---

(١) الأبيات ماعدا الأخير فى مطمح الأنفس ٢٠٥ ، وفى جلوة المقتبس ٦٥ ، ٦٦ ، وبغية الملتمس ٨٠ .

(٢) فى مطمح الأنفس (مُسَنْدسات) .

وبيْنها أَلْسُنٌ قد طُرِّفَتْ ذَهَباً   مِنْ بينِها قائِمٌ بالمِلْكِ تُؤْثِرُهُ (١)
كأَنَّهُ خَلْقُ مِيمٍ فى تَعقُّفِهِ   مِدادُهُ ذَوْبُ عِقْيان يُصَفِّرُهُ

وقال صاحب الشُّرْطَةِ أَبو بَكْرٍ بن القُوطِيَّةِ يصفه بِأَوْصافٍ سَرِيَّة وهي :

أَما تَرى الرَّوْضَ حِسا   بِيًّا نَحا إِقْلِيدَسَهْ (٢)
فَصَوَّرَ السَّوسنَ مِنْ   دائِرَةٍ مُسَدَّسهْ
مَذْهَبَةٌ مِنْ فِضَّةٍ   بِتِبْرِها مُلَبَّسهْ
واضِحَةٌ فاضِحَةٌ   صاحِبَها مُدَلِّسَهْ
إِنْ رامَ كَتْمَ لَثْمِها   وشَمِّها انْظُرْ مَعطِسهْ
تَجِدْ بقايا طِيبِهِ   بِأَنْفِهِ مُخْتَبِسهْ
وَفَوْقَها رَقِيبَةٌ   مِنْها لَها مُحْتَرِسهْ
نابِلَةٌ رامِحَةٌ   سائِفَةٌ مُتَرَّسهْ
كَانَ اسْمُها نَسُوسُ لَا   كِنْ قُرِئَتْ مُنكَّسهْ

قوله : وفوقها رقيبة يعنى القائِمة وسط السوسنة . نابلة ذات نَبْل جعل التى تحدقُ بالرقيبة فى أسفلها نَبْلًا ، وجعل أَيْضاً رماحاً فى قوله : رامحة . وسائقة يحتمل أَنْ يجعل الوسائعَ الصُّفْرَ التى حوْل الرقيبَة سُيوفاً ويحتمل أَن تكون السُّيوف الأَوراقَ البيضَ ، ومترَّسة ذات تُرْسٍ ولا شكَّ أنه من الأوراق البيض . وقوله : نَسُوسُ أراد مستقبل فعل الساسة وهو مليح فيه معْنى التنويه .

---

(١) فى المصدر السابق (طُوِّقت) .

(٢) إقليدس : عالم رياضة يونانى نشأ فى الإسكندرية فى عهد بطليموس (٣٢٣ – ٢٨٥ ق . م) وله كتاب الأصول فى الهندسة .

وللفقيه أبى الحسن بن علىّ فيه أوْصاف حسنةٌ وتشبيهات جَيّدة فمنها قوله :

أرىَ صُفرةَ السَّوسان فَوْقَ بَيَاضِه　　كَصَفْوِ مُدامٍ فى إناءٍ مُفَضَّضِ
بَدَامِثْل حُقِّ العاجِ فى فرعِ غُصنِه　　بأكْرم ملْبُوسٍ وأجْمَلِ معْرَضِ
ولمَّا دَنَا وقْتُ النّثارِ تَشقَّقَتْ　　نواويرُهُ عن حَلْى حُسنٍ له نُضى
كذاكَ حِقاقُ الحلْى صوْنٌ لما حوَت　　كِفاتٌ لَهُ مِنْ خَاتِلٍ مُتَعَرّضِ

قوله نُضِى بمعنى جُرِد . كفاتٌ له أى سِتْرٌ . قال اللهُ عزّ وجلّ « ألم نجعل الأرض كفاتاً » أى سِتْراً . وخاتِلٌ بمعنى خادِعٌ .

وأنشدنى أيْضاً لنفسه أحسن تَشْبيه موصولًا بمدح ذى الوزارتَيْن أبى عَمْرو عبَّاد — حرس الله نفْسه ، كما قدّس غرسه ، — وهو :

كأنما السَّوسَنُ الدُّرىُّ ألسنةٌ　　تُمجّدُ اللهَ مُجْرى التّبْرِ فى غَرْبهْ
أندى النواويرِ إن قَبَّلتَ صفحتَه　　حباك من طِيبه حظًّا ومِن ذهَبِهْ
وما أرى غَيْرَ عبَّاد لَهُ شَبَهاً　　فى الحسن والفوْح والمأثور من أدبهْ

ومن المُستَنْدَر المختار أبْياتٌ كَتَب بها أبو جعفر بْن الأبَّار وهى :

أنْعِم فقد حَسُن الزمانُ وأحْسَنا　　وتباهت عنْك الخُطوبُ لِتَفْطُنا
أو ما تَرى بُرْدَ الرَّبيع مُفوَّفاً　　يُصْبى العُيُونَ بمُجْتَلَى وبمُجْتَنى
والسَّوسنَ العَبِق الجُيوبِ تَخالُهُ　　مِن ناصع الكلفورِ صُوّرَ ألْسُنا
حَفَّتْ قُراضاتُ النُّضارِ مُجرَّداً　　مِنْهُ أقَلَّتْها قَصيراتُ القَنا
فكأنَّما أوْراقُهُ وكأنَّـهُ　　بِيضٌ سلِلْنَ لِقَتْلِ جانٍ قَدْ جنى

المجرّد هو القائمُ وسْطَ السوسنة . والقُراضات هى النواويرُ الصُّفْر فى أسْفلها ، وكأنَّهُ فى آخر بيْت كنايةٌ راجعة إلى المجرَّد ، وهو تشبيه قوِىٌّ وتمثيل سرِىٌّ .

ولأبى جعفر بن الأبّار أيضاً أبدع تشبيه وهو :

كأنَّما السَّوسَنُ الْغَضُّ منْظَراً حين يُلْحظْ
فِهْرٌ بِهاوُون درٍّ مُشطَّبٍ قَدْ تَعَضْعَظْ

الفِهْرُ القائِم وسْط السوسنة والهاوُونُ سائِرها . تعضْعظ مالَ وعدل .

ولأبى علىّ إدريس بن اليَمانىّ فيه أوصافٌ مستطرفة وتشبيهاتٌ مستظرفة منها قوله :

مُمهَّى الحسْنِ مشقوقُ الجيُوبِ لَهُ وجْهُ البَرىّ مِنَ الذُّنوبِ
تفرَّجَ عن مناكبه قميصٌ تفرُّج لَوْعةِ الدَّنِف الكئِيبِ
وقَد عُلَّتْ عِمامَتُهُ بِوَرْسٍ فقامَ بلَا خطابٍ كالخطيبِ
على أُنْبُوبِ كافورٍ يَراعٍ تَضَمَّن بَطْنُهُ يَنْبوعَ طِيبِ

المُمهَّى المرقّق . يقال أمهيتُ السيْف أُمهِيهِ إذا أرهفْتَهُ وجَلَوْتَه . وبَنَى القِطْعةَ كُلّها على وصْفِ القائِم وسْطَ السَّوسَنة .

ولأبى علىّ إدريس بن اليمانىّ أَيْضا قطْعَةٌ بديعة التَّشْبِيهِ مُوافقة الوصْف لكلّ مافيه وهى :

وضاحِكٍ كالْفَلَقِ عَنْ فَلَجٍ فى رَوَقِ
على حفافَىْ مِرْوَدٍ مُذَهَّبٍ مُنْدَلِقِ
كمُنتَجٍ مِنْ غَرَقٍ وخارِجٍ مِنْ نَفَقِ
بَيْنَ اصْفِرارٍ فاقِعٍ على ابْيِضاضٍ يَقَقِ
كأنَّما كِلاهُما فى راحةٍ أو طَبَقِ
بُرادَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فى وَرَقٍ مِنْ وَرِقِ

الفلج الفُرجة بَيْن الأَسْنان . والروق طُولها . والحفافان الجانِبان . وعَنى بالمِرْود القائِمُ وسْط السوسنة . والمُنْدَلِقُ الآتى المُنْدَفع .

قال أَبو الوليد : ولى فيه قطْعةٌ فيها اخْتِراعُ تَشْبيهٍ وصلْتُها بِمدْح الحاجب – حجبه اللّٰهُ لى عن النَّوائِب – وهى :

وسَوْسَنٍ يتهادى لِلأُنْسِ بالرَّاحتَيْنِ
نِعْم الْمُواصِلُ لَوْ لم يَعِدْ بِنَأْى وبَيْنِ
كأَنَّما خَلْقُهُ الْفَذّ خَسَّةٌ مِنْ لُجَيْنِ
أَوْ أَنْمُلٌ بَضَّةٌ مَّا تَرَكَّبَتْ فى يَدَيْنِ
وَبَيْنَها حارِسٌ لَا يَنامُ طَرْفَةَ عَيْنِ
عَلَا وأَشْرَفَ مِنْها على جَمالٍ وَزَيْنِ
كما عَلَا الحاجِبُ الْمُنْتَقَى على الشِّعْرَيَيْنِ(١)
مَلْكٌ بِهِ حالَ دَهْرى بَيْنَ الخُطوبِ وَبَيْنِى

قال أبو الوليد :

ووقَعتْ إلىَّ فى السَّوسَنِ الأَزْرق وهو الخرَّمُ صفات مُحْكَمَةٌ وتشبيهات متقدّمة .

الْخُرَّم (٢)

فمن بديعها ورفيعها قول الوزير أَبى عامر بن مسلمة وهو :

---

(١) الشِّعْرَى : كوكب نير يطلع عند شدة الحر ، وهما شعريان .

(٢) نقل ابن البيطار فى الجامع لمفردات الأدوية (٢/٥٦ ، ٥٧) عن ابن وحشية ما يفيد أن الخُرّمَ نبات ينبت فى البساتين ذو أوراق قليل العرض يحمل على زهر متفرق الورق ، ولونه بنفسجى بل هو أحسنُ من لون البنفسج له رائحة حسنة وهو كثير بأرض الفرس .

أَلَا حبَّذا السَّوسَن الأَزْرَقُ ويا حبَّذا حُسنُه المُونقُ
حكى لَوْنُهُ لَوْن فِيرُوزَجٍ جَرى وسطَهُ ذهبٌ مُشرقُ (١)

وللفقيه أَبى الحسن بن علىّ فيه أَبدعُ اخْتراعٍ وأَغْربُ تشبيه وهو :

لاح لى خُرَّم الصَّحارِى فَراق الـــــعيْنَ تدبيجُهُ العَجيبُ وورِدُهْ
جاءَ كالزَّائرِ . المُوافى لِوَعْدٍ بَعْدَ أَنْ طالَ بالأَحِبَّةِ عَهْدُهْ
أَطْلعتْ حُلَّتاهُ وشْياً وتِبراً زانَ ذا رَقمهُ وذا لَا زَوَرْدُهْ (٢)
أَىّ نَصلٍ يَفْرِى الحوادثَ لو دا م لجانِبِيهِ ماؤُهُ وَفِرنْدُهْ

وله أيضا فيه قطعةٌ موصولةٌ بِمَدْحِ أَبى — وقاهُ اللهُ لِى — وهى :

بَزَّ ثَوْبَ البَهاءِ واللَّأْلَاءِ زَهَرَ الرَّوْضِ خُرَّمُ الصَّحْراءِ (٣)
عافَ ثَوْبَ البَياضِ لَوْنَ أَخِيهِ وَتَردَّى بِحُلَّةٍ زَرْقـاءِ
لِتَراهُ العُيُونُ فى حُلَّةٍ يَحْـــــكِى سَنا نُورِها أَدِيمَ السَّماء
لو حواها الطَّاوُوسُ أَصبحَ لاشَـــــكَّ مُهَنًّا بِمُلْكِ طَيْرِ الهواءِ
عِزَّةٌ فى طباعِهِ وعُلُوٌّ قَدْ أَنافَا بِهِ على العَلْياءِ
كَحَبِيبِ ابْنِ عامِرٍ فَهْوَ فَذٌّ فى اقْتِناءِ العُلَى . وَكَسْبِ الثَّناءِ

ومن التشبيه السنىّ فيه والوصف السرِىّ له قوْلُ صاحب الشرطة أَبى بَكْر بن القوطيَّة وهو :

ومغرِب اللَّونِ فى مِسْلاخِ طاؤوسٍ فَيْرُوزَجِىّ بِصُنعِ اللهِ مغروسِ
كأَنَّما اخْتُلِسَتْ قَطْعاً غَلَائِلُهُ مِنَ الغَمائِمِ أَوْ فَضْلِ الحناديسِ (٤)

---

(١) نوع من الأحجار الكريمة، وهو المعروف بالفيروز تعريب بيرُوز وأصل معناه المبارك .

(٢) رقمه : فقه ووشيه ، واللازورد : فارسى معرب معدن من المعادن المشهورة .

(٣) الأبيات ماعدا الأول والأخير فى نهاية الأرب (١١/٢٨٠ ، ٢٨١) بدون عزو .

(٤) الحنادس : جمع حندس : الليل الشيد الظلمة ، وأسود حندس : شديد السواد ، والحنادس : ثلاث ليال فى آخر الشهر .

شَخْتِ المآزر لَاذِىّ الظَّهائِر قد أتاكَ يَرْفُلُ فى ثَوْبٍ لَهُ سُوسِى(١)
كأَنَّه كِسْفُ أُفْقٍ ما لَهُ حُبُكٌ أولا زَوَرْدٌ أَواذْناب الطَّواويسِ(٢)
كأَنَّ رشْحَ سقيطِ الطَّلّ أَوْسَطَهُ نَضْحٌ يَمُدُّ على آثارِ تَدْنيسِ(٣)
لا زَالَ فى مَجْلِسِى دَهراً بِهَيْئِته ولا توخّى اسْمُه شمْلى ولا كِيسى

إنَّما عمَّى فى البيْتِ الآخر الخُرَّمَ اسْمَهُ دعا ألَّا يتوخّى الخَرْمُ شمله ولا كِيسهُ .

قال أَبو الوليد : ولى فيه تَشْبِيهٌ طابَقَهُ وهو :

وخُـــرَّمٍ حُلْــوِ الحُلَــى يَبْـدو لعَيْنَـىْ مَنْ لَمَـحْ
تَلَوُّنـــاً وَمَنْظَـــراً كأَنّـــــهُ قَوْسُ قُزَحْ

قال أبو الوليد :

لم يقع إلىَّ فى السوسَنْين غيرُ ما أَوردْتُهُ . ومن النواوير المشاهير التى كثُر القَوْل فيها والوصْف لها نَوْرُ النَّيْلُوفرِ وأَنا مُودِعٌ بابه ما حصل عندى فيه من المستندَرِ .

---

(١) الشخت : الضامر خلقة ، ويقال فلان شخت ، وهو شخت العطاء : قليله .

(٢) الكِفْ : القطعة من الشىء ، والحبك : طرائق النجوم .

(٣) كتب فى الأصل تصحيح إلى جوار هذه الكلمة وهو (آناً) .

النيلوفر (١)

من السابق فى مْيدان التفضيل الفائق عند أهل التَّحصيل قول ذى الوزارتين القاضى الجليل أملَّه علىَّ وهو :

ياحُسن بهجة ذا النَّيْلوفَرِ الأَرِج   وطيب مخبرِه فى الفَوْحِ والأَرَجِ (٢)
كأَنَّهُ جامُ دُرّ فى تألُّفِهِ   قدأَحكمواوسْطه فصًّا من السبج (٣)

ولَهُ - أعزّهُ الله وأذلَّ عِداه - يصفه بوصفَيْن غريبَيْنِ ويُشَبِّهُهُ بتشبيهَيْن عجيبَيْن فى قطعة واحدة وهى :

كأَنَّمـا النَّيْلُوفَـرُ الْـــــمستحسَن الغضُّ البَهِجْ
مُقْلَـةُ خَوْدٍ مُلِئَتْ سِحْراً وغُنْجاً ودَعَجْ
أَوْ خاتَمٌ مِنْ فِضَّةٍ وفَصُّهُ مِنَ السَّبَــجْ (٤)

---

(١) جاء فى كتاب الجامع لمفردات الأدوية (٤/١٨٦) ما يفيد أن النيلوفر اسم فارسى معناه النيلى الأجنحة والنيلى الأرياش وهو نبات ينبت فى الآجام والمياه القائمة ، ومنه ما يكون داخل الماء وله ورق كثير مخرجه واحد ، وزهر أبيض شبيه بالسوش وسطه زعفرانى اللون وذكر صاحب كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٥٥ أن أصل الكلمة الفارسية هو نِيلُوبر ، وهو مركب من (نيل) وهو الذى يصبغ به ، ومن (ير) وهو اسم الجناح فكأنه قيل مجنح نيل لأن الورقة كأنها مصبوغة الجناحين .

(٢) البيتان فى مطمح الأنفس ١٧٢ ، ١٧٣ ، ورواية صدر البيت فيه :
(ياناظرين لذا النيلوفر البهج)   وكذلك فى نفح الطيب (٤/٢٢٨)
وفى الحلة السيراء (٢/٣٩) للوزير أبى القاسم محمد بن عباد ، وانظر ترجمته هناك ، ورواية صدر البيت فى الحلة (ياحسن منظر ...) .

(٣) فى مطمح الأنفس ، ونفح الطيب ، والحلة السيراء (تألّقِه) .

(٤) السَّبج : خرز أسود .

شبَّه فى البيت الثانى بالعيْن فى السواد الذى بين بياضه وهو أولى بهذا التشبيه ، وأحقُّ أن يصاغ فيه من كلّ ما شُبِّه بالعين من البهار وغيره الذى لا سواد فيه يؤيّد حقيقة تشبيهه ، وينصر صحّة تمثيله ومثل هذا التشبيه المعدوم الشبيه والتمثيل المنقطع المثيل لو وقع لمشتاق بصناعة الشّعر عاكف على صناعة النَّظم مُجهِد نفسَه فيها مُعان لمعانيها لاستُغرب غاية الاستغراب واستُعجب نهاية الاستعجاب . فكيف ترى فضلَه وتُعاين نُبلَه وهو لايعانى هذا ولا يتفرّغ له . وإنَّما هو عفوُ سجِيَّتِهِ وفيْضُ بديهتِه — صانَ اللهُ لنا حِذقَه كما أَوْجَبَ علينا حَقَّه .

وقال أبو عمر يوسف بن هارون الرماديّ يصفه فأبدع بدَعاً فى قطْعة جمعت الجزالةَ والرِّقَّةَ معاً وهى :

إِذا سَقَى اللهُ رَوضَةً مَطَراً　　فَخَصَّ بالسَّقْى كلَّ نَيْلُوفَرْ
تَسْتُرُ أَوْراقُــهُ زُمُــرُّدَهُ　　لَيْلًا وَعِنْدَ النَّهارِ لَا تَسْتُرْ
خافَتْ عليه اللُّصوصَ فاشْتَمَلت　　عليه لَيْلًا مِن خَوفِ أَن يظْهَرْ
إِذا الزَّنابِيرُ مِنْ مَغالقه　　لَمْ تَتَحَفَّظْ فَبيْنَها تُقْبَرْ
كَأَنَّ أَجْفانَهُ جفون الَّذى　　أَهْواهُ لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تسهَرْ
كَأَنَّها كُؤُسُ فِضَّةٍ فُرِشَتْ　　قِيعانُها بالزُّمُرُّد الأَخْضَرْ
تَنْعَمُ فى حُسْنِهِ ونَكْهَتِهِ　　فَأَنْتَ فى مَنْظَرٍ وفى مَخْبَرْ

الزنابيرُ جمع زُنْبُور وهى النحلُ ، وإنما عنى بالبيْت انْغِلَاقَ أوراقه ليلاً ، وقصد النَّحْلَ دون غيرها لأَنَّ النيلوفَرَ يُسَمَّى قاتِل النَّحل لطلبها أبداً أَكْلَ ما داخِلَ أَوراقِهِ فربّما فعلَتْ ذلك وقْتَ انغلاقِهِ فامتنعت من الخروج .

ولم أَرَ لكلّ مَن صنع فيه وعُنى بوصفه ذِكْر أَمرِ الزَّنابِير إِلَّا للفقيه أبى الحسن بن علىّ فى قطعةٍ عجيبة أُنشدنيها وهى :

ما لِنَيْلُوفَرِ الحدائق يَقْظا ... نَ مَعَ النّور هاجعاً فى ظَلَامِهْ
أَشْبَهَ الإِنْسَ فى تَصرُّفِ حالَيْـــــــه ... ووَقْتَىْ سُهادِهِ ومَنامِهْ
وتوقّيهِ فى الدَّياجى بإِغْلَا ... قِ نواويرِه وضَمِّ كِمَامِهْ
لَقَّبُوهُ بِقاتِلِ النَّحْلِ لَمَّا ... أَبْصروا النَّحْلَ مَقصَداً لسِهامِهْ
لم يَجُرْ فى القِصاصِ إذ ذلك لِصٌّ ... سارِقٌ بالنَّهارِ شُهْدَ خِتامِهْ

وللوزير الكاتب أبى الأصبغ بن عبد العزيز فى انْغِلَاقِهِ تَشْبِيهٌ دقِيقٌ وتمثيلٌ أَنيق وهو :

ونَيْلُوفر فاقَ فى فَضْلِهِ ... صُنُوفَ النّواويرِ مِنْ مِثْلِهِ
وفاتَهُـــمُ بالَّـــذى حازَهُ ... كما قَصَّر الكُلّ عَنْ نَيْلِهِ
يُبِيـــحُ نَهَـــاراً لِزُوّارِهِ ... مُحَيًّا يُرَغِّبُ فى وَصْلِهِ
ويَمْنَعُ باللَّيْلِ مِنْ وَجْهِهِ ... لِيَأْخُذَ بالحزْمِ فى فِعْلِهِ
كبائِـعِ عطْرٍ بحانُوتِـــهِ ... ضياءَ النَّهارِ إلى لَيْلِـهِ
فَإِنْ جاءَهُ اللَّيْلُ أَفْضى بِهِ ... إلى سَدِّهِ وإلى قَفْلِـهِ

وأَنشدنى لنفسه فيه الوزير أبو عامر بن مسلمة أَبياتاً رائقة تضمَّنت أَوصافاً رائعةً موصولةً بمدح الحاجب – لا أَعْدمنا الله جاهَه كما أعدمنا أشباهَه :

ياحَبَّـذا النَّيْلُوفَـرُ الطَّالِـعُ ... ومُجْتَلَاهُ النَّاضِرُ النَّاصِعُ
كأَنَّهُ مَخْزَنَةٌ مِنْ مَهًـا ... فى وَسْطِها زُمُرُّدٌ ساطِعُ
وحَوْلَـهُ أَلْسنـــةٌ سِتَّـــةٌ ... مِنْ فِضَّةٍ أَتْقَنَها صانِعُ
كلّ لسان أَبْيَضٌ ناصِعٌ ... والطَّرْفُ مِنْهُ أَصْفَرٌ فاقِعُ
قامَ على خَضْراءَ مِنْ سُوقِهِ ... فكلّ إبْريـق لَهُ راكِـعُ
رُكُوعَ أَمْلَاكِ الوَرى لِلَّذى ... نَداهُ دانٍ والحيا شاسِعُ

ذاكَ ابْنُ عَبَّادٍ سَلِيلُ العُلَى   الحاجِبُ المُرْتَفِعُ الرَّافِعُ
دامَ دَوَامَ الدَّهْرِ فى عِزَّةٍ   تَبْقى ويَبْقى الحاسدُ الخاضِعُ

وللفقيه أبى الحسن بن علىّ فى تشبيه لَوْنَيْهِ وصفٌ مُتَناهٍ ليس له مُوازٍ ولا مُضاهٍ وهو :

كأنما زَهرة النَّيلوفَر اخْتَلَسَتْ   قِطْعاً من اللَّيل قد حفَّ الصباح بِهِ
فالنُّوْر منقطعٌ عنٍ جزم عُنصُرِهِ   واللَّيْلُ مُمْتَنِعٌ من حكْم غَيْهَبِهِ
فِعْلٌ أَشتَّهُما مِن أَصْلِ طَبْعِهما   ماذا تألَّفَ مِن شَمْلِ الجمالِ بِهِ

ولصاحب الشُّرْطَة أبى بكر بن القُوطِيَّة فى جميع أحواله وصْفٌ أعرب عن كماله وهو :

وذاتِ جِسْمٍ كاللُّجَيْـــنِ المنْسَبِكْ (١)
مُبْيَضَّةِ الأثوابِ مِنْ نَسْجِ البِرَكْ
خُضْرٌ سَراوِيلاتُهـا خُصْرُ التِّكَكْ
كَأَنَّمـــا العَنْبَـــرُ فيها قَدْ فُرِكْ
والـمِسْكُ فى قِيعانِهـــا امْـــتَسَكْ
ناسِكَـــةٌ نَهارُهـــا مَعَ الـــنّسُكْ
حتَّى إِذا اللَّيْـلُ تَدانَـى واشْتَـرَكْ
وآن أَنْ يَأْتِى المُحِبُّ المُنْهَتِكْ
غَلَّقَتِ البابَ وقَالتْ هِيت لَكْ (٢)

ومن السّحْر المنْتحَلِ والكلام المنْتخَلِ فى حالاتِهِ كلّها وصفاتِه

---

(١) اللُّجين : الفضة .

(٢) هيت لكَ : أى أَقْبِل وهَلُمّ ، وقيل هَيْتُ لك وهَيْتِ بضم التاء وكسرها ، وانظر تفصيل ما ورد حولها من أوجه فى لسان العرب مادة (هيت) .

بِأَسْرِها ما أَنْشَدنيه لنَفْسه أبو جعفر بن الأبار مَوْصُولاً بمدح ذى الوزارتَيْن القاضى – أدام اللهُ أيَّامَهُ وأسبغ علينا أنعامَه – وهو :

وناصِعِ اللَّوْنِ أَسْوَدِ الحدَقَهْ   جُفونُهُ بالعِشاءِ مُنْطَبِقَهْ
كَذِى دَلَال لم يَسْتَطِعْ أَرَقاً   فَنامَ والنورُ واصل أَرَقَهْ
هامَ بِهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ مَعاً   فَصَدَّ عَنْ ذا وَخَصَّ ذا مِقَهْ (١)
لا تَمْتَروا فى الَّذى تَضَمَّنَهُ   تلْكَ سُوَيْداءُ قَلْبِ مَن عَلِقَهْ
نَيْلُوفَراً أُحْكِمَتْ بَدائِعُهُ   لا يَحْتَوى خُلْقَهُ ولا خَلَقَهْ
طاهِرُ ثوبٍ كأَنَّ خالقَهُ   من عِرض قاضى القضاة قد خلَقَهْ
سَلِيلُ عَبَّادٍ الَّذى حَشَمَت   مِنْهُ وَجُوهُ السَّحائِبِ الغدقَهْ (٢)
المجْدُ أُفْقٌ غَدا لَهُ قمراً   والحَقُّ حُقٌّ حَوَى بِهِ طَبَقَهْ

ومِمَّا يُشاكِلُ هذا بداعةً ويشبهُهُ بزاعة قوله أيضاً فيه موصولا بمدح ذى الوزارتَيْن أبى عَمْر عَبَّادٍ – أَعزَّه اللهُ وأَحْسَنَ ذِكْراه – وهوَ :

إذا النَّوْرُ خُصَّ بِمَدْحٍ فما   لِنَيْلُوفَرِ الرَّوْضِ لا يُعْبَدُ
وأوراقُهُ كَعْبَةٌ مِنْ لُجَيْنٍ   تَوَسَّطَها الحَجرُ الأَسْوَدُ
تَوَسُّطَ عَبَّادٍ المُرْتجى   لظى الضَّربِ والحربِ إذ تُوقَدُ
هُمامٌ إذا هَمَّ أَضْحَتْ لَهُ   مُتُونُ الظُّبى والقَنا تُرْعَدُ
إذا شِئْتَ وِجْدانَ أَفْضالِهِ   وجَدتَ وَشَرْواهُ لا يوجَدُ

قوله : وشَرْواهُ الشَّروى المِثْلُ .

وأَنْشَدَنى أَيضاً لنفسه فى تشبيه خَلْقِهِ وخُلُقِهِ بَيْتَيْنِ سَرِيَّيْنِ وهما :

---

(١) الأَمقهُ من الناس : الذى يهيم على وجهه لا يدرى أين يتوجه ، والمكان القفر لا ينبت فيه شجر .

(٢) من الحشمة : الحياء والانقباض ، احتشم منه وعنه وحشمه وأحشمه : أضحله .

كأَنَّ نيْلُوفَرَ الرّياضِ إذا ما اللَّيلُ أَدْجى أَو همَّ أَن يُدْجى [١]
رَوَّضَةٌ بَضَّةٌ مُنعَّمـــــةٌ تَضُمُّ طِفْلًا لها مِنَ الزَّنج [٢]

وِمما شُبّه أَيضاً فيه أَسْوَدُهُ بالزَّنجِيّ قولُ أَبى القاسم البَلَمِيّ [٣] وهو تَشْبيهٌ مُفضَّلٌ لَهُ مستحسن منه وهو :

ونَيْلُوفَرٍ غَدا يُخْجِلُ الرَّا نى إلَيْهِ نَفاسَةً وغَرابَهْ [٤]
كمليك الأُحبوش فى قبة بيـــــضاءَ يَرنو الدّجى فيغْلق بابَهْ [٥]
جِنْحُ لَيْلٍ لما تَجسَّمَ شَخْصاً قدَّ مِن صَفْحَةِ الضُّحى جِلْبابَهْ

الأُحْبُوش لُغَةٌ فى الحَبَش .

قال أَبو الوليد : ولى فى لونيه وصف ربما طابق وتمثيل عساه وافَق وهو :

وروضَةٍ رَضِيَتْ عَنْ صوْبِ الحيا المُستَمِرّ
فأَظْهَـرَتْ نَوْرَ نَيْلُـوفَرٍ مُنِيـرٍ أَغَـرّ
كمِحْبَـرٍ مِنْ لُجَيْـنٍ فِيـهِ بَقِيَّـةُ حِبْـرِ

قال أبو الوليد : قد أَكملْتُ من النواوير ما وقعَ إِليَّ فيه الوَصْفُ

---

(١) دجا الليل دجواً دُجواً : أظلم .

(٢) البضّ : الرقيق الجلد الممتلىء، فى الذخيرة (للزنج) .

(٣) مضت ترجمته .. .

(٤) البيتان الأول والثانى فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢١٤ ورواية صدر البيت فيها (يخجل الرائى) .

(٥) فى الذخيرة (يدنو) .

الكثير وبقيت نواوير وقعت إليَّ فيها أوصافٌ ، يسيرةٌ ، وقِطَع قليلة ولكنّى أذكرها على عِلّاتها ، وأورِد منها ما حسُنَتْ تشبيهاتُه وجادت صِفاته فمنها نوْرُ اللوز .

نور اللوز

كاد أن يكون أبكَر النَّواوير ، وأوّل الأزاهير ، ولم أعامِلْه بالتأخير إلَّا لقلَّة الوصْفِ له والقول ، وذلك كلّ ماياْتى ممَّا يبكّر ، وإنما عَرَضَ له التأخير من أجْلِ قِلَّةِ القَوْل فيه والتشبيه له . فممّا استُحْسِنَ فى نَوْرِ اللَّوْز قِطْعَةٌ فائقَةَ الوَصْفِ رائقَة الرَّصْفِ أنْشدنيها لنفسه صاحب الشرطة أبو بكر بن القوطيَّة موصولة بمدح ذى الوزارتين أبى عمرو عَبَّادٍ أعزَّهُ الله :

وأبْيضِ اللَّون ذِفلىّ غلائله   عَلَيْهِ مِن نَسْجِ كانونَيْنِ أبرادُ
يقُولُ مُبْصِرُهُ سُبْحانَ فاطِرِهِ   كيف استَقلَّت بهذا الحسن أفرادُ
يزورُ والنَّوْرُ لم تَفْتَحْ كمائِمُهُ   ولَا تَقَدَّمَهُ لِلزَّوْرِ مِيعادُ
كأنَّهُ رائِدٌ أو طالِعٌ نُجُداً   أو قائِدٌ وصُنُوف النَّوْرِ أجْنادُ
تُشبِّه الخوخُ فى حُسنِ النوَّارِ به   ياقوْمُ حتَّى من الأشجارِ حُسَّادُ
نورٌ حَوى قصَبَ المضمارِ منفرداً   كما حَوَى قصَباتِ السَّبْقِ عَبَّادُ
الطَّاعِنُ الخيلَ قُدماً والقنا قَصِدٌ   والسَّيفُ مُنْقَصِفٌ والرُّمْحُ مُنآدُ(١)
والموقدُ النَّار جوداً للضُّيوف وَقَدْ   جَفَّ المرادُ وخفَّ الرحلُ والزادُ

وللوزير أبى عامِر بن مَسْلَمة فيه أَبياتٌ حسنةُ السَّبْك جيّدة الحبك وهى :

يازَهَرَ اللَّوْزِ لَقَدْ فُقْتَ فى الْـ   ـإِحْسانِ والحسْنِ فأنْتَ البَديعْ

---

(١) القَصِد من الرماح : المتكسر ، ومنآد : من أود كفرح يأود أوداً : اعوجّ ، والنعت آوَدُ وأوداء ، وأُدْتُه فانآد ، وأوَّدْته فتأود : عطفته فانعطف .

قد حُزتَ حُسْنَيْنِ وحازَت نوا ... ويرِ الرُّبى حُسْناً فأنْتَ الرَّفِيعْ
تَعْلُو بَهارَ الرَّوضِ حُسْناً فَقَدْ ... أصبحْتَ مخْصوصاً بحُبِّ الربيعْ
قَدْ أمَّكَ الوُصَّافُ إذا شَبَّهُو ... غَيْرَكَ بالخدّ وجارَ الجمِيعْ
.... كالْمَشْرَب فى حُمْرَةٍ ... مَنْ يَرَهُ أصْبَحَ لا يَسْتَطِيعْ (١)
..... قُلْتُ إذ عايَنُوا ... جمالَكَ النُّورَيْنِ عِنْدَ الطُّلُوعْ
..... النَّواوِيرَ اغْتِلاءً فما ... فى زَهْرِها غَيْرُ سَمِيعٍ مُطِيعْ

قال أبو الوليد :

وقع إليَّ فى نَوْر الأُقحوان قطع تستولى على ميدان الأحسان أنا ذاكِرٌ جُملَتَها ومُورِدٌ جميعها .

الأقحوان (٢)

قال أبو الوليد : أنشدنى لنفسه فيه الوزير أبو عامر بن مسلمة بيتين بديعين فى التمثيل رفيعين فى التَّشبيه وهما :

وأُقحوانٍ راقَنــى نَوْرُهُ ... إذ ظَلَّ يرنو بعيُون حسانْ
كأنَّهُ مُدْهُنَةٌ مِنْ مَهًا ... محكَمةٌ فى وَسطها زَعْفرانْ

وللفقيه أبى الحسن بن علىّ فيه قِطْعَةٌ معجِبَة تضمَّنَتْ أوصافاً

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) جاء فى معجم الألفاظ الزراعية ١٥٩ مايفيد أن الأقحوان جنس من زهر مشهور من الفصيلة المركبة يسمى زهر الغريب فى دمشق وأراولة فى مصر والكلمة العلمية معناها زهرة الذهب ونقل ابن البيطار فى كتابه الجامع لمفردات الأدوية (١/٤٨ ، ٤) عن ديسقوريدوس ما يفيد أن للأقحوان ورقة شبيهة بورق الكزبرة وزهر أبيض والذى فى أواسطه أصفر وله رائحة فيها ثقل وفى طعمه مرارة ، وأشار أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات ٢٠٣ بتحقيق المستشرق الألمانى برنهارد — إلى أن الأقحوان من رياحين البر وهى طيبة الريح ، وذكر عن الأعراب أنه البابونج وكذلك عند الأصمعى ، ويجمع على أقاح قال القطامى :

وما ريح روض ذى أقاح وحنوة ... وذى نفل من قلة الحزن عازب

مغربةً موصولةً بمدح ذى الوزارتين القاضى – أطال الله بقاءَه وأدام فى درج العزّ ارتقاءَه وهى :

إذا مُيّزَتْ أنْوارُ كلّ خميلَةٍ　　فَنورُ الأَقاح الغَضّ منها ثغورها
تألّقْنَ دُرًّا فوق أغصان سُنْدُسٍ　　ونكْهَةَ طِيبٍ بالصَّبا تستثِيرُها
شكت قَضفاً بيْنَ النّواوير فاتَّقت　　وجاءَت إلى غُدْرانِها تَسْتَجيرُها
بنُور ابن عبَّاد أضاءَت وأشرَقَتْ　　ومن وجهه السَّامى تألَّف نورها
ولَوْ أمَّلَتْهُ واسْتَجارَتْ بِقُرْبِهِ　　لَذَلَّ مُناوِيها وَعَزَّ نَصِيرُها

قوله : شَكَت قَضَفاً القَضَفُ الرّقّة . وهو تمليحٌ مليحٌ فى صحبتها الغُدُر وربَّما كانت فى غَيْرِها .

ومن المستطرف المستظرف قوله :

كأنَّ نَوْرَ الأَقاحى　　دُرٌّ تَضَمَّنَ عَسْجَدْ
أو لُؤْلُؤٌ حول صُفْرٍ　　مِنَ اليَواقِيتِ نُضِّدْ
وقد بدا فى غُصُونٍ　　مُخْضرَّة كالزَّبَرْجَـــدْ
تُهْدى لكَ المِسْكَ فَوْحاً　　مَعَ الأَصائِلِ والنَّدْ
يَزِيدُهُ اللَّحظُ حُسْناً　　والعَيْنُ نُوراً مُجَدَّدْ

ومن السابغ بُرد كماله ، السائغ وِرد جماله ، قول أبى جعفر بن الأبار فى بِركَةٍ على جوانِبِها أُقحوانٌ وهو :

وبِركَةٍ بالأَقاحِ مُحْدَقَة　　تُخالُ رِيحُ الصَّبا بِها صَبَّهْ
يَحُلُّ فيها الحبابُ حُبْوَتَهُ　　إذا جَرَتْ لِلصَّبا بِها هَبَّهْ
كأنَّها راحَةٌ بِها غَضَنٌ　　حَفَّتْ مِن الدُّرّ حَوْلها لَبَّهْ

شبَّه تكسُّر الماء براحة وهى الكفّ فيها غَضَنٌ والغَضَنُ التَّشنُّج

والتكسُّر . وشَبَّهَ ابْيِضاضَ الأُقحوانِ واتّصالَه وإحداقَهُ بالبركة بَلَبَّةِ دُرّ . واللَّبَّة العِقد العالى سُمِىّ بموضعه من الصَّدْر .

ولأَبى القاسم البَلْمِىّ فيه تشبيهٌ حسنٌ أنشدنيه وهو :

راقَ عيْنَىَّ منْظَرُ الأُقْحوانِ   بِنَفِيس اللُّجَيْنِ والعِقْيانِ
كفُّهُ بالحبيبِ سَوَّكَ فاهُ   بعد عُودِ الأراكِ بالزَّعْفرانِ

قال أبو الوليد : ولى فى بِركَةٍ عليها أُقحوانٌ تشبيهٌ تضمَّنَه بيتان وهما :

.... بالثَّرى صَيْرَفِىٌّ لَهُ   نُطُوعٌ مِن اللَّازَوَرْدِ البَديعْ (١)
.... بُ فيه مِن الأُقحوا   ن درهمٌ مِن ضرب كفِّ الربيعْ

هذا ماعثرتُ عليه وانْتهيْتُ باجتهادى إليه فى نَوْر الأقحوان من التَّشبيهات الحسان .

وحين أَكملْتُه أُورِدُ ماوقع إِلىَّ من المستندر فى الشَّقِر .

الشقر

ويُسمَّى شقائِقَ النُّعمان (٢) وسأَذكُرُ ما رأَيتُ مِن التَّشبِيه فى هذا الباب إِن شاء الله .

---

(١) بياض فى الأصل ، وكذلك الشأن فى الشطر الذى يليه .

(٢) نقل ابن البيطار فى كتابه الجامع لمفردات الأدوية (٣/٦٤) عن ديسقوريدوس مايفيد أن الشقائق صنفان برى وبستانى ، ومن البستانى ما زهره أحمر ، ومنه ما زهره إلى البياض ، وله ورق شبيه بورق الكزبرة إلا أنه أدق ... والبرى منه أعظم من البستانى وأعرض ورقا ... ولن زهره أحمر ، ومنه ما لون ورقه أسود وأصفر ، وانظر كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى . بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ص ٧٠ .

فمن جيِّد التشبيه فيه وحُسْن التمثيل له قول الفقيه أبى الحسن بن علىّ موصولا بمدح ذى الوزارتين القاضى – كَبَتَ الله أعداءَهُ وأدامَ عليهم إعداءه – وهو :

إنَّ الشَّقائق مِن حُمر الخدود قد اشـــــتُقَّت ومسْودُّها من حالك اللّممِ[1]
كأنها فى المُروجِ الخضرِ أبْنِيَةٌ حمرٌ قد اصطُلمت من قانئ الأدمِ[2]
يابْنَ الَّذى قد حَماها فى منابِتِها فلم تَزل فى حمًى مِنْهُ وفى حَرَمِ
معْرُوفَةٌ باسْمِه فى كلّ مُطَّلِعٍ مَحفُوظَةُ المنْتَهى مَرْعِيَّةُ الذّممِ
جدّدْها من وكيد العهد حُرمتَها وصِل لها مُحدَث الإكرام بالقِدمِ

قوله : يابن الذى قد حماها يخاطب ذا الوزارتين القاضى – أعزَّه الله – لأنه ابن النعمان الملِك الذى نُسِبَتْ إليه الشقائِقُ وجاء فى الخبر قال : خرج النُّعْمَان يوماً فمشى حتَّى انتهى إلى الظُّهْرِ ، وقد اعْتَمَّ بِنَبْتِهِ مِن أحْمَرَ وأصْفَرَ وإذا فيه من هذه الشقائِق شىءٌ لم يُرَ مثلُه . فقال : احمُوها فحمَوْها فَسُمّيَتْ شقائِق النعمان بذلك حكى هذا أبو حنيفة ورفعه إلى أعْشَى (قيس) [3] وكان حاضِرَ النعمان يومئِذ .

وله أيضاً فيه أبْياتٌ عجيبةٌ ضمَّنها هذا المعنى وهى :

أصْبَحَتْ طُلَّعُ الشَّقائِقِ نَهْباً لِجُناةِ الوَرى بِكلّ طَرِيقِ

---

(١) الأبيات فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ٢٠١ يمدح المعتضد .

(٢) فى الذخيره (آنية) .

فى المصدر السابق (واضطربت) .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

لَوْ أُعِيدَ النُّعْمَان حَيًّا لَراعى غَيْرَ وَانٍ لها مضاع الحقُوقِ
وكأنَّ السَّوادَ فيها غَوال بُسِطَت فى مَداهِنٍ من عَقيقِ
أوْ نَثِيرٌ من طَيِّب المسك محضٌ صُبَّ بالعَمد فى كؤوس الرَّحيقِ

ومن الصِّفات السَّنيَّةِ المحكمةِ قول الوزير أبى عامر بن مَسْلَمة وهو :

يانَـديمى قُم اصْطَبِـحْ وعلَى العُـودِ فاقْتَـرِحْ
إنَّمـا العَـيْشُ بالسَّمــا عِ وبالنَّــايِ والقَـدَحْ
وتَأَمَّـلْ حُسْنَ الشَّقــا ئِقِ تَنْشَطْ إلى المدَحْ
مِثْلَ كَأْسِ العَقِيقِ فى قاعِـهِ الـمِسْكُ يُلْتَمَـحْ

ومن الصِّفات المسْتَحْسَنَة فيه قول صاحب الشرطة أبِي بَكْر بن القوطيَّة وهى :

وحالِكِ اللَّوْنِ كَلَوْنِ المِسْكِ كأنَّما أحْداقُهُ مِنْ سُكِّ (١)
مُدَّرِعٍ ثَوْباً دقيق السِّلْكِ كأنَّمـا صِباغُــهُ باللَّكِّ (٢)
أزْرَى بلوْن الوَرْد لو ما يَحكى نَسِيمُهُ كانَ بِغَيْرِ شَكِّ
مابَيْنَ أنْوارِ الرُّبى كالْمَلْكِ

قال أبو الوليد : ولى فيه بيتانُ رُبَّما انفردا بِتَشْبِيه وهما :

رِياضٌ يُحَيِّها الحيا بانْسِكابهِ فتَسْفِر للنُّظَّارِ عن مَنظَرٍ نَضْرِ
... تْ فيها الشَّقائِقُ خِلْتَها شعور العذارى لُحن فى الخمر الحمرِ (٣)

---

(١) السُّك : البئر الضيقة ، ومن الطرق : المسند ، والسّك : طيب يتخذ من الرامك من فوقاً منخولاً معجونا بالماء ويعرك شديداً ويمسح بدهن الخيرى لئلا يلصق بالإناء ، ويترك ليلة ، ثم يسحق المسك ويُلْقه ويعرك شديداً ويقرّص ويترك يومين ثم يثقب بمسلة وينظم فى خيط ويترك سنة وكلما عتق طابت رائحته .

(٢) اللّك : نبات يصبغ به .

(٣) بياض فى الأصل ولعل تقدير ذلك (إذا أزهرت) .

.... (١) الشّقائِق على غَيْرِها أوْردتُ ولا وجدتُ فى وصفها سِوى ماذكرت .

ووقَعَتْ إليَّ فى نَوْرِ الباقِلَاء صِفاتٌ جَيِّدَةٌ وتشبيهاتٌ حسنَةٌ أذكرها بأسْرها وأوردُ جميعَها .

نور الباقلاء (٢)

فمن بديع ماقيل فيه ورفيع ما شُبِّه به قول صاحب الشرطَة أبى بكر بن القوطيَّة وهُو :

وبَنات لِلْباقِلَاءِ تَبَدَّتْ كعُيونٍ تَفَتَّحَتْ مِن رُقادِ
فَبياضٌ مِنْها مكانَ بَياضٍ وسَوادٌ مِنْها مكانَ سَوادِ

وقال أبو جعفر بن الأَبَّار يصفه فى قطعَة موصولة بمدْح أبى — أطال الله لى عُمْرَه ، ورزقنى برَّه ، فاستكمل الصِّفاتِ بِأبْدَعِ تشبيهاتٍ وأرفع تمثيلات والقِطْعَةُ :

وباقِلَاءِ باقِلٍ يُعْجِبُ حُسناً من رمقْ
كأنّما نُوَّارُهُ إذْ راقَ خَلْقاً وخُلُقْ
أذْقانُ بيضٍ غُلّقَتْ لِمُبْصِرٍ ومُنْتَشِقْ (٣)
أوْ أعْيُنٌ حُورٌ جَرتْ إلى مَآقِيها الحَدَقْ
وهُدْبُها مُسْتَبْطِنٌ فى وَرَقٍ مِنَ الوَرِقْ
أوْ جِنْحُ لَيْلٍ بَقِيَتْ منْهُ بقايا فى فَلَقْ (٤)

---

(١) بياض فى الأصل ولعل تقدير ذلك (فهذا فضل) .

(٢) فى شرح أسماء العقار ص ٨ ما يفيد أن الباقلاء : هو الجرجير واسمه المشهور فى المدن الفول ، وأشار ابن البيطار فى كتابه الجامع لمفردات الأدوية (١/ ٧٨) إلى أن للباقلاء زهرة شبيهة بلون الورد الأحمر .

(٣) من غلف لحيته بالطيب والحناء والغالية وغلّفها : بطّنها .

(٤) الجنْح : الجانب والكنف والناحية ، ومن الليل الطائفة .

أَوْ سَبَجٌ فى دُرَرٍ   أَوْ ثُنَنٌ بِها بَلَقْ(١)
كأَنَّ لِلمِسْكِ بِها   مَشْقاً بُنَيَّاتِ طُرُقْ(٢)
وعَرْفُهُ مُعَرِّفٌ   بأَنَّهُ فِيهِ فُتِقْ
كأَنَّ جُلَّ عامِرٍ   مِنْ خلْقِهِ طِيباً خُلِقْ
مَلْكٌ إذا صالَ عفَا   حِلْماً وإن سِيلَ اندفَقْ
إنْ بَخِلَ الغَيْثُ سَخا   أو عَنَفَ الدَّهْرُ رَفَقْ

قوله : جرتْ إلى مآقيها الحَدَقْ بديعٌ غريبٌ لأَنَّ السَّوادَ الذى جعله حَدَقَةَ العَيْنِ هو فى ناحيةٍ من النَّوْر وليس مُتَوَسّطاً له . فكانَّ الحدَقَةَ قد جرت إلى الماق وهو طرف العين مِمَّا يلى الأَنْف . وهُدْبُها مستَبْطِنٌ البيْتَ وهو مما أكمل به الوصف وتمم التشبيه لأن فى الورقة التى ظاهِرُها تلك الصفة المتقدّمةُ خُطُوطاً سُوداً جَعَلَها هُدْباً لِتِلْكَ العيون وهى التى عنى بقوله : كأَنَّ للمسْك به مَشْقا بنيات طُرُق . وقوله : أو ثُنَنٌ بها بَلَق جمع ثُنَّةٍ وهى الشعر التى تكون على مؤخَّرِ الرسغ .

قال أبو الوليد :

ولى فيه تَشْبِيهٌ رُبَّما يُوافق وتمثيلٌ كأَنَّهُ يطابق وهو :

أرى الباقِلَاءَ الباقِلَ اللون لابِساً   بُرودَ سَماءٍ مِنْ سَحائِبِها غُذِى (٣)
ترى نَوْرَهُ يلْتاحُ فى ورقاتِه   كَبُلْق جِيادٍ فى جِلال زُمرُّذِ

---

(١) السّبج : كساء أسود ، وتسّبج : لبسه ، وكساء مسبج : عريض .

(٢) بُنَيّة الطريق : طريق صغير يتشعب من الجادة

(٣) البيتان فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٣٣ ، ونفح الطيب (٤٢٨/٣) وفيهما (أتى الباقلاء) .

ودخلْتُ بُسْتاناً لى مع الفقيه أبى الحسن بن علىّ وكان بِها باقِلاء قد نَوَّر فأخذ من نَوْرِهِ وصنع مِصْراعاً وسالنى إجازَتَهُ ففعلْتُ وزِدتُ بيتاً آخر . ومصراعُهُ .

سبَجٌ فى كأْسِ دُرِّ   أوْ كُسُوفٌ وسْطَ بَدْرِ[١]

وزيادتى :

أوْ غَوالٍ فى لآلٍ   أوْ غِشاءٌ بيْنَ فَجْرِ

ووقعت إلىَّ أيضاً فى الباقلاء بعينه قطَعٌ مُستطرفةٌ وأوصاف مستظرفة تشبَّهت بالنَّور فرأيتُ ذِكرَها فمنها وصف الوزير أبى عامِر بْن شهيد – رحمه الله – فى قطعة بديعة بريعة مطبوعة مصنوعة وهى :

إنَّ لآليكَ أحْدَثَتْ صَلَفا   فاتخذَتْ مِنْ زُمُرُّذ صَدَفا[٢]
تَسْكُنُ ضَرَّاتُها البُحورُ وذى   تَسْكُنُ لِلْحُسْنِ رَوْضَةً أُنُفا[٣]
هامَتْ بِلحْفِ الجنانِ فاتَّخَذتْ   مِنْ سُنْدُسٍ فى جَنانِها لُحُفا[٤]
تَثْقُبُها بالثُّغُورِ من لطَفٍ   حَسْبُكَ مِنَّا بِبِرٍّ مَنْ لَطُفا[٥]
أُكلُ ظريفٍ وطُعْمُ ذى أدبٍ   والفُول يَهْواه كلُّ مَن ظَرُفا

---

(١) هذا الشطر هو من إجازة أبى الوليد ، وأما الزيادة فتتمثل فى البيت الذى يليه .

(٢) الأبيات فى ديوان ابن شهيد المجموع ١٢٧ ، ١٢٨ ، وانظر نفح الطيب (٣/٢٤٤) والذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٢ .

(٣) فى الديوان (دُرّتها) .

(٤) فى نفح الطيب (الجبال) .

(٥) رواية البيت فى نفح الطيب :

شبّهتها بالثغور من لطف   حسبك هذا من برّ من لطفا

وقال لى الفقيهُ أبو الحسن بْن علىّ : رأيْتُ فى يَدِ صَديقٍ حَبَّةَ باقِلاءٍ شَديدَةَ سَوادِ القِشْرِ وكلَّفنى وصْفَها فَقُلْتُ بَديهَةً :

فَصٌّ مِنَ العاجِ حُقُّهُ سَبَجُ　　مُمْتَزِجٌ بالجمال مُزْدَوِجُ
فِيهِ سَوادٌ يَزِينُ غُرَّتَهُ　　كأَنَّهُ مُقْلَةٌ بِها دَعَجُ
يُؤْثَرُ رَطْباً ويابِساً أَبَداً　　وَيسْتَبى النَّفْسَ فَوْحُهُ الأَرِجُ

وأخْبَرنى أيْضاً قال : طالعْتُ بُسْتاناً لى بغَرْبىّ قُرْطُبَةَ وكان فيه باقِلاءٌ فجعَل بعْض الغِلْمانِ يُنَقّى منه وَيُناوِلُنى فَقُلْت :

رِيمٌ سَبا مُقْلَتِى تَوَرُّدُهُ　　يَسُلُّ سَيْفَ الهَوَى ويُغْمِدُهُ
جارَ على جَرْجَرٍ فَخَرَّبَهُ　　وظَلَّ مِنْ قِشْرِهِ يُجَرِّدُهُ
وكلَّما ابْتَزَّ ثَوْبَ واحِدَةٍ　　مِنْها حَبَتْنى بِحَبِّها يَدُهُ
فَقُلْتُ مُسْتَظْرِفاً لِفِعْلَتِهِ　　وزادَ فى نُبْلِهِ تَعَمُّدُهُ
كلاكما لَا عَدِمْتُ حُسْنَكُما　　يَنْشَقُّ عَنْ لُؤْلُؤٍ زَبَرْجَدُهُ
فارْتابَ بى وانْثَنى على خَجَلٍ　　وَحَبُّهُ ساقِطٌ يُبَدِّدُهُ

قَوْلُهُ : جارَ على جَرْجَرٍ الجَرْجَرُ لُغَةٌ فى الباقِلاءِ . وقوله : يَنْشَقُّ عن لُؤْلُؤٍ زَبَرْجَدُهُ فاللُّؤْلُؤانِ مِنْ هذا وهذا الحبّ والثَّغْر ، والزَّبَرْجَدانِ مِنْهُما القِشْرُ والشّارِبُ الأَخْضرانِ . وفى هذه القطعةِ من جَيِّدِ الصِّناعَةِ وحُسْنِ الصِّياغَةِ ما يُعْجِبُ النَّاظِرَ ويُعْجِزُ الخاطِرَ .

قال أبو الوليد :

وفى بَزْرِ الكتَّان أوصافٌ موسومةٌ بالإحسان أنا ذاكرها إن شاء الله .

نور الكتان (١)

قال أبو جَعْفَر بن الأبَّار يصفه بوَصْفٍ نادر مختار وهو :

وبـزر كتّـانَ أوْفى بكلّ وَهْدٍ ونَجْـدِ
كَأنَّهُ حِينَ يَبْـدُو مَداهِـنُ الـلَّازَوَرْدِ
إذا السَّمـاءُ رَأتْـهُ تَقول ذا من فِرِنْدِى

قال أبو الوليد : ولى فِيهِ قِطْعَةٌ :

كَأنَّ نَوْرَ الكَتَّانِ حِينَ بَدا وقد جلا حُسْنُهُ صَدا الأنْفُسْ (٢)
أكُفُّ فَبروزَجٍ مَعاصِمُها قَدْ سَتَرَتْهنَّ خُضرَةُ المَلْبَسْ
أوْلا فُرُرْقُ الياقوتِ قد وُضِعت على بِساطٍ تَروقُ مِنْ سُنْدُسْ

ووقَعَ إليَّ فى نَوْرِ الغالبة وصفٌ حَسَنُ الذّكْرِ أذكُرُهُ لِئلّا أدَعَ مُسْتَحْسَناً أجِدُهُ .

نور الغالبة

قال الوزير الكاتب أبو القاسم بن الخزَّاز يصِفُهُ فأحْسَنَ وأغْرَبَ وأبْدَعَ وأعْجَبَ وهُو :

وَرَنْحتَجِىّ سَحابىّ قَوائِمُهُ خُضرٌ حَكَى ياسِميناً فى تَفَتُّحِهِ
تَميسُ قُضْبانُها والرِّيحُ تعطفُها مَشْىَ النَّزيفِ تَهادَى فى ترنُّحِهِ (٣)
كأنَّ أوراقَهُ فى حُسْنِ خُضرتِها مِنَ الزُّمرُّذِ أسْناهُ وأمْلَحِهِ

---

(١) انظر النبات لأبى حنيفة الدينورى بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) الأبيات فى الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٣٣ .

(٣) النزيف : السكران الذى ذهب عقله .

.... سط فى الأنهار مَنْبِتَه   فَفازَ بالْعَرْفِ فى ... حِهِ (١)
وغَالَبَ النَّوْرَ حتَّى قِيلَ غالِبَةٌ   فَحَسْبُهُ غالِباً كافى مُرَشّحِهِ

قال أبو الوليد : ووقع إلىَّ فى نَوْر الرُّمَّان قِطْعَتانِ حَسَنَتانِ ولمْ يتأخَّر عن غيرِه إلا بِتأخُّر وقْته وإبطائِهِ عن أوانِ نُظَرائِه .

نور الرمان

فمن التشبيهات العُقْم فيه قول أبى القاسم بن هانىء الأندلُسىّ فى كِمامَةِ نُوَّارةٍ سَقَطَتْ منه وهو :

وبِنْتِ أيْكٍ كالشَّبابِ النَّضْرِ   كَأَنَّها بَيْنَ الغُصُونِ الخُضْرِ (٢)
جَنانُ باز أوْ جَنانُ صَقْرِ   قَدْ خَلَّفَتْهُ لِقْوَةٌ بِوكْرِ (٣)
كأَنَّما مَجَّتْ دماً مِنْ نحْرِ   أوْ سُقيَتْ بِجَدْوَلٍ مِنْ خَمْرِ (٤)
لَوْ نَبَتَتْ فى تُرْبَةٍ مِنْ جَمْرِ   لو كفَّ عنها الدَّهْرُ صرفَ الدهرِ (٥)
جاءَتْ بمِثْلِ النَّهْدِ فوقَ الصَّدْرِ   تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ اللِّثاثِ الحُمْرِ (٦)
فى مِثْلِ طَعْمِ الوَصْلِ بعدَ الهجْرِ

---

(١) بياض وطمس فى الأصل . ولعل تقدير الكلام فى صدر البيت (فى أبهى توشحه) .

(٢) الأبيات فى ديوان ابن هانى ٣٢٩ .

(٣) الجنان بالفتح : القلب لاستتاره فى الصدر من جن الشىء جنًا إذا ستره ، والباز : نوع من الصقور . اللقوة : المرأة السريعة اللقاح . كالناقة والعقاب الأنثى .

(٤) فى الديوان (أو نشأت فى تربة من جمر) .

(٥) فى الديوان (أو رويت بجدول من خمر) .

(٦) اللثات : جمع لثة وهى ما حول الأسنان من اللحم .

ومن التَّشْبيهاتِ الأَنيقة والتمثيلات الدقيقة قَوْلُ أبى جَعْفَر بن الأبَّار فى كمائِمِ هذا النُّوَّار وهو :

أَعْجبْ بأيْكِ الرُّمانِ حِين بَدا   نُوَّارُهُ المحْتَوى مَدا السَّبْقِ
مِثْلَ أُكُفّ الدُّمى مُحَنَّأَةً   أَو كَبَنانِ الحمائِمِ الوُرْقِ
أو كحِقاقٍ تَفَتَّحَتْ فَبَدَتْ   غَلائِلٌ وَسْطُها مِنَ البَرْقِ

الجُلَّنارَ (١)

وللوزير أبى عامر بن مسلمة فى وصْفِ الجُلَّنار أبْياتٌ بديعةٌ رفيعةُ المقْدار وهى :

وجُلَّنـارٍ بنَـوْرِهِ يَزْهَـرْ   أَوْراقُهُ فِتْنَةٌ لِمَنْ أبْصَرْ
قد شَبَهَ الورد فى تضاعُفِه   وقارَبَ اللَّوْنُ حُلَّةَ العُصْفُرْ
مِثْلَ ثِمارِ الرُّمانِ زاهِرَةً   لَكِنَّهُ مَنْظَرٌ بِلا مَخْبَرْ

قولُهُ : منظَرٌ بِلَا مَخْبَرْ أراد أنَّهُ لا يَعقِد كما يعقِدُ نَوْرُ الرُّمان .

قال أبو الوليد : ولِى فيه قِطْعةٌ رُبَّما وافَقَتْ صِفَتَهُ وطابَقَتْ هَيْئَتَهُ وهى :

وجُـلّنارٍ تبَـدَّى   يخْتالُ فى جُلِّ نارِ
أحْلى حُلًى من جميعِ   الأَنوار والأَزهـارِ
حكى خدودَ العَذارى   قد شُرِّبَتْ باحْمرارِ

---

(١) الجلنار : معناه بالفارسية ورد الرمان كما ذكر صاحب كتاب الألفاظ الفارسية المعربه ٤٣ ، وابن البيطار فى الجامع لمفردات الأدوية (١٦٤/١) وأفاد أن منه ما هو أبيض ومورد وأحمر وخلقته مثل خلقة ورد الرمان .

وخُمِّشَتْ بِأَكُفِّ الأَلحاظ والأَبْصارِ

جلّ نار فى القافية مفصول وإنّما هو جُلٌّ من نارٍ واتّفق فيه تشبيه وتجنيس .

قال أبو الوليد إسماعيل بن عامر :

هذا ماعثَرْتُ عليه وانْتَهَيْتُ البَحْث إليه . وإن وقع إلىَّ بَعْدُ وصْفٌ رائِقٌ أو معنًى فائِقٌ أَلحقْتُهُ فى هذا الكتاب ، ووضعته بموضعه من كلّ باب والبشر غير معصوم ومن بذل جُهْدَ نفسِه فليس بِمذْموم . وحسبى أنّى قد جمعتُ من غرائب الأندلسيِّين ، ونوادِرهم وأوردتُ من فضائِلهم ومآثِرهم مايُمكِن أن يتغمّد به ، ويصفح من أجله عمَّا عرَض من زَلل أو وقع مِنْ خَطَلٍ فرُبَّما أدخلْتُ لأهل عصرى ما يَقْرُبُ من البديع ولا يَبْعُدُ عن الرفيع فمن نَقَدَ ذلك فلْيعلم أنّى لم أجْهَلْهُ ، وإنَّما تحفَّظت من ناظمِيهِ ، وأغْضَيْتُ لهم علىّ مافيه ، وليس ذلك إلّا فى أبْياتٍ يَسِيرةٍ وصِفاتٍ غَيْر كَثِيرةٍ والله المُسْتَعان على التوفيق والهادى إلى سواء الطريق .

تمَّ كِتاب البديع فى وصْف الربيع بحمْدِ الله وعوْنه وصلى الله على محمدٍ خيرته من خلقِهِ وعلى أهله وسلّم تسليما .

* * *

الفهارس

1 – فهــرس الأعــلام .
2 – فهــرس القوافــي .
3 – فهــرس الرسائل والقطع النثرية .
4 – فهــرس الأزهار والأنــوار .
5 – فهــرس الإشارات الأدبية والبلاغية والنقدية .
6 – فهــرس الألفاظ اللغوية التى شرحها المؤلف .
7 – فهرس البلدان والأماكن .
8 – فهــرس المصادر والمراجع .

فهـــرس الأعــلام

(أ)

(ب)

(ج)

(ز)

(س)

(ع)

(ق)

(م)

(ن)

* * *

فهـرس القـوافـى

* * *

فهـــرس الرسائل والقطع النثرية

* * *

فهـــرس الأزهار والأنـــوار

(أ)

(ب)

(ج)

(خ)

(و)

(ى)

* * *

فهــرس الإشارات الأدبية والبلاغية والنقدية

* * *

فهرس الألفاظ اللغوية التى شرحها المؤلف

* * *

فهرس البلدان والأماكن

* * *

فهـرس المصـادر والمـراجـع

١ – الإحاطة فى أخبار غرناطة : لذى الوزارتين لسان الدين الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان – الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٣٩٣

٢ – إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، دراسة أدبية تاريخية : للدكتور صلاح خالص – دار الثقافة بيروت ١٩٦٥

٣ – الألفاظ الفارسية المعربة : للسيد أدى شير – المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨

٤ – بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس : لأحمد بن يحيى الضبى (ت ٥٩٩) الطبعة الأوربية الأولى عام ١٨٨٤

٥ – بنو عباد بإشبيلية – عبد السلام أحمد الطود : الطبعة الأولى ، تطوان المغرب ١٣٦٥

٦ – البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب : لابن عذارى المراكشى : تحقيق ليفى بروفنسال – دار الثقافة بيروت

٧ – تاريخ علماء الأندلس : لأبى الوليد عبد الله بن محمد بن الفرضى (ت ٤٠٣) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦

٨ – تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس : الدكتور محمد رضوان الداية بيروت دار الأنوار – الطبعة الأولى ١٣٨٨

٩ – تبيين المعانى فى شرح ديوان ابن هانئ الأندلسى : شرحه وحققه الدكتور زاهد على – مطبعة المعارف بمصر الطبعة الأولى ١٣٥٢

١٠ – التشبيهات من أشعار أهل الأندلس : للشيخ أبى عبد الله محمد بن الكتانى الطبيب – تحقيق الدكتور إحسان عباس : دار الثقافة بيروت – الطبعة الأولى .

١١ – التكملة لكتاب الصلة – لأبى عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى المعروف بابن الآبار (ت ٦٥٩) عنى بنشره وصححه السيد عزت العطار – مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٥

١٢ – تيارات النقد الأدبى فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى ؛ الدكتور مصطفى عليان عبد الرحيم – بيروت مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٤

١٣ – الجامع لمفردات الأدوية والأغذية : لضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسى المعروف بابن البيطار – المطبعة العامرية الطبعة الأولى ١٢٩١

١٤ – جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس : لأبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى (ت ٤٨٨) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦

١٥ – الجنى الدانى فى حروف المعانى : الحسن بن قاسم المرادى : تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه ، ومحمد نديم ، المكتبة العربية بحلب الطبعة الأولى ١٣٩٣

١٦ – الحلة السيراء – لأبى عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨) تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣

١٧ – دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى : محمد عبد الله عنان – مكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٩

١٨ – ديوان الخنساء : المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٨٨

١٩ – ديوان ابن دراج القسطلى : تحقيق الدكتور محمود على مكى ، منشورات المكتب الإسلامى بدمشق ، الطبعة الأولى ١٣٨١

٢٠ – ديوان ابن الرومى : تحقيق الدكتور حسين نصار – القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٩٣

٢١ – ديوان ابن شهيد الأندلسى : جمعه وحققه يعقوب زكى – دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى

٢٢ – ديوان ابن عبد ربه الأندلسى : تحقيق الدكتور محمد التونجى – من منشورات مكتبة الخافقين بالرياض الطبعة الأولى ١٣٩٧ ، والديوان نفسه بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية – طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩

٢٣ - ديوان القطامى : تحقيق إبراهيم السامرائى وأحمد مطلوب - دار الثقافة بيروت ١٩٦٠

٢٤ - ديوان ابن المعتز : للخليفة العباسى عبد الله بن المعتز : تحقيق محمد بديع شريف طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .

٢٥ - الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة - لأبى الحسن على بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢) تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت دار الثقافه الطبعة الأولى ١٣٩٩

٢٦ - الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة لأبى عبد الله محمد بن عبد الملك : تحقيق إحسان عباس ، وتحقيق محمد بن شريفة - دار الثقافة بيروت

٢٧ - رايات المبرزين وغايات المميزين : لعلى بن موسى بن محمد بن سعيد الأندلسى (ت ٦٨٥) تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضى القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٣

٢٨ - الروض المعطار فى خبر الأقطار : لمحمد بن عبد المنعم الحميرى : تحقيق الدكتور إحسان عباس - لبنان دار العلم ١٩٧٥

٢٩ - سكردان السلطان على هامش المخلاة للعاملى - الطبعة الأولى

٣٠ - شرح أسماء العقار : لأبى عمران موسى بن عبيد الله القرطبى تحقيق ماكس مايرهوف الطبعة الأولى .

٣١ - الشعر فى ظل بنى عباد - للأستاذ محمد مجيد السعيد ، مطبعة النعمان بالنجف الطبعة الأولى ١٣٩٢

٣٢ - الصلة : لأبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٤٩٤) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦

٣٣ - العقد الفريد : لأبى عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسى (ت ٣٢٧) تحقيق أحمد أمين - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٣٨١

٣٤ - فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال : لأبى عبيد البكرى - تحقيق الدكتور إحسان عباس ، والدكتور عبد المجيد عابدين - بيروت مؤسسة الرسالة ١٣٩١

٣٥ - لسان العرب : لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١) طبع بولاق بمصر ١٣٠٨

٣٦ - المثلث : لابن السيد البطليوسى (ت ٤٤٤) تحقيق الدكتور صلاح مهدى الفرطوسى - العراق دار الرشيد ١٩٨١

٣٧ - المطرب من أشعار أهل المغرب : لابن وهبة أبى الخطاب عمر بن حسن

(ت ٦٣٣) تحقيق إبراهيم الإبيارى ، والدكتور حامد عبد المجيد ، والدكتور أحمد بدوى المطبعة الأميرية ١٩٥٤

٣٨ - مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس : للوزير أبى نصر الفتح ابن محمد بن خاقان (ت ٥٢٩) تحقيق محمد على شوابكة - بيروت مؤسسة الرسالة ، ودار عمار ١٤٠٣

٣٩ - معجم الأدباء : لياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦) الطبعة الأولى

٤٠ - معجم الألفاظ الزراعية - للدكتور مصطفى الشهابى ، الطبعة الأولى

٤١ - المعرب من كلام الأعجمى على حروف المعجم : لأبى منصور الجواليقى (ت ٥٤٠) تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر : دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٨٩

٤٢ - المغرب فى حلى المغرب : لابن سعيد الأندلسى (ت ٦٨٥) تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٨

٤٣ - ملامح التجديد فى النثر الأندلسى خلال القرن الخامس الهجرى - الدكتور مصطفى أحمد على السيوفى ، بيروت عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٠٥

٤٤ - النبات - لأبى حنيفة الدينورى : تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، الطبعة الأولى وتحقيق لوين بريل

٤٥ - النثر الأندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين : الدكتور حازم عبد الله خضر دار الحرية للطباعة بغداد ١٤٠١

٤٦ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقرى التلمسانى تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت دار صادر ١٣٨٨

٤٧ - نكت الهميان فى نكت العميان : لصلاح الصفدى (ت ٧٦٤) تحقيق أحمد زكى بك المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩

٤٨ - نهاية الأرب فى فنون الأدب : أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣) النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية

٤٩ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبى العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (ت ٦٨١) تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت دار الثقافة الطبعة الأولى

٥٠ - يتيمة الدهر : لأبى منصور الثعالبى (ت ٤٢٩) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ١٩٥٦

فهرس موضوعات الكتاب

الصفحة	الموضوع
١٦٥	الفهارس
١٦٧	١ – فهرس الأعلام .
١٧٣	٢ – فهرس القوافي .
١٨٤	٣ – فهرس الرسائل والقطع النثرية .
١٨٥	٤ – فهرس الأزهار والأنوار .
١٨٨	٥ – فهرس الإشارات الأدبية والبلاغية والنقدية .
١٩٠	٦ – فهرس الألفاظ اللغوية التي شرحها المؤلف .
١٩٢	٧ – فهرس البلدان والأماكن .
١٩٣	٨ – فهرس المصادر والمراجع .
١٩٧	٩ – فهرس موضوعات الكتاب .

* * *

كتب مطبـوعة للمحقق

١ – تحقيق حماسة أبي تمام فى مجلدين من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٢ – تحقيق كتاب معانى أبيات الحماسة لأبي عبد الله النمرى .

٣ – تحقيق كتاب الاجتهاد فى طلب الجهاد لابن كثير .

٤ – تحقيق كتاب أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز للآجرى .

٥ – تحقيق كتاب التطفيل للخطيب البغدادى .

٦ – تحقيق كتاب البديع فى وصف الربيع لأبي الوليد الحميرى الإشبيلى .

٧ – حماسة أبي تمام وشروحها : دراسة وتحليل .

٨ – كتاب البديع لابن المعتز دراسة وتحليل .

٩ – بحوث ودراسات فى الأدب والنقد .

١٠ – معجم شعراء الحماسة .

* * *

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى بمكتبة الخانجى

مطبعة المدنى